موسوعة العذاب

موسوعة العذاب

تأليف

عبود الشالجي

المجلد السابع

الدار العربية للموسوعات

GLEBEWEALD LTD.

اخراج وتنفيذ



THE ARAB ENCYCLOPEDIAS LTD.

الدار العربية للموسوعات

London
2 Greville Lodge 15 Westbourne
Grove Terrace London W2 P.O. Box 1068
Tel (01) 2293880 (01) 2294054
Telex Arben G925388 Telefax 7920802

بيروت - لبنان
ص. ب. ١٣/٥٣٤٨ تلكس ٢٣١٠٧ Aratred Le
هاتف ٣٥٢٥٩٨ - ٣٤٣٨٢٨ - الحمرا
ص. ب. ٤٤٦ الحازمية - تلكس ٢٣٨٣٩ Arab Le
٤٢٩٩٨١ (٩٦١١) Telefax - هاتف: (٢) ٤٢٩٩٨١

الباب الخامس عشر

القتل بالجوع والعطش

الجوع : اسم للمخمصة ، ونقيضه الشبع ، الذي هو الاكتفاء من الطعام .
والعطش : الحاجة إلى الماء ، ونقيضه الريّ .

وربما ذكر الجوع والعطش، كناية عن الشوق ، قال الشاعر :

وإنّي إلى اسماء عطشان جائع

وكان من أعظم ما يعيّر به العربيّ ، أن يشبع ، وصاحبه جائع ، قال الشاعر :

وشبع الفتى لؤم إذا جاع صاحبه

وقال :

تبيتون في المشتى ملاءاً بطونكم   وجاراتكم غرثى يبتنَ خمائصا

وكان، وما يزال ، إطعام الطعام ، من التقاليد العربيّة المتمكّنة ، وفيما يتعلّق بالتقاليد العربية في احكام الطعام ، راجع كتابنا « المائدة في الإسلام » وقد اثبتنا نتفاً منه في بحث « المائدة » في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ، في القصة رقم ١٢٥/٣ ، وفي كتاب الفرج بعد الشدّة ، للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ، رقم القصة ٤٦٤).

والتعذيب بالجوع والعطش ، لون قديم من ألوان العذاب ، ويكاد يكون ـ على الأكثر ـ مقصوراً على قتل من يراد قتله مع تجنيبه الإهانة .

وقد قتل بهذا اللون من العذاب ، خلفاء ، وسلاطين ، وأمراء، ووزراء ، وقوّاد وعلماء .

فمن قتل من الخلفاء : المعتزّ بن المتوكل .

ومن السلاطين : السلطان غياث الدين بن السلطان حسين .

ومن الأمراء : العباس بن المأمون .

ومن الوزراء : أبو علي بن مقلة ، ومن قبله محمد بن عبد الملك الزيات .

ومن القوّاد : الإفشين ، وعجيف ، وإيتاخ ، ومحمد بن إبراهيم المصعبي ، وزهمان بن هندي ، وعماد الدين بن المشطوب ، والأمير سلار ، وكان من الغنى على درجة عظيمة ، وقد حبسه السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، ومنع عنه الطعام ، حتى أكل خفّه من شدّة جوعه .

ومن العلماء : عبد الصمد عبد الأعلى ، وأخوه عبد الرحمن ، وشهاب الدين السهروردي ، صاحب القصيدة المشهورة :

أبداً تحنّ اليكم الأرواح   ووصالكم ريحانها والراح

ويشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : القتل بالعطش ، ويكون بإطعام المعذّب طعاماً مالحاً ، ومنع الماء عنه .

الفصل الثاني : القتل بالجوع ، يمنع الطعام وحده عن الأسير .

الفصل الثالث : القتل بالجوع والعطش معاً ، وهو اللون الأكثر شيوعاً .

الفصـل الأول

التعذيب بالعطش

أوّل من مـارس هذا اللون من العـذاب ، في الإسلام ، معـاوية بن أبي سفيان في حرب صفّين ، فإنّه نـزل بجيشه منـزلاً احتوى فيـه على الشريعـة ، وصفّ عليهـا قـوّاده ، وجنـده ، ومنعـوا أصحـاب الإمـام علي من المـاء ، ونضحوهم بالنبل ، وطاعنوهم بالـرماح ، وحـالوا بينهم وبين الشـريعة ، فـدعا الإمام علي ، صعصعة بن صوحان ، وقال له : ائت معاوية ، وقل له انّا سرنـا مسيرنا هذا إليكم ، ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار اليكم ، وإنّك قدّمت إلينا خيلك ، ورجالك ، فقاتلتنـا قبل أن نقاتلك ، وبدأتنا بالقتال ، ونحن من رأينا الكفّ حتى نـدعوك ، ونحتـجّ عليك ، وإنّكم حلتم بين النـاس وبين المـاء ، فابعث إلى أصحابك ، فليخلّوا بين الناس وبين الماء ، ويكفّوا حتى ننظر فيما قدمنا وقدمتم له ، فقال معاوية للرسول : سيأتيك رأيي ، وبعد عودة الرسول ، أمـر معاويـة بمنع أصحـاب عليّ من الوصـول الى الماء ، فحـاربـه أصحـاب عليّ ، وطـردوا أصحاب معـاويـة عن الشـريعـة ، واستـولـوا عليهـا ، ومنعـوا أصحاب معاوية من الماء ، فـأمر الإمـام عليّ أصحابـه بأن يـأخذوا من المـاء حاجتهم ، وأن يخلّوا بين الشريعـة وبين من يريـد أن يستـقي منها (الـطبري ٤/٥٧١- ٥٧٢ وابن الأثير ٣/٢٨٣- ٢٨٤) .

ومارس هذا اللون من العذاب، من بعد معاوية ، عبيد الله بن زياد أميـر العراق ليزيد بن معاوية ، ففي السنة ٦١ لما أقبل الإمـام الحسين عليه السـلام

الى كربلا ، كتب عبيدالله بن زياد ، إلى قائد جيشه عمر بن سعد، أن يحول بين الحسين وأصحابه، وبين الماء ، لا يذوقوا قطرة ، فبعث عمر بن سعد خمسمائة فارس نزلوا على الشريعة ، وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء ، وصاح عبدالله بن أبي حصين الأزدي ، بالإمام الحسين : يا حسين ، ألا تنظر إلى الماء كأنّه كبد السماء ، والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً (الطبري ٥/٤١٢ وابن الأثير ٤/٥٣).

وقتل هشام بن عبدالملك ، عبد الصمد بن عبد الأعلى ، مؤدّب الوليد بن يزيد ، وأخاه عبد الرحمن بالعطش ، إذ أنّ عبد الصمد نظم شعراً يستعجل فيه ملك الوليد ، فغضب، وكتب الى الوليد يقول له : انّك قد اتّخذت عبد الصمد خدناً وأليفاً ومحدّثاً ونديماً ، وقد صحّ عندي أنّه على غير الإسلام ، فحقّق ذلك ما يقال فيك ، فاحمل عبد الصمد مع رسولي مذموماً مدحوراً ، فأشخصه الوليد الى هشام ، فأمر هشام بإنفاذه إلى يوسف بن عمر ، أمير العراق ، ومعه أخ له اسمه عبد الرحمن ، فبنى لهما يوسف بيتاً ، وجعلهما فيه ، وطيّن بابه ، وصيّر فيه كوّة ، يرمى إليهما الطعام منها ، ثم اعطشهما حتى هلكا (العيون والحدائق ٣/١١٦- ١١٧).

وفي السنة ٢٢٣ تآمر بعض القواد على المعتصم ، وبايعوا العباس بن المأمون ، ولما حقّق المعتصم في الأمر ، اعترف له العباس بذلك ، فلما نزل المعتصم منبج ، وكان العباس جائعاً ، وهو معتقل في يد الإفشين ، قدّم إليه طعام كثير ، فأكل ، ثم منع عنه الماء ، وأدرج في مسح ، فمات (الطبري ٩/٧٦ وتجارب الأمم٦/٥٠١ وابن خلدون ٣/٢٦٥).

وكان عجيف بن عنبسة ، أحد القوّاد المتآمرين مع العباس بن المأمون على عمّه المعتصم، حبسه المعتصم عند محمد بن إبراهيم بن مصعب، فسأله المعتصم يوماً : يا محمد ، لم يمت عجيف ؟ فقال : يا سيّدي ، اليوم يموت ، ثم جاء إلى مضربه ، فقال لعجيف : يا أبا صالح ،

أي شيء تشتهي ؟ قال : اسفيذباج وحلوى فالوذج ، فأمر بأن يعمل له من كلّ طعامٌ ، فأكل ، وطلب الماء ، فمنع ، فلم يزل يطلب وهو يسوق ، حتى مات (الطبري ٩/٧٧).

وفي السنة **٢٣٥** قتل المتوكل القائد إيتاخ الخزري، بأن أمر أمير بغداد اسحاق بن إبراهيم المصعبي بقتله ، وعندما مرّ إيتاخ ببغداد ، عائداً من الحجّ ، في ثلثمائة من أصحابه وغلمانه ، استقبله اسحاق ، وعبر الجسر ، فوقف بإيتاخ على باب قصر خزيمة بن خازم ، في الجانب الشرقي من بغداد على دجلة ، وهو المنزل المعدّ لإيتاخ ، فنزل إيتاخ ودخل المنزل ، وقد فرشت له الدار ، ومنع غلمانه من دخولها معه ، إلاّ أربعة منهم ، وأخذت عليه الأبواب ، وأمر بحراسته من ناحية الشطّ ، وكسرت كلّ درجة من درجات قصر خزيمة ، ولو لم يؤخذ ببغداد ما قدروا على أخذه ، ثم حمله اسحاق في حرّاقة، بعد أن أخذ سيفه ، فأدخل إلى دار اسحاق ، وقيّد بقيد ثقيل ، في عنقه ورجليه، ثمانين رطلاً ، وأخذ ابناه منصور ومظفّر ، وكاتباه سليمان بن وهب وقدامة بن زياد النصراني ، فحسبوا ببغداد ، وكانت وظيفة إيتاخ في الحبس رغيفاً واحداً من الخبز وكوز ماء ، أمّا ابناه فكانت وظيفتهما خواناً فيه سبعة أرغفة وخمس غراف من الوان الطعام ، ومات إيتاخ في الحبس ، بأن اطعم ، فاستسقى ، فمنع الماء حتى ماء عطشاً ، وبقي ابناه في السجن حتى مات المتوكّل ، فأخرجهما المنتصر لما آل إليه الأمر في السنة **٢٤٧** فمات المظفّر بعد إطلاقه بثلاثة أشهر ، أما منصور فعاش بعده (الطبري ٩/١٦٨-١٧٠).

وفي السنة **٢٣٦** كان محمد بن إبراهيم بن مصعب ، يلي فارس ، وكان متنكراً لابن أخيه محمد بن اسحاق بن إبراهيم ، فولي محمد بن اسحاق فارس ، فبعث خليفة له عليها ، الحسين بن اسماعيل ، وأمره بأن يحتال لقتل

عمّه ، فلما صار إلى فارس ، أهدى إلى محمد بن إبراهيم هدايا في النيروز ، من جملتها حلواء ، فأكل محمد منها ، ثم دخل عليه الحسين ، وقدّم له حلوى ، فأكل منها أيضاً ، فعطش ، فاستسقى ، فمنع الماء ، ورام أن يخرج ، فحيل بينه وبين الخروج ، فعاش يومين وليلتين ، فمات (الطبري (الطبري ٩/١٨٣- ١٨٤) .

وبعث القاسم بن عبيدالله ، وزير المكتفي ، بالكاتب محمد بن غالب الأصبهاني ، إلى المسمعي بإصبهان ، وكتب إليه بإهلاكه ، فأطعمه المسمعي ، ومنع عنه الماء ، فمات عطشاً .

أقول : أبو عبدالله محمد بن غالب الأصبهاني الكاتب ، كان على ديوان الرسائل بالحضرة ، ثلاثين سنة ، واتّصل بعبيد الله بن سليمان بن وهب ، وزير المعتضد ، وبولده القاسم بن عبيد الله ، وزير المعتضد والمكتفي ، ثم بلغ القاسم أنّ الإصبهاني يرشّح نفسه للوزارة ، فأوقع به وبأثنين معه من الكتّاب ، هما محمد بن بشار وابن منارة الكاتب وأوثقهم بالحديد ، وأحدرهم الى البصرة ، على ما جاء في مروج الذهب ٢/٥٢٨ وسيّر الإصبهاني الى إصبهان ، على ما جاء في الوافي بالوفيات ٤/٣٠٨ وكتب الى المسعي بإهلاكه ، فأحضره مائدته ، وأطعمه كوامخ وسمكاً ، ثم أدخله بيتاً وأغلقه ، فمات عطشاً ، وذكر أحمد بن أبي طاهر ، في تاريخ بغداد ، أنّه قتله بالجوع والتدخين .

وفي السنة ٢٩٥ طالب الجند بمكّة ، بجائزة بيعة المقتدر ، وهاجوا بمنى ، فقاتلهم أمير مكّة عجّ بن حاج ، وقتل منهم جماعة ، وهرب الناس إلى بستان ابن عامر ، وانتهب الجند مضرب أبي عدنان ربيعة بن محمد أحد أمراء القوافل ، وأصاب الحاجّ المنصرفين من مكة ، في طريقهم ، من القطع ، والعطش ، أمر غليظ ، حتى مات منهم من العطش جماعة ، وذكر

أن بعضهم كان يبول في كفّه ويشربه (الطبري ١٠/١٣٩ وابن **الأثير** ٨/١١-١٢).

ولما توفّي الصاحب بن عباد ، وزير فخر الدولة البويهي ، سنة **٣٨٥** وزّر بعده أبو العباس الضبيّ ، وأبو علي بن حمولة ، فأخذا في مصادرة الناس ، وانفذا أبا بكر بن رافع إلى استراباذ ونواحيها ، فجمع الوجوه، وأرباب الأموال ، وأخر الإذن لهم حتى تعالى النهار ، واشتدّ الحرّ ، ثم اطعمهم طعاماً أكثر ملحه ، ومنعهم الماء عليه وبعده ، وقدّم إليهم الدواة والكاغد ، وطالبهم ، بكتب خطوطهم بما يصحّحونه ، ولم يزل يستام عليهم ، وهم يتلهّفون عطشاً ، إلى أن التزموا له عشرة آلاف ألف درهم . (معجم الأدباء ١/٧١-٧٢).

وفي السنة **٤٠٣** ورد الخبر بأنّ أبا فلتيه ابن القويّ ، سبق الحاج الى واقصة ، في ستمائة رجل ، فنزح الماء من مصانع البرمكي ، والريّان ، وغوّرها، وطرح في الآبار الحنظل ، وأقام يرصد ورود الحاج ، فلما وردوا العقبة ، اعتقلهم ، ومنعهم الإجتياز ، وطالبهم بخمسين ألف دينار ، فامتنعوا، وبلغ منهم العطش كلّ مبلغ ، فهجم عليهم ، واحتوى على الجمال والأموال والأعمال ، وهلك من الحاج خمسة عشر ألف إنسان ، فخرج علي بن مزيد ، أمير الكوفة في طلب المعتدين ، فلحق بهم وقد قاربوا البصرة ، فأوقع بهم ، وقتل كثيراً منهم ، وأسر أبا فليته بن القويّ ، والأشتر ، وأربعة عشر رجلاً من وجوه بني خفاجة ، واستعاد من الأموال ما أمكن استعادته ، وعاد إلى الكوفة ، وبعث بالأسرى إلى بغداد ، فشهروا ، وأودعوا الحبس ، ثم أجيعوا ، وأطعموا المالح ، وتركوا على دجلة ، يشاهدون الماء ، وماتوا عطشاً هناك . (المنتظم ٧/٢٦٠-٢٦١).

الفصـل الثاني

التعذيب بالجوع

لما قتل محمـد بن عبدالله بن الحسن العلوي بـالمدينـة في السنة ١٤٥ عـاث فيها جنـد المنصور ، فـوثب سودان أهـل المدينـة فقتلوا بعض الجند ، وطردوا باقيهم ، واجتمـع سودان المـدينة ، وقلّدوا امـرهم واحداً منهم اسمـه (أويتوا) ومنحوه لقب أمير المؤمنين ، ثم تفرّق عنه أصحابـه ، فحبس ، وأثقل بالحديد ، ومنع عنه الطعام ، فمات جوعاً (العيون والحدائق ٣/ ٢٥٠) .

وكانت سياسة صاحب الزنج في البلاد التي يفتحها القتل والإستئصال ، فكان يقتل حتى النساء والأطفال والشيـوخ (مروج الـذهب ٢/ ٤٧٠) وكان مـا صنعه المهلّبي ، أحد قوّاده بالبصـرة ، مضرب المثـل ، حيث اشتهر من بعـد استباحة صاحب الزنج البصرة ، المثـل المشهور : بعـد خراب البصـرة ، فإنَّ المهلّبي ، بعـد أن فتح البصـرة وقتل من قتـل، وأحرق مـا أحرق ، ونهب مـا نهب ، جمـع الباقين في الجـامـع ، ووضـع فيهم السيف ، فمن نـاج ، ومن قتيـل ، ومن غـريق ، واختفى كثيـر من النـاجين في الـدور والآبـار ، فكـانـوا يظهرون بالليل ، فيأخذون الكلاب والسنانير والفيران . فيـأكلونها، فـأفنوهـا، حتى لم يقـدروا منها على شيء ، فكـانـوا إذا مـات الـواحـد منهم ، أكلوه ، ويراعى بعضهم موت بعض ، ومن قدر منهم على صاحبه ، قتله وأكله ، وذكر أنّ امرأة منهم ، كانت تنازع ، وحضرتها اختها، وقد احتوشوها ينتظرون موتها ليـأكلوها ، فلمـا ماتت عجلوا عليهـا فقطعـوها ، وأكلوهـا ، ورأوا اختها تبكي

فسألوها عن سبب بكائها ، فقالت : إنّهم تقاسموا لحم أختها ، فلم يعطوها منها شيئاً ، إلّا رأسها (مروج الذهب ٢/٤٧٨- ٤٧٩) .

وفي السنة ٣٢٢ قتل الراضي ، وزيره ابن مقلة بالجوع ، بأن قطع عنه الخبز ، فمات في حبسه بدار الخلافة ، ودفن حيث مات، وكان قبل قطع الخبز عنه ، قد قطع يده ولسانه (تجارب الأمم ١/٣٨٩- ٣٩٠) .

وفي السنة ٣٦٤ مرض الوزير ابن بقيّة ، وزير بختيار البويهي ، فبادر أبو نصر بن السراج ، أحد المتصرّفين، فضمن لبختيار من جهة ابن بقيّة أموالاً ، ثم عوفي ابن بقيّة ، وبلغه ما حصل ، فأمر ابن الراعي ، وهو احد اتباعه ، أن يضمن ابن السراج ، فضمنه بمائة ألف دينار ، وتسلّمه ، وبسط عليه المكاره ، وأصناف العذاب ، وحبسه في صندوق، ومنع عنه الطعام ، فمات أقبح ميتة (تجارب الأمم ٢/٣٥٨- ٣٥٩) .

وفي السنة ٤٧٨ عشقت فتاة ببغداد ، جاراً لأهلها ، وأحسّ بها أبوها ، فأراد قتلها ، فهربت ، ثم اخذها وحبسها في داره ، في بيت ، وسدّ عليها الباب ، حتى ماتت جوعاً (التنظيم ٩/١٦- ١٧) .

وفي السنة ٤٨٠ قبض الخضر بن إبراهيم ، ملك ما وراء النهر ، على أبي المعالي محمد بن محمد الحسيني ، الملقّب بالمرتضى ، طمعاً في أمواله ، ومنع عنه الطعام ، حتى مات جوعاً ، ثم قتل ابنه من بعده (المنتظم ٩/٤١ والوافي بالوفيات ١/١٤٣) .

أقول : جاء في المنتظم ٩/٤١ ان ابا المعالي هذا ، كان يرجع إلى عقل كامل، وفضل وافر ، ورأي صائب، حدّث ، وصنّف ، وكانت له دنيا وافرة ، وكان ينفذ زكاته إلى جميع البلدان ،ويصرف أمواله في البرّ ، بعث اليه ملك ما وراء النهر : إنّي أريد أن أحضر بستانك ، فقال للرسول : لا سبيل إلى ذلك ، لأنّي عمرته من المال الحلال ، ليجتمع فيه عندي أهل

الـدين ، فلا أمكّنـه من الشرب فيـه ، فغضب الأمير ، وعـاود الطلب ، فـأعاد الجواب ، فقبض عليه ، واستولى على أموالـه وأملاكـه ، ثم منع عن الـطعام حتى مات .

وفي السنـة ٥٢٨ خرج شمس الملوك صاحب دمشق للصيـد ، فحـاول إيليا غلام طغتكين جدّ شمس الملوك، أن يغتاله، وضربه بالسيف ضربتين، فلم تعمـل فيه ، وقبض عليـه شمس الملوك وقتله ، وقتل معـه آخـرين ، ثم اتّهم أخاه سونج بأنّه وراء المؤامرة، فتركه في بيت ، وسدّ عليه البـاب فمات جـوعاً (عيون التواريخ ٢٨٣- ٢٨٤) .

وفي السنــة ٦١٧ اعتقــل المـلك الأشــرف ، الأميــر عـمــاد الــدين المشطوب ، وألقاه في جبّ ، فمات بالقمّل والجوع (الـذيل على الـروضتين ص ١٢١) .

وفي السنـة ٧١٠ حبس الملك النـاصـر ، الأميـر ســلار ، ومنـع عنــه الطعام ، فمات جوعاً ، بعد أن أكـل أخفافـه (بدائـع الزهـور ١/١٥٥ وفوات الوفيات ٢/٨٧)

الفصل الثالث

التعذيب بالجوع والعطش

لما عزم الـوليد على أن يخلع أخـاه سليمان من العهـد ، وأن يعهد إلى ولده ، أطاعه كثير من الأشراف ، طوعاً وكرهاً ، وامتنع عمر بن عبد العـزيز ، وقال له : في أعنـاقنا بيعـة لسليمان ، وصمّم ، فطيّن عليه الـوليد ، أي أنّـه أدخله حجرة ، وسّد جميع منافذها بالطين ، ثم شفع فيه بعد ثلاث ، فـأدركوه وقد مالت عنقه . (تاريخ الخلفاء ٢٣٠) .

وذكـر إدريس بن محمـد بن يحيى ، أنّ الـرشيـد ، قتـل جـدّه يحيى بن عبد الله ، في الحبس ، بالجوع والعطش . (مقاتل الطالبيّين ٤٨٣) .

ولمـا اعتقـل المعتصم ، الإفشين ، في السنـة ٢٢٥ بنى لـه سجنـاً خاصّاً ، مقدار مجلس الرجل ، وأمر المعتصم بمنع الطعام عنه ، فكان يعطى في كـل يوم رغيفـاً ، حتى مات ، فـأخذ إلى دار إيتـاخ ، وصلبوه ، ثم طـرح ببـاب العامّـة ، مع خشبتـه ، ثم أحرق ، وطـرح الرمـاد في دجلة (الـطبـري ١١٤/٩) .

وبعث المعتصم إيتاخ ، إلى الافشين ، وقال : قـل لـه ، يـا عـدوّ الله ، فعلتَ ، وصنعتَ ، فكيف رأيت صنع الله بك ؟ .

فقال الإفشين لإيتاخ : يا أبا منصـور ، قد ذهبت بمثـل هذه الرسالـة ، إلى عجيف بن عنبسة ، فقال : يا أبا الحسن ، قـد ذهبتُ بمثل هـذه الرسـالة

إلى علّي بن هشام ، فقال لي : أنـظر من يأتيـك بها ، وأنـا أقول لـك الآن : أنظر من يأتيك بها .

فما مرّت إلا أيّام قلائـل ، حتى حبس إيتاخ ، وقتـل (لطائف المعـارف ١٤٣) .

أقول : الأفشين ، بفتح أوّله ، وبكسره ، لقب ملوك أشـروسنة ، أحـد أقـاليم ما وراء النهـر ، كما أنّ كسـري لقب ملوك فارس ، وقيصـر لقب ملوك الروم ، وخاقان لقب ملوك الترك ، وقد لقّب به الإفشين لأنّ آبـاءه كانـوا ملوك أشر وسنة ، وهو أبو الحسن خيذر بن كاوس بن خـانا خـرّه بن خرّابغـره ، أسر هو وأبوه في أيّام المأمون ، في حملة عسكرية قادها أحمد بن أبي خالد وزيـر المأمون ، بأمر منه على بلاد ما وراء النهر ، وحمل خيذر وأبوه إلى المأمون ، فـأسلم خيذر ، واتّصـل بالمعتصم لمـا كان أميـراً في عهـد أخيـه المـأمـون ، فـآختصّـه ، وقـوّده ، ولمـا اضـطربت أحـوال مصـر ، وكـان المعتصم يليهـا للمـأمون ، ويبعث إليهـا نائبـاً ، سيّـر إليهـا الأفشين في السنـة ٢١٥ فحـارب الثـائرين بهـا ، وقهرهم ، ولمـا استخلف المعتصم ، عقد لـه في السنة ٢٢٠ على الجبـال ، وولاّه حرب الثـائر الفـارسي بابـك الخرمي الـذي كان قـد بدأ بثورته منذ السنة ٢٠١ وكانت ثورته تقوى وتتّسع سنة بعد سنة ، حتى أصبحت تهدّد الدولة بأعـظم الأخطار ، فجـدّ الإفشين في محاربته ، وظفر بـه ، وحمله إلى سامراء أسيـراً ، حيث جرى أعـدامه بـاحتفال عـظيم ، ولما بلغ المعتصم ظفر الأفشين ببابك ، أخذ يبعث إليه ، من يوم فصل من برزند ، إلى أن وافى سـامراء ، في كـلّ يوم فـرساً وخلعـة ، ولما وافى سـامـراء ، ألبسـه المعتصم التاج ، وقلّده وشاحين من الجوهر ، ووصله بعشـرين ألف ألف درهم ، وعقد له على السند ، وأدخل إليه الشعراء فآمتـدحوه ، وفي ديـوان أبي تمام قصيـدة من ستـة وثلاثين بيتـاً ، امتدح بهـا الأفشين ، وذكر أسـلافه ، ووصفـه بفحـل المشرق ، قال :

بذّ الـجـلاد الـبـذّ فـهـو دفـيـن　　مـا إنْ بـه إلّا الـوحـوش قـطـين
قـد كـان عـذرة مغـربٍ فـآفتضّهـا　　بـالسيف فحـل المشـرق الأفشين
فـأعـادهـا تعـوي الثعـالب وسطهـا　　ولقـد تـرى بـالأمس وهي عـرين
لاقـاهـم مـلك حـبـاه بـالـعـلى　　خـرّا وخـانـا خـرّة الميمـون

وذكره أبو تمام في قصيدة أخرى ، امتدح بها أبا دلف ، فقال :

وقـد علم الأفشين وهـو الـذي بـه　　يصـان رداء الملك من كفّ جـاذب

وذكره في قصيدة أخرى ، تحدّث فيها عن ثورة بابك ، فقال :

فـرمـاه بـالإفشين بـالنجم الـذي　　صـدع الدجى صـدع الـرداء البـالي

وأثنى في قصيدة أخرى على شجاعته ورأيه في الحرب ، فقال :

وقـد لبس الأفشين قسطلة الـوغى　　محشّـاً بفصـل السيف غيـر مـواكـل
وجـرّد مـن آرائـه حيـن أضـرمـت　　له الحرب حـدّاً مثل حـدّ المفاصـل
وسـارت بـه بين القنـابـل والقنـا　　عـزائم كـانت كـالقنا والقنـابـل

ورافق الأفشين المعتصم في فتح عمورية ، ولما انكشفت مؤامـرة بعض القـوّاد على المعتصم ، من أجـل خلعـه واستخـلاف ابن أخيـه العبّـاس بن المأمون بدلاً منه ، لم يـأتمن على العباس غيـر الأفشين ، فإنّـه أسلمه إليـه ، فحبسه أيّاماً ، ثم قتله ، وبلغت منزلة الأفشين لدى المعتصم ، لما تزوّج ابنـه الحسن بن الأفشين ، باترنجة بنت آشناس ،أن أعرس بها في قصـر المعتصم ، وحضر عرسه عامّة أهل سامراء ، وكان الخليفة المعتصم بنفسه يباشر تفقّد من حضرها ، وهذا شيء لم يصنعه الخليفـة مع أحـد من الناس ، وكـان الأفشين خشن المواجهة ، وإذا سكر عربد ، وكانت مواقفه في نصرة الدولة العبّاسية ، والعنـاية الفـائقـة التي نـالها من المعتصم . والعـطايا الجـزيلة التي أفـاضهـا عليه ، زادت في خشونته وكبريائه ، فـأثار حفيـظة جماعـة من رجال الـدولة ، وحـاشية الخليفـة ، على رأسهم الأمير عبـد الله بن طاهـر ، وقـاضي القضـاة

أحمد بن أبي دؤاد ، وهما من العقل والدراية ، عناية المعتصم بهما ، بالموضع الذي لا يرقى إليه أحد ، وانضاف إليهما الوزير محمد بن عبد الملك المعروف بابن الزيات ، وجماعة من القوّاد ، فأوهموا المعتصم إنّه يريد الخروج على الدولة ، فأمر باعتقاله ، وحبس في الجوسق ، محبس الأمراء وكبار رجال الدولة ، ثم بنى له حبساً خاصاً مرتفعاً ، أشبه شيء بالمنارة ، وجعل له في وسطها مقدار مجلسه ، وكان الرجال يدورون حولها ، يتناوبون على حراسته ، وحوكم الأفشين محاكمة علنية ، كان قضاته فيها خصومه ، وكان المحقّق الذي استجوبه هو قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد ، ورئيس المحكمة الوزير ابن الزيات ، والمستمعون جماعة من كبار القوّاد والكتّاب ، وقد حفظ لنا التاريخ ما جريات تلك المحاكمة ، ولم يقم ضدّه من الأدلة ما يستوجب الحكم الذي صدر عليه بالإعدام ، ولكن لما كان خصومه هم قضاته ، فقد كان القرار معروفاً ، وليس عجيباً أن يرد الأفشين هذا المورد ، فإنّ ارتفاعه إلى الدرجة التي آرتفع إليها ، كانت تؤذن بهذا الإنحدار ، شأنه شأن البرامكة من قبله وغيرهم من الوزراء وكبار رجال الدولة ، وقد أثبت المؤرّخون نصوص الأسئلة التي وجهت للأفشين كما حفظ لنا أجوبته عليها، وكان أوّل ما سئل عنه ، انّه كان قد ضرب إمام جامع في أشروسنة ومؤذناً ألف سوط ، فاعترف بأنّه أمر بضربهما ، واحتّج لنفسه بأنّه كان بينه وبين ملوك السغد عهداً وشرطاً أن يترك كلّ قوم على دينهم ، وقد وثب هذان الرجلان على بيت كان فيه أصنام أهل اشروسنة ، فأخرجاها ، واتّخذا من المكان مسجداً ، فضربهما لتعدّيهما ، واتّهم بأنّه وجد في بيته كتابٌ محلّى بالذهب والجوهر والديباج ، فيه ما يخالف اعتقاد المسلمين من الكفر بالله ، وكان جوابه ، إنّ هذا الكتاب ورثه عن آبائه ، فيه أدب من آداب العجم ، فكان يستمتع منه بالأدب ، ويترك ما سوى ذلك ، وقد وصل إليه من أسلافه ، وهو محلّى ، فلم تضطره الحاجة إلى تجريده من حليه ، وهو أشبه بكتاب كليلة ودمنة ،والاحتفاظ به لا يخرج من احتفظ به من الإسلام ، وشهد

عليه الموبذ ، بأنّه يأكل المخنوقة ، وكان جوابه إنّ هذا الموبذ مجوسيّ ، فهل هو عدل مقبول الشهادة عند المسلمين ؟ فقالوا : لا ، قال : فما معنى قبولكم شهادة من لا تعدّلونه ولا تثقون به ، وذكر عنه أنّ أتباعه في أشروسنة ، يكتبون ليه ما ترجمته : إلى إله الآلهة من عبده فلان ، فاعترف بذلك ، وقال : إنّ هؤلاء القوم جرت عادتهم أن يكتبوا بذلك ألى أبي وجدّي ، وأليّ قبل أن أدخل في الإسلام ، فكرهت أن أضع نفسي دونهم ، فتفسد عليّ طاعتهم ، وآدّعى المازيار ، أنّ أخا الأفشين ، كتب ألى أخيه (أخي المازيار) يدعوه للمخالفة والخلع ، لكي يتوجّه إليه الأفشين ، فيتّفقان على قلع الإسلام وإعادة المجوسية ، وكان جواب الأفشين : إنّ هذه دعوى على أخي وعلى أخي المازيار ، فهي دعوى لا تجب عليّ ، وكانت آخر التهم الموجّهة اليه ، للإستدلال على كفره ، أنّه لم يختن ، وكان جوابه : إنّه لو فرضنا أنّ ذلك كان صحيحاً ، فإنّ إغفال الختان ، لا يعني الخروج من الإسلام ، وإنّي خفت أن أقطع ذلك من جسدي فأموت ، فقيل له : أنت تطعن بالرمح ، وتضرب بالسيف ، وتخوض المعارك ، وتجزع من قطع قلفة ؟ فأجاب : تلك ضرورة تعنيني فأصبر عليها ، وهذا شيء أستجلبه ، فلا آمن معه خروج نفسي ، هذا وقد ظهر من بعد ذلك انّه كان مختوناً ، ولكنّ كبرياءه ، واعتداده بنفسه ، منعه من دفع التهمة ، خشية أنّ يكلفه قضاته بأن يكشف عن عورته ، فيكون ذلك سبّة عليه ، وكان الأفشين طيلة المرافعة ، رابط الجأش ، حاضر الذهن ، رغم علمه بما ينتظره ، وأجوبته التي أجاب بها في المرافعة ، تنطق بـرباطة جأشه ، وحضور ذهنه ، ولما خاشنه اسحاق بن ابراهيم المصعبي ، صاحب الشرطة ، التفت إليه ، وقال له : يا أبا الحسن ، هذه سُورة قرأها عجيف على علي بن هشام ، وانت تقرؤها علّي ، فآنظر غداً من يقرأها عليك ، أراد بأنّ رجال الدولة لما أرادوا قتل عليّ بن هشام ، بعثوا إليه بعجيف ، ثم قتلوا عجيفاً ، وهم الآن يريدون قتله (الأفشين) فبعثوا بك إليّ ، وسوف يقتلونك من بعد ذلك ، ولما زجره القاضي أحمد بن ابي دؤاد ، قال له الأفشين : أنت

يا أبا عبد اله ، ترفع طيلسانك بيدك ، فلا تضعه على عاتقك ، حتى تقتل به جماعة ، وعندما أنهى القاضي استجواب الأفشين ، وأصدر حكمه بأن قال للقائد بغا : عليك به ، وضرب بغابيده على منطقة الأفشين ، قال الأفشين : قد كنتُ أتوقّع هذا منكم قبل اليوم ، ولما أعيد إلى محبسه ، بعث إلى المعتصم برسالة ، قال فيها : يا أمير المؤمنين ، إنّك أحسنت إليّ ، وشرّفتني ، وأوطأت الرجال عقبي ، ثم قبلت فيّ كلاماً لم يتحقّق عندك ، ولم تتدّبره بعقلك كيف يكون ، وإنّما مثلي ومثلك ، مثل رجل ربّى عجلاً له ، حتى أسمنه وكبر ، وحسنت حاله ، وكان له أصحاب آشتهوا أن يأكلوا من لحمه ، فعرضوا له بذبح العجل ، فلم يجبهم إلى ذلك ، فاتّفقوا جميعاً على أن قالوا له ذات يوم : لم تربّي هذا الاسد ، هذا سبع ، وقد كبر ، والسبع إذا كبر يرجع إلى جنسه ، فقال لهم : ويحكم هذا عجل بقر ، ما هو سبع ، فقالوا : هذا سبع ، سل عنه من شئت ، وتقدّموا إلى جميع من يعرفونه ، أن يقولوا : هذا سبع ، فكلّما سأل الرجل إنساناً عنه ، قال له : هذا أسد ، هذا سبع ، فأمر بالعجل ، فذبح ، وأنا ذلك العجل ، كيف أقدر أن أكون أسداً ، الله ، الله في أمري ، وأسأل الله أن يعطف قلبك عليّ ، ولم تنجع الرسالة في المعتصم فإنّ خصوم الأفشين ، كانوا قد أفسدوا رأي المعتصم فيه ، فأمر بمنع الطعام عنه ، فمات جوعاً ، وحمل ميتاً إلى بيت إيتاخ ، ثم أخرج فصلب عارياً ، ثم أحرق وذرّي رماده في دجلة ، وكان ذلك في السنة ٢٢٦ ، وكما كان للشعراء ، مواقف في مدح الأفشين ، لما كان الخليفة راضياً عنه ، كانت لهم معه مواقف أخرى غيرها لما غضب عليه ، وحبسه ، واستأصله ، وبعد أن كان « فحل المشرق » و « تضيء المكرمات إذا بدا » وكان « نجماً يصدع الدجي » وكان « به يصان رداء الملك من كفّ جاذب » قال فيه أبو تمام :

جالت بخيذر جولة المقدار فأحلّه الطغيان داربوار

كم نعمة لله كانت عنده ... فكأنها في غربة وإسار
مازال سرّ الكفر بين ضلوعه ... حتى اصطلى حرّ الزناد الواري
صلّى لها حيّاً وكان وقودها ... ميتاً ويدخلها مع الفجّار
قد كان بوّأه الخليفة جانباً ... من قلبه حرماً على الأقدار
فإذا ابن كافرة يسّر بكفره ... وجداً كوجد فرزدق بنوار

ومن جملة ما عذّب به ابن الزيات لما اعتقل في السنة ٢٣٣ أنه سوهر ، ومنع من النوم ، وكان ينخس بمسلّة ، ثم أدخل في تنّور من خشب فيه مسامير حديد قيام ، فمكث أيّاماً ، ثم بطح وضرب بطنه خمسين مقرعة ، ثم قلب فضرب على آسته مثلها ، ومات وهو يضرب ، وهم لا يعلمون ، ولم يأكل طول مدّة حبسه سوى رغيف . (الطبري ٩/١٦٠) .

في السنة ٢٥٥ طالب الجند المعتزّ بأرزاقهم ، فلم يجد ما يعطيهم ، فدخل عليه بعض خلفاء القوّاد ، وجرّوا برجليه إلى باب الحجرة ، وتناولوه بالضرب بالدبابيس ، فخرج وقميصه مخرّق من مواضع ، وآثار الدم على منكبيه ، وأقاموه في الشمس في وقت شديد الحرّ فظلّ يرفع قدماً ويضع أخرى من حرارة الموضع ، وأخذ بعضهم يلطمه وهو يتّقي بيده ، ثم أدخلوه سرداباً ومنع الطعام والشراب ، حتى مات وهو ابن ٢٤ سنة (الطبري ٩/٣٩٠) .

وفي السنة ٢٨٩ واقع أبو سعيد القرمطي ، بني ضبّة ، وظفر بهم ، وأخذ منهم خلقاً، وبنى لهم حبساً عظيماً جمعهم فيه ، وسدّه عليهم ، ومنعهم الطعام والشراب ، فمكثوا شهراً ، ثم فتح عليهم ، فوجد أكثرهم موتى ، ويسيراً بحال الموتى ، قد تغذّوا بلحوم الموتى ، فخصاهم ، وخلّاهم ، فمات أكثرهم (أتّعاظ الحنفا ١٦٤) .

وذكر صاحب العيون والحدائق ج ٤ ق ١ ص ٢٠٥ أنّ عمرو بن الليث

الصفّار مات في حبسه في السنة ٢٨٩ بالجوع والعطش ، فإنّ الناس اشتغلوا بيوم بيعة المكتفي وأهملوا أمر تقديم الغذاء لعمرو ، فمات جوعاً .

وأحسّ القاسم بن عبيد الله بن سليمان ، وزير المكتفي ، أنّ الحسين بن عمرو ، كاتب المكتفي قبل الخلافة ، اتّفق مع فارس ، داية المكتفي ، على استيزار إبراهيم بن حمدان الشيرازي ، وعلى أن تكون الدواوين جميعها ألى الحسين بن عمرو ، وأن يعزل القاسم من الوزارة ، فتوصّل القاسم إلى المكتفي ، فأرضاه ، وتسلّم الحسين بن عمرو ، وإبراهيم الشيرازي ، واستصفى أموالهما ، ثم أنفذهما إلى الأهواز ، فجعلا هناك في بيت ، وسدّ ، ومنع من دخول الماء والطعام إليهما ، حتى ماتا ، راجع تفصيل القصة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، في القصة رقم ١٧١/٣ .

وبلغ الوزير علي بن عيسى ، وزير المقتدر في السنة ٣١٥ ، أنّ في بغداد رجلاً شيرازيّاً، على مذهب القرامطة ، وأنّه يكاتب أبا طاهر بالأخبار ، فأحضره ، وسأله ، فاعترف ، وقال : صحبت أبا طاهر بعد أن صحّ عندي أنّه على الحقّ ، وأنت وصاحبك كفّار ، تأخذون ما ليس لكم ، فقال له : قد خالطت عسكرنا وعرفتهم ، فمن فيهم على مذهبك ؟ فقال له : أنتِ بهذا العقل تدبّر الوزارة ؟ كيف تطمع منّي أن أسلم قوماً مؤمنين إلى قوم كافرين يقتلونهم ، لا أفعل ذلك ، فأمر به ، فضرب ضرباً شديداً ، ومنع الطعام والشراب ، فمات بعد ثلاثة أيّام (ابن الأثير ١٧٤/٨) .

أقول : ذكر ابن الجوزي في المنتظم ٢١٠/٦ أنّ الشيرازي هذا ، صفع ، وضرب بالمقارع ، وقيّد ، وغلّ ، وجعل في فمه سلسلة ، وحبس ، فلم يأكل ولم يشرب ثلاثاً ، فمات .

وأمر الحاكم الفاطمي ، صاحب مصر ، فسدّت حجرة من حجر

قصره ، على جماعة من الجواري فيهنّ اثنتان من محظياته (النجوم الزاهرة ٦٣) .

وفي السنة ٣٨٩ قتل زهمان بن هندي ، الذي كان صاحب خانقين ، بالجوع والعطش ، وسبب ذلك : أنّ أبا الفتح محمد بن عناز ، احتال على زهمان فاعتقله هو وأولاده الثلاثة دلف ، ومقداد ، وهندي ، وسجنهم في قلعة البردان ، وبعد مدّة ، ثار أولاد زهمان في القلعة ، وكسروا قيودهم ، وحاولوا الفتك بالموكلّين ، فتجّمع عليهم حماة القلعة ، وقتلوا الأولاد الثلاثة بحضرة أبيهم ، وأخذوا الأب زهمان إلى بيت ، وسدّوا عليه بابه ، وأبقوا كوّة كانوا يلقون إليه منها قرصاً من الشعير ، وقليل ماء ، فبقي أياماً ومات (تاريخ الصابي ٨/٣٣٩) .

وروى التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة ج ٥ ص ٢٥٠ - ٢٥٣ رقم القصة ٥/١٣١ قصّة عن أعرابي شيخ حاول أن يقتل رفيقاً له في الطريق ويستولي على ماله ، ولكنّ رفيقه أحسّ به، وحبسه في ناووس ، وتركه ، حتى مات جوعاً وعطشاً .

ولما آستولى محمد بن سعد ، المعروف بابن مردنيش ، على مرسية وأعمالها ، بالأندلس ، تنكرّ له أكثر رعيته ، فقتل من قوّاده جماعة بأنواع القتل ، ومنهم من بنى عليه في حائط وتركه حتى مات جوعاً وعطشاً ، إلى غير ذلك من ضروب القتل ، واستدعى النصارى الإفرنج ، وآستعان بهم في حكم رعيته المسلمين، ومات ابن مردنيش هذا ، وهو محاصر في مرسية ، حاصره الموحّدون في السنة ٥٦٧ . (المعجب للمراكشي ٣٢٢) .

وفي السنة ٥٨٧ تضافر قوم من أهالي حلب على الشيخ شهاب الدين السهروردي وآتّهموه بفساد العقيدة ، وكتبوا إلى السلطان صلاح الدين ، بأنّهم يخشون أن يفسد عقيدة الملك الظاهر ولده صاحب حلب، فكتب الناصر إلى

ولـده الظاهـر ، يأمـره بقتله، وشـدّد عليـه في ذلـك ، فخيـرّه في الميتـة التي يرتضيها ، فـاختار أن يحبس في مكـان ، ويمنع من الأكـل والشرب ، إلى أن يمـوت ، ففعل بـه ذلك . (شـذرات الذهب ٤/٢٩٢ وعيون الأنبـاء ٢/١٦٧ ومعجم الادباء ٧/٢٧٠) .

وكان السلطان محمد بن محمد بن محمد النصـري ، سلطان غرنـاطة ، المخلوع سنـة ٧٠٨ والمقتول سنـة ٧١٠ عـظيم القسـوة ، اعتقـل طـائفـة من ممـاليك أبيـه ، فسجنهم في مطبق الأري بحمـراء غرنـاطـة ، وأقفـل عليهم الأبواب ، ومنعهم القوت ، فمكثـوا أيّامـاً يصرخـون من الجوع ، حتى خفتت أصـواتهم بعد أن اقتـات آخـرهم مـوتـاً من لحم من سبقـه ، وحملت الشفقـة حارساً كان برأس المطبق على أن طرح لهم خبزاً يسيراً ، تنغّص عليه أكله مع مباشرة بلواهم، ونمى إلى السلطان ذلك ، فأمر به ، فذبح على حافة الجبّ ، فسالت عليهم دماؤه (الاحاطة ٥٥٥ و٥٥٦) .

ولمـا اعتقل الملك النـاصر محمـد بن قلاوون ، في السنـة ٧١٠ الأمير سلار ، أمر أن يبني عليـه أربعة حيـطان في مجلسه ، وألّا يـطعم ولا يسقى ، فبقي سبعة أيام لا يطعم ولا يسقي ، وهو يستغيث من الجوع ، ثم أرسل إليـه السلطان ثلاثة أطباق مغطاة بسفر الطعام ، ففرح ، ولما كشفوها كان في أحـد الأطبـاق ذهب ، وفي الثاني فضّـة ، وفي الثـالث لؤلؤ وجـواهـر ، وبقي على حالته هذه اثنى عشر يوماً ومات ، فجاءوا إليه فوجدوه قد أكل ساق خفّه ، وقد أخذ السرموجة (الحذاء) وحطّها في فيه ، وعضّ عليها بأسنانـه ، وهو ميت . (النجوم الزاهرة ٩/١٨) .

وفي السنة ٧١٠ مات الأمير بكتـوت بدر الدين الفتاح ، من كبار الأمـراء بمصـر ، في سجن الإسكندريـة ، وكان مـوته بـالجوع والعـطش ، وكـان قـد اختصّ بالمظفر بيبرس لما تسلطن ، وسار معه إلى الصعيد ، ولما عاد النـاصر محمـد بن قلاوون إلى السلطنـة ، وقتل بيبـرس ، قـدم بكتـوت على النـاصـر

طائعاً ، فأكرمه ، ثم قبض عليه وسجنه بالإسكندرية ، وترك أحد عشر يوماً بلا مأكول ولا مشروب ، فمات (الدرر الكـامنـة ٢/ ٢٣) .

وفي السنـة ٧١٠ اعتقـل السلطان الملك محمـــد بن قـلاوون ، الأميــر برلغي الاشرفي ، وضيّق عليه ، ومنع من دخول الطعـام والشراب إليـه ، حتى يبست أعضاؤه وخرس لسانه من شدّة الجوع ،ثم مات (النجوم الزاهرة ٩/ ١٧ و٢١٦) .

ولمـا استـولى تيمـورلنـك على هـراة ، حبس سلطانهـا السلطان غيـاث الدين بن السلطان حسين،ومنع عنه الطعام والشراب حتى مـات جوعـاً وعطشـاً (اعلام النبلاء ٢/ ٤٨٩) .

الباب السادس عشر

القتل بصنوف العذاب

يحتوي هذا الباب، على أخبار القتل الذي تمّ بألوان من العذاب، غير ما سبق أن فصّلناه من القتل بالسيف، وبأنواع السلاح الأخرى، وبالنار، وبكتم النَفَس.

ويشتمل هذا الباب، على أربعة عشر فصلاً :

الفصل الأول : القتل بالتفزيع .

الفصل الثاني : القتل بالبرد .

الفصل الثالث : القتل بالفصد .

الفصل الرابع : القتل بقصف الظهر .

الفصل الخامس : القتل ببقر البطن .

الفصل السادس : القتل بدقّ المسامير في الآذان .

الفصل السابع : القتل بطرح الإنسان للسباع .

الفصل الثامن : القتل بالطرح من شاهق .

الفصل التاسع : القتل بتحطيم الرأس .

الفصل العاشر : القتل بتمزيق البدن .

الفصل الحادي عشر : القتل بتقطيع الأوصال .

الفصل الثاني عشر : القتل والتعذيب بالسلخ .

الفصل الثالث عشر : القتل بالنشر بالمنشار .

الفصل الرابع عشر : القتل بألوان أخرى من العذاب .

الفصل الأول

القتل بالتفزيع

ويحصل بتخويف المعذّب ، والتهويل عليه ، وإحضاره في الوقت الذي يعذّب فيه غيره من الناس .

وموّرست هذه العقوبة ، على فاطمة ابنة يعقوب بن الفضل الهاشمي ، وعلى خديجة زوجة يعقوب ، فإنّ المهدي العباسي اتّهمهما بالزندقة ، وفُزِّعتا بأن ضرب على رأسيهما بشيء يقال له : الرعبوب ، فماتتا فزعاً . (الطبري ١٩١/٨).

ولما سيطر أحمد بن طولون على مصر ، كان على البريد بها شقير الخادم ، فاتّفق شقير مع أحمد بن المدبّر ، عامل الخراج بها ، وسعياً باحمد بن طولون إلى الخليفة ، وبلغ احمد ذلك ، فاعتقل شقيراً ، وأحضره ، وأمر بأن يجلد ، فأخذه الذعر ، فمات (المكافأة ١١٤).

وقد مارس المحسّن بن الفرات في السنة ٣١٢ ذلك على محمد بن نصر ، وكيل أبي الحسن علي بن عيسى بن الجرّاح ، فإنّه أدخل إلى ديوانه ، فرأى ما يلحق الناس من المكاره بحضرة المحسّن ، فمات من الفزع . (تجارب الأمم ١٣٢/١).

الفصل الثاني

القتل بالبرد

ومن ألوان العذاب ، أن يعرّى المعذّب ، ويصبّ عليه الماء البارد ، في الشتاء ، أو أن يحرم من الدثار ، ويترك في الجوّ البارد حتى يموت .

وأوّل من مارس هذا النوع من العذاب ، على ما بلغنا ، الوليد بن عبد الملك الأموي ، فإنّه في السنة ٨٨ أمر بهدم حجر أزواج الرسول صلوات الله عليه ، وإضافتها إلى المسجد ، فلما شرع في ذلك ، غضب خبيب بن عبدالله بن الزبير ، وصاح : اليوم محيت آية من كتاب الله تعالى ، يريد بذلك الآية الكريمة : إنّ الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (٤ م الحجرات ٤٩)، فكتب بذلك صاحب البريد إلى الوليد ، فأمر الوليد بأن يجلد خبيب مائة سوط ، وأن يصب على رأسه قربة ماء بارد ، فضرب في يوم بارد ، وصبّ على رأسه الماء ، فمات (العيون والحدائق ٣/٤).

وفي السنة ٢٣٦ توفّي أبو سعيد محمد بن يوسف المروزي فجأة ، وكان في عسكره بالكرخ ، قد عقد له على اذربيجان وأرمينية ، يريد السفر إليها ، فمات فجأة لبس أحد خفّيه ، ومدّ الآخر ليلبسه، فسقط ميتاً ، فولّى المتوكل ابنه يوسف بن محمد ما كان وليه أبوه من الحرب وأضاف إليه الخراج ، فشخص إلى عمله، ووجّه عمّاله، وفي السنة ٢٣٧ قبض على أحد بطارقة ارمينية ، وقيّده وبعث به إلى سامراء ، فاجتمع عليه بطارقة أرمينية ، وحصروه ، وقتلوه ومن قاتل من جنده ، أمّا من لم يقاتل، فقالوا لهم: ضعوا

ثيابكم ، وانجوا عرايا ، فطرحوا ثيابهم ، ونجوا عراة حفاة ، فمات أكثرهم من البرد ، ونجا بعضهم وقد سقطت أصابعهم . (الطبري ١٨٧/٩) .

وفي السنة ٢٥٢ خلع المعتز أخاه المؤيّد من ولاية العهد ، وقيّده ، وضربه أربعين مقرعة ، وحبسه ، وقتله بالبرد ، بأن وضعه في ثلّاجة ، حيث أجلسه في حجرة ، ونضّدت عليه حجارة الثلج ، فجمد برداً ، ومات (الطبري ٣٦٢/٩ وابن الأثير ١٧٢/٧) .

أقول : وقد عذّب المعتز عند خلعه وقتله ، بعكس ما عذّب به أخاه ، فإنّه حقن بماء مغلّي ، فورم جوفه ، ومات (مروج الذهب ٤٦٢/٢) . أما الشريشي شارح مقامات الحريري ، فذكر أنّ المعتز لما خلع أدخل حمّاماً وأغلق عليه فمات من حرّه (شرح المقامات الحريرية ٢٢٦/١) ، أما صاحب تاريخ الخلفاء ، فذكر أنّ الأتراك هجموا على المعتز ، وجرّوا برجله ، وضربوه بالدبابيس ، وأقاموه في الشمس في يوم صائف ، وهم يلطمون وجهه ، ويقولون له إخلع نفسك ، فخلع نفسه ، وبعد خمس ليال من خلعه ، أخذه الأتراك فأدخلوه الحمّام ، ومنعوه الماء ، ثم سقوه ماء بثلج ، فسقط ميتاً (تاريخ الخلفاء ٣٦٠) .

وذكر الشريشي في كتابه : شرح المقامات الحريرية ٢٢٦/١ أنّ ابن المعتز ، لما قبض عليه المقتدر ، أمر به فرمي في صهريج فيه ماء ، فمات من شدّة البرد ، وقال : إنّ من العجائب أنّ أباه المعتز ، لما خلع عن الملك ، أدخل حمّاماً ، وأغلق عليه ، فمات من حرّه .

وفي السنة ٤٠٣ قتل شمس المعالي قابوس بن وشمكير بالبرد ، تآمر عليه قوّاده ، وذلك إنّه كان عنيفاً معهم ، يقتل على الذنب اليسير ، فتآمروا عليه واعتقلوه ونصبوا ولده مكانه ، وحملوه إلى قلعة جناشك ، وتركوه حتى إذا دخل إلى المرحاض أخذوا ثيابه ، وتركوه ، وكان الزمان شتاءً ، والبرد

شـديداً ، فجعـل يستغيث ، ويصيح : أعـطوني ولوجـلّ دابّـة ، فلم يفعلوا ، فمات من شدّة البرد . (ابن الأثير ٩/٢٣٩ وفيات الأعيان ٤/٨١).

وفي السنة ٥١٤ خرج جـوسلين الإفرنجي صـاحب الرهـا ، فأغـار على النقرة والأحص ، وقتل ، وسبى ،وأحرق، ثم قصد تلّ باشـر ، وصنع بهـا كما صنـع بالنقـرة والأحص ، وأخذ المشـايخ والعجـائـز والضعفـاء ، فنـزع عنهم ثيابهم، وتركهم في البرد عراة ، فهلكوا بأجمعهم (أعلام النبلاء ١/٤٣٧).

وفي السنـة ٥٣٤ قبض الـوزيـر البـر وجـردي ، على ثـابت بن حميـد المستـوفي فحبسه في سـرداب بهمذان في الشتـاء بـطاق قميص ، فمـات من البرد ، وأخذ من ماله ثلثمائة ألف دينار. (المنتظم ١٠/٨٧).

الفصل الثالث

القتل بالفصد

والعذاب بالفصد ، من أخف ألوان العذاب ، وأقلّها أذى ، ولا يتأتّى إلاّ بمزيد من العناية .

وممن اختار القتل بالفصد ونزف الدم ، عبد يغوث بن صلاءة بن ربيعة ، من قحطان ، قائد قومه من بني الحارث ، فإنّه أسر في بعض الوقائع ، وخيّر كيف يرغب أن يموت ، فاختار أن يشرب الخمر صرفاً ، ويقطع عرقه الأكحل ، فمات نزفاً . (الأعلام ٤/٣٣٧) .

ولما أراد الخليفة المعتضد ، أن يقتل أستاذه ونديمه ، الفيلسوف أبا العبّاس احمد بن الطيّب السرخسي ، في السنة ٢٨٦ ، بعث إليه يقول : لك سالف خدمة ، فاختر أيّ قتلة تحبّ أن أقتلك ؟ فاختار أن يفصد ، ويترك فصاده من دون شدّ ، فقتل بتلك القتلة (الوافي بالوفيات ٧/٦) .

وغضب زيادة الله بن الأغلب ، صاحب إفريقية (ت ٣٠٤) ، على طبيبه إسحاق بن عمران ، الملقّب بسمّ ساعة ، فأمر به ففصد في ذراعيه جميعاً ، وسال دمه حتى مات ، ثم صلبه على جذع ، فطال مقامه مصلوباً حتى عشّش في جوفه صقر لطول مقامه (طبقات الأطباء والحكماء لأبن جلجل ٨٥- ٨٦) .

وفي السنة ٦٦٩ قتل عبد الحق بن إبراهيم الإشبيلي ، من الفلاسفة

القائلين بوحدة الوجود ، ونسبت إليه أقوال مخالفة للشريعة ، فصد بمكّة ، وترك دمه يجري، حتى مات نزفاً . (الأعلام ٤/٥١).

ولما اعتقل السلطان علي بن عثمان المريني ، سلطان المغرب ، أخاه عمر ، وأحضره إلى فاس في السنة ٧٣٤ قتله فصداً وخنقاً . (الاعلام ٥/٢١٤ ونفح الطيب ٥/١٥٥-١٥٦).

الفصل الرابع

القتل بقصف الظهر

في السنة ١٢٦ تسلّم يوسف بن عمر الثقفي ، أمير العراق لهشام وللوليد بن يزيد، خالد بن عبدالله القسري ، سلفه في حكم العراق ، وعذّبه ، وقتله بأن وضع قدميه بين خشبتين ،وعصرهما حتى انقصفتا، ثم رفع الخشبتين إلى ساقيه ، وعصرهما حتى انقصفا ، ثم إلى وركيه ، ثم إلى صلبه ، فلما انقصف صلبه مات ، وهو في كلّ ذلك لا يتأوّه ، ولا ينطق (وفيات الأعيان ٢/٢٢٩).

وفي السنة ٦٨٣ قتل السلطان أحمد بن هولاكو ، بقصف ظهره (الحوادث الجامعة ٤٣٦).

أقول : تسلطن أحمد عند وفاة أخيه أباقا بن هولاكو ، في السنة ٦٨٠ ، وكان اسمه تكودار ، فلما تسلطن أعلن إسلامه ، وتسمّى بأحمد . فتغيّر عليه بعض قوّاده لما أسلم ، وخرج عليه أرغون بن أباقا أخيه ، وكان أرغون على خراسان ، فانتصر أحمد ، وأسر أرغون ، ولكنّه أهمل التوثّق منه ، فأطلقه بعض القوّاد ، وقصدوا أحمد ، ففرّ منهم ، وقبضوا عليه ، وقتلوه ، فكانت سنّه لما قتل بضعاً وعشرين سنة . (تاريخ أبي الفداء ٤/١٦-١٧ وشذرات الذهب ٥/٣٨١).

الفصـل الخامـس

القتل ببقر البطن

البقر : الفتح ، والشق ، والتـوسيع، ويصـرف إلى شقّ البطن ، والبقيـر من النوق : التي شقّ بطنها عن ولدها .

وأوّل مـا بلغنا عن هـذا اللون من العذاب ، مـارسه عبيـدالله بن زياد ، بميثم التمّـار ،أحد رجال الشيعة ، إذ أمر به فعلّق على خشبـة ، ثم أمر بـه أن يلجم ، ليحـول بينه وبين الكـلام ، وفي اليوم الثـالث ، أمر بـه فبقرت بـطنـه بحربة ، فسال أنفه وفمه دماً ، ومات. (تاريخ الكوفة ٢٨٤ـ ٢٨٧) .

وأغار الجحّاف وأصحابه على بني تغلب ، فقتل الرجـال ، وبقر بـطون الحوامل ، وقتل من لم تكن حاملاً ، راجع تفصيـل ذلك في هـذا الكتاب في الباب التاسع عشر « المرأة » الفصل الخامس « الوان أخرى من القتل » .

ومـارس هـذا اللون من العـذاب ، من بعـده ، أسـد القسـري ، أميـر خراسان ، فإنّه بعث إلـى أهالي التبوشكـان جنداً ، بقيـادة الكرمـاني ، فنزلـوا على حكمــه ، فحكم ببقــر بــطون خمسين منهم ، وألقــاهم في نهــر بلخ (الطبري ٣٣٧/٧) .

وفي السنة ١٣٠ تصدّى ابنـا جمانـة المراديـان باليمن ، لعبد الملك بن محمد بن عطيـة ، أحد قـوّاد مروان الجعـدي ، وقتلاه ، فقصـدهم الوليـد بن عروة ، ابن أخي عبد الملك ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وبقر بطون النساء ،

وقتل الصبيان ، وحـرّق بالنـار من قدر عليـه منهم (ابن الأثير ٥/٣٩١ـ ٣٩٢ـ ٤٠٢).

وفي السنـة ٣١٥ هجم قـوم من جنـد مـرداويـج ، عليـه ، وكـان في الحمّام ، فقاتلهم بكـرنيب فضّة كان في يده ، فشقّ بعض الأتـراك المهاجمين بطنه ، ولما خرجت حشوته ، ظنّ أنّه قتله ، فلما خـرج إلى أصحابـه ، قالـوا له : اين رأسه ؟ وعادوا لحزّ رأسه ، فوجدوه قد قام بين سريرين في الحمّام ، وردّ حشوة بطنه وأمسكها بيـده ، وكسر جـامة الحمّـام ، وأعانـه قيّم الحمام ، وهمّ بالخروج من ذلـك الموضـع إلى سطح الحمّـام ، فحزّوا رأسـه (تجارب الأمم ١/١٦٣).

وقتل الحاكم الفاطمي ، بمصر ، ركـابياً لـه ، بحربـة في يده ، وتـولّى شقّ بطنه بيده (النجوم الزاهرة ٥٨).

وفي السنة ٦٢٠ قتل جنـديّان أخـوان، ببغداد طبيب الخليفـة الناصـر ، واسمه صاعد بن هبة الله ، فأخذا إلى موضع الجريمة وشقّ بطناهمـا ، وصلبا (تاريخ الحكماء ٢١٣ـ ٢١٤).

الفصـل السادس

القتل بدقّ المسامير في الآذان

ومن ألوان العذاب التي تدلّ على القسوة ، دق المسـامير أو الأوتـاد في الآذان .

وأوّل من مـارس هذا اللون من العـذاب، على ما بلغنـا عمرو بن الليث الصفّار ، فإنّه انتبه ذات ليلة ، فوجد أحد غلمانـه ، من الحراس ، واقفـاً وقد أغفى ، فجعل مرفقه على صماخ أذنه ، وغمز عليـه حتى قتله، راجع تفصيـل القصة في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي في القصة رقم ٣/٦٦) .

وعـذّب ابنُ السـلار ، المـوفّق ، بـأن دقّ في أذنــه مسمـاراً ، فقتله ، وتفصيل القصة أنّ أبا الحسن علي بن السلار ، الملقّب بالملك العادل ، وزير الظافر الفاطمي ، كان قبـل الوزارة ، من آحـاد الأجناد ، فـدخل يـوماً إلى الموفّق ، أبي الكرم التنيسي ، وكان يتولّى الديوان ، فشكا إليه من غرامة ألزم بها ، فقال له الموفّق : إنَّ كلامك هذا ما يـدخل في اذني ، فحقـدها عليـه ، وطلبه لما استوزر ، حتى ظفر به ، فأمر بإحضار لوح خشب ومسمـار طويـل ، وأمر به فـألقي على جنبه ، وطـرح اللوح تحت أذنه ، ثم ضـرب المسمار في الأذن الأخرى ، وصار كلمـا صرخ يقـول له : دخـل كلامي في أذنـك أم لا ؟ حتى مات . (وفيات الأعيان ٣/٤١٧) .

وكان الأمير سيف الـدين الناصـري (ت ٧٣٨) مشدّ الـدواوين بمصر ، يعذّب الناس بضرب الأوتاد في آذانهم . (الوافي بالوفيات ٩/٣٤٨) .

الفصل السابع

القتل بطرح الإنسان للسباع

كان هذا اللون من العذاب ، يمارس منذ أقدم الأزمنة ، بطرح الأسير للسباع ، تفترسه ، أو للكلاب تنهشه ، أو للفيلة ، تعذّبه أو تقتله .

وأقدم ما بلغنا عن هذا اللون من العذاب ، ما كان يجري في حفلات الرومان التي يجمعون فيها بين الحيوانات المفترسة ، وبين الأسرى .

أما في العهد الإسلامي ، فإنَّ أوّل من مارس هذا اللون من العذاب ، الحجّاج بن يوسف الثقفي ، السيء الصيت ، فإنّه حبس الزاهد ، ابراهيم بن يزيد التيمي ، ومنع عنه الطعام، ثم أرسل عليه الكلاب في السجن تنهشه ، حتى مات (اللباب ١ / ١٩٠) .

ويروى أنّ الرشيد ، قتل يحيى بن عبدالله العلوي ، بأن أجاع السباع ثم طرحه إليها ، فأكلته (مقاتل الطالبيّين ٤٨٢) .

وجيء للمعتصم ، برجل قد رمي ببدعة ، فأمر به فألقي للسباع ، (مروج الذهب ٢ / ٤٤٥) .

وأمر بحكم ، أمير الأمراء ، بأن يطرح أربعة اشخاص ، للسباع ، فطرحوا إليها في البركة التي بناها بالنجمي ، ببغداد في الجانب الغربي . (الأوراق للصولي ، اخبار الراضي والمتّقي ١٤٤) .

وغضب المعتضد على أحد وزرائه ، لما ظهر عليه أنّه تعشّق فتاة ، فأغرى بعض الشهود ، فشهدوا بأنّه قد تزوّجها ، فأمر المعتضد بصلب الشهود ، وأن يوضع الوزير في جلد ثور طريّ السلخ ، وأن يضرب بالمزارب حتى يختلط عظمه بلحمه ، ثم مر أن يرمي للسباع ، فألقي إلى النمور ، فأكلت لحمه ، ولعقت دمه (تحفة المجالس للسيوطي ٣١١ ـ ٣١٤) .

وفي السنة ٣٦٧ حمل ابن بقيّة ، وزير عزّ الدولة بختيار ، إلى عضد الدولة ، وكان نازلاً بالزعفرانية ، فشهر في العسكر على جمل ، ثم طرح بباب حرب إلى الفيلة ، وأضريت عليه ، فقتلته ، وصلب على شاطىء دجلة في رأس الجسر بالجانب الشرقي ثم نقل إلى الجانب الغربي بحضرة البيمارستان العضدي (تجارب الأمم ٢ / ٣٨٠ ووفيات الاعيان ٥/ ١١٩) .

وفي السنة ٣٦٩ أخذ عضد الدولة ، عبد العزيز بن محمد المعروف بالكراعي ، أسيراً ، وكان قد قصد البصرة ليستولي عليها ، فثار به أصحاب عضد الدولة ، وأسروه وشهر بالبصرة ، وعوقب ، ثم أنفذ إلى بغداد ، فشهر منصوباً على نقنق في سفينة ، وعلى رأسه برنس ، ثم طرح الى الفيلة ، فخبطته ،وصلب إلى جانب ابن بقيّة . (تجارب الامم ٢ / ٤١٤) .

وذكر التنوخي ، في نشوار المحاضرة ، في القصّة المرقمة ٩٢/٨ أنّ الفيل في الهند ، يقوم مقام الجلّاد ، فإذا أرادر الملك قتل إنسان ، سلّمه إلى الفيل ، فيكلّمه الفيّال في أن يقتله ، فيقتله بألوان من القتل ، منها : أنّه ربما لفّ خرطومه على رجل الرجل ، ويضع إحدى يديه على ساق الرجل الأخرى ، ثم يعتمد عليه ، فإذا هو قد خرق الرجل بنصفين ، من أوّله إلى آخره ، وربما ترك الرجل ، وآستعرضه بالعرض ، ثم وضع يده على بطنه ، فيسحقه .

ووصف ابن بطوطة ، كيفية حصول ذلك ، فذكر أنّ ثمة فيلة تدرّب على ذلك ، وتكسى أنيابها حدائد مسنونة ، تشبه سكك الحرث ، ولها أطراف

كالسكاكين ، ويركب الفيّال على الفيل ، فإذا رمي بالرجل بين يديه ، لفّ خرطومه عليه ، ورمى به في الهواء ، ثم يتلقّفه بنابيه ، ويطرحه بعد ذلك بين يديه ، ويجعل يده على صدره ، ويفعل به ما يأمره به الفيّال ، على حسب ما أمره به السلطان ، فإن أمره بتقطيعه ، قطّعه الفيل قطعاً بتلك الحدائد ، وإن أمر بتركه ، تركه مطروحاً ، فسلخ (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/١٠١) .

وفي السنة ٤٤٩ توجّه السلطان طغرلبك السلجوقي ، إلى نصيبين ، وبعث هزارسب في ألف من جنده ، فحارب الأعراب ، وقتل منهم ، وأسر ، وحمل الأسرى إلى السلطان ، فلما أحضروا بين يديه ، قال لهم : هل وطئت لكم أرضاً ، أو أخذت لكم بلداً ؟ قالوا: لا ، قال : فَلِمِ أتيتم لحربي ؟ ، وأحضر لهم الفيل فقتلهم جميعاً ، إلّا صبياً أمردَ امتنع الفيل عن قتله ، فعفا عنه السلطان . (ابن الاثير ٩/٦٢٨) .

وفي السنة ٤٨٨ جرح السلطان بركياروق ، جرحه سجزيّ كان ستريّاً على بابه ، فأخذ الجارح ، وأقرّ على رجلين آخرين ، فأحضرا ، وقرّرا ، فآعترفا ، ولم يقرّا على من أمرهما بذلك ، فترك أحدهما تحت يد الفيل ، ثم قتلوا . (التنظيم ٩/٨٦ و٨٧ والكامل لابن الاثير ١٠/٢٥١ و٢٥٢) .

ولما خالف الأمير عين الملك ، على السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، وآنكسر جيشه ، ووقع أسيراً في يد السلطان ، أحضره السلطان بعد المغرب ، وجيء باثنين وستّين رجلاً من كبار أصحاب عين الملك ، وجيء بالفيلة ، فطرحوا بين أيديها ، فجعلت تقطّعهم بالحدائد الموضوعة على أنيابها ، وترمي بعضهم إلى الهواء، ثم تتلقّفه ، والأبواق ، والأنقار (النقّارات) والطبول ، تضرب عند ذلك ، وعين الملك ، واقف يعاين مقتلهم ، ويطرح من أشلائهم عليه ، ثم أعيد إلى محبسه . (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/١١٠) .

وحدث أن تآمر ابن أخت الوزير خواجه جهان ، مع أمراء آخرين ، على قتل خاله ، والفرار إلى الشريف الثائر ببلاد المعبر ، وانكشف أمرهم ، فبعث بهم الوزير إلى السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، فأفرد السلطان ابن اخت الوزير عن رفاقه وبعث به إلى خاله ، أمّا الباقون فطرحوا للفيلة «المعلّمة قتل الناس فقتلتهم» أما ابن أخت الوزير ، فإنّ خاله أمر به فطرح للفيلة ، ثم سلخ جلده ، وحشاه تبناً (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/١٠١ و١٦٩) .

وفي السنة ٧٤١ أفسد المعازبة ، بالتهائم ، في اليمن ، فهاجمهم السلطان المجاهد ، صاحب اليمن ، وقتل منهم عدّة مستكثرة ، ورمى بعضهم للفيلة ، وغرّق الباقين ، في البحر ، ثم آل أمرهم ألى أن شيخّ عليهم آمرأة يقال لها : بنت العاطف ، وكساها ، فكانت تركب دابة من الحمر ، أو ناقة ، وتقود المعازبة بأسرهم (الضوء اللؤلؤية ٢/٦٩) .

وفي السنة ٧٤٥ مات زين الدين البدوي ، وهو أموي النسب ، ولد سنة ٦٨٥ وذكر عنه أنّه كان بالمستنصرية ببغداد ، واتّهمه ملك التتار بمكاتبة المصريين ، فألقاه وآخر من أصحابه إلى الكلاب ، فأكلت الكلاب رفيقه ، ولم تؤذه ، فأطلقوه ، ثم قدم دمشق ، واتّفقت له كائنة ، فسجن بقلعة دمشق ، وكان الشيخ ابن تيمّية قد سجن فيها ، وأقام مسجوناً بعده خمس سنين ثم أطلق (الدرر الكامنة ٣/٢٥٧ و٢٥٨) .

وفي السنة ٨٠٣ حصر تيمورلنك دمشق ، وانتشرت عساكره في ظاهرها ، تتخطّف الناس ، وكان تيمور يلقي من ظفر به تحت أرجل الفيلة (شذرات الذهب ٧/٦٤) .

وفي السنة ٨٠٣ قتل تيمورلنك الأمير سودون ، قريب الظاهر برقوق ، وكان نائب السلطنة بالشام ، فلما استولى تيمورلنك على دمشق ، أحضره ، ووبخه لأنّه قتل رسول تيمورلنك إليه ، ثم أمر بتعذيبه ، وأمر بإلقائه تحت الفيلة فقتل ولم يتعدّ الثلاثين من عمره (الضوء اللامع ٣/٢٨٤) .

ولمـا ثـار الأميـر علي قلي خـان زمـــان ، على السلطان أكبـر ، سلطان الهنـد ، وحاربـه أكبر ، وآنتصـر عليه ، أمـر بالاسـرى من جيش قلي خـان ، فـطرحوا للفيلة ، فمـزقتهم ، وكانت هـذه عادة متّبعـة في الهنـد . (الاسـلام والدول الاسلامية في الهند ٦٩) .

وذكـر أنّ السلطان جهانكيـر سلطان الهنـد ، كـان يتلهّى ، بـأن يحضـر بعض الرجال ، ثم يـطلق عليهم السبع ، ولا يبـرح المكان حتى يـظفر بـرؤية الرجل مقطعاً إرباً . (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ٨٩) .

وروى القبطان هوكز الانكليزي ، أنّ السلطان جهانكير ، سلطان الهنـد ١٠١٤ ـ ١٠٣٧ (١٦٠٥ ـ ١٦٢٧ م) كان شديـد القسوة ، وكـان مما يسـرّ له أن يـرى الأفيـال ، وهي تقـطّع المحكـوم عليهم إربـاً . (الاسـلام والــدول الاسلامية في الهند ٨٩) .

وكـان سنتاجي ، مستشـار دولة المـاهراتـا في الهند ، قـوي الشخصيـة شديد التمسّك بالنظام ، وكان يأمر بمن ارتكب أقلّ هفوة ، فيلقى تحت أرجل الفيلة . (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ١٦٢) .

الفصل الثامن

القتل بالطرح من شاهق

التعـذيب بـالـطرح من شـاهق ، لـون من ألـوان العذاب التي مـارسهـا المتسلطون من القـديم ، وأوّل ما بلغنـا عن هذا اللون من العـذاب ما صنعـه النعمان ، أحد ملوك العرب ، بسنمّار ، فقد بنى له قصراً لا مثيل له ، وخشي النعمان أن يبني مثله لغيره ، فـأمر بـه فألقي من أعلى القصـر، فقال النـاس ، في مقابلة الحسنة بالسيئة: جازاه جزاء سنمّار ، وذهبت مثلاً .

وقـد مـارس هـذا اللون من العـذاب ، عبيـد الله بن زيـاد ، فـإنّـه رمى قيس بن مسهر ، من أعلى القصر ، فتقطّع (تاريخ الكوفة ٢٧٣) .

أقول : لما قصد الحسين العراق في السنة ٦٠ بعث في مقدمته قيس بن مسهر الصيداوي رسـولاً ، فأخـذ وحمل إلى ابن زيـاد ، فقال لـه عبيد الله بن زياد : إصعد إلى القصر ، وسبّ الكذّاب بن الكذّاب ، فصعد ، وقـال : أيّها الناس ، إنّ الحسين بن علي ، خير خلق الله ، ابن فـاطمة بنت رسـول الله ، وأنا رسوله إليكم ، فأجيبوه ، ولعن عبيد الله بن زياد وأباه ، فـأمر بـه عبيد الله فـألقي من أعلى القصر ، فتقـطّع ومات ، وعلم الحسين بخبـره من مجمع بن عبد الله العائذي . من أهل الكوفة ، لمـا أخبره بحقيقـة حال أهـل الكوفـة ، فقال : أمّا أشراف الناس فقد أعظمت رشـوتهم ، وملئت غرائـرهم ، يستمال ودّهم ، وتستخلص نصيحتهم ، فهم إلب واحـد عليك ، وأمّـا سـائـر النـاس بعد ، فإنّ افئدتهم تهوي إليك ، وسيوفهم غداً مشهورة عليـك ، أمّا رسـولك

قيس بن مسهر ، فقد أخذه الحصين بن تميم ، فبعث به إلى ابن زياد ، فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك ، فصلّى عليك وعلى أبيك ، ولعن ابن زياد وأباه ، ودعا إلى نصرتك ، وأخبرهم بقدومك ، فأمر به ابن زياد، فألقي من طمار القصر (الطبري ٥/٤٠٥) .

وظفر عبيد الله بن زياد ، في السنة ٦٠ برسول آخر بعث به الحسين إلى الكوفة ، لما قصد العراق ، وهو أخوه من الرضاعة ، عبد الله بن بقطر ، فأخذه الحصين بن تميم بالقادسية ، وبعث به إلى ابن زياد ، فقال له عبيد الله : اصعد فوق القصر ، والعن الكذّاب بن الكذّاب ، ثم انزل حتى أرى فيك رأيي ، فصعد ، فلما أشرف على الناس ، قال : أيّها الناس ، إنّي رسول الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، لتنصروه ، وتؤازروه ، على ابن سميّة الدعيّ ، فأمر به عبيد الله ، فألقي من فوق القصر إلى الأرض ، فكسرت عظامه ، وبقي به رمق ، فأتاه عبد الملك بن عمير اللخمي ، فذبحه ، فلما عيب ذلك عليه ، قال : إنّما أردت أن أريحه (الطبري ٥/٣٩٨) .

ولما أسر عبيد الله بن زياد مسلم بن عقيل ، أحضره أمامه ، وقال له : قتلني الله أن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد من الناس في الإسلام ، ثم أمر به فأصعدوه إلى أعلى القصر ، حيث رمي به من شاهق ، فقال فيه الشاعر : (مقاتل الطالبيين ١٠٧ و١٠٨وابن الاثير ٤/٣٥ و٣٦) .

إذا كنت لا تدرين ما الموت فانظري ... إلى هانيء في السوق وآبن عقيل
إلى بطلٍ قد هشّم السيف وجهه ... وآخر يهوي من طمار قتيل

وكان عبيد الله بن زياد ، إذا غضب على رجل ، ألقاه من فوق قصر الكوفة . (أنساب الاشراف ٤/٢/٨٤) .

وقدم ابن عائشة (المغنّي) من عند الوليد بن يزيد بالشام ، فدعا به

إبراهيم بن هشام المخزومي ، أمير المدينة ، وسأله المقام عنده ، فأجاب ، فلما أخذوا في شربهم ، أخرج المخزومي جواريه، فنظر إلى ابن عائشة وهو يغمز جارية منهنّ ، فقال لخادمه ، إذا خرج ابن عائشة يريد حاجته ، فآرم به ، فلما قام ليبول ، رمى به الخادم من فوق السطح ، فمات . (الاغاني ٢٣٦/٢) . والوافي بالوفيات ١٨٢/٣) .

وكان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، من أقسى الناس قلباً ، غضب على غلام له ، وهو جالس في غرفة بإصبهان ، فأمر بأن يرمى به منها ألى أسفل ، ففعل به ذلك ، فسقط ، وتعلّق بداربزين كان على الغرفة ، فأمر بقطع يده التي أمسك بها ، فقطعت ، وخرّ الغلام يهوي ، حتى بلغ الأرض ، فمات . (الاغاني ٢٣٢/١٢ ومقاتل الطالبيين ١٦٣) .

وفي السنة ٢٥٠ رمي أبو العبر محمد بن أحمد العباسي من فوق سطح ، فقتل ، وكان شديد الميل على العلويين والهجاء لهم ، قتل بقصر ابن هبيرة ، وقد خرج لأخذ أرزاقه من هناك ، فسمعه قوم من الشيعة يتنقّص علياً عليه السلام ، فرموا به من فوق سطح فمات (معجم الادباء ٢٧١/٦) .

وطولب محمد بن جعفر بن الحجّاج ، ونصب على دقل ، وجعل في رأس الدقل بكرة ، فيها حبل ، وشدّت يدا ابن الحجّاج في الحبل ، ورفع إلى أعلى الدقل ، ثم أرسل مرّة واحدة فسقط على الشخص القائم بتعذيبه ، فقتله (الوزراء للصابي ١٣٨) .

وفي السنة ٣١٦ استولى أسفار الديلمي على طبرستان ، ثم استولى على قزوين وآذى أهلها ، فدعوا عليه في الصحراء ، فسمع مؤذن الجامع يؤذّن ، فأمر به فألقي من المنارة إلى الأرض . (ابن الأثير ١٩٣/٨) .

وفي السنة ٣٤٢ اتّهم صاحب قلعة سميرم ، طبّاخاً خاصاً بالمرزبان

صاحب أذربيجان ، وكان معتقلاً عنده ، فأمر بالطبّاخ ، فرمي من قلّة القلعة ، فهلك (تجارب الأمم ٢/ ١٥١) .

وفي السنة ٣٨٢ أوجس أبو علي بن مروان ، من أهالي ميافارقين شرّاً ، وكانوا قد استطالوا على أصحابه ، فأمسك عنهم إلى يوم العيد ، فخرجوا إلى الصحراء ، فلما تكاملوا خارج البلد ، أخذ أبا الصقر شيخ البلد وألقاه من أعلى السور ، وقبض على من كان معه ، وأغلق أبواب البلد ، وأمر أهل ميافارقين ، أن ينصرفوا حيث شاءوا ، ولم يمكّنهم من العودة ألى البلدة ، فذهبوا كلّ مذهب (ابن الاثير ٩/ ٧٢) .

ولما حاصر أبو الفضل بن العميد، قلعة خست ، بنواحي نيسابور ، جدّ المحصورون في محاربته ، فأسر منهم خمسين رجلاً ، وأراد أن يقتلهم قتلة يرهب بها من في القلعة ، فأمر بالأسارى ، فرمي بهم من رأس الجبل الذي عليه القلعة ،فكان الواحد منهم يصل إلى القرار قطعاً ، راجع التفصيل في القصة ٣٩٧ من كتاب الفرج بعد الشدّة للقاضي التنوخي ، وكيف نجا من هؤلاء غلام ما بقل وجهه ، رماه من الجبل مرتين فلم يلحق به مكروه .

وفي السنة ٤٩٠ فتح الصليبيون القدس ، فجمعوا اليهود في الكنيس وأحرقوهم ، أمّا المسلمون فقد قتلوا منهم سبعين ألفاً ، رموا قسماً منهم من أعالي البروج والبيوت ، وذبحوا الباقين . (خطط الشام ١/ ٢٨٢) .

وفي السنة ٥٠٧ تسلطن بحلب ، ألب أرسلان بن رضوان بن تتش السلجوقي ، فاستأصل الباطنية ، واستصفى أموالهم ، ورمى قسماً منهم من أعلى القلعة (اعلام النبلاء ١/ ٤١٥) .

وفي السنة ٥٢٩ اتّهم الامير حسن بن الحافظ الفاطمي أحد الأستاذين من خدم أبيه الحافظ ، بالتآمر عليه ، فأمر به فأصعد إلى أعلى القصر الغربي ورمي به فقتل (خطط المقريزي ٢/ ١٨) .

وفي السنة ٥٣٨ أخذ ببغداد رجل يقال أنّه فسق بصبي ، فحبس في جبٍّ ، ثم رقي إلى رأس منارة سعادة، ثم رمي به إلى الأرض ، فهلك (المنتظم ١٠/١٠٨) .

وفي السنة ٥٥٠ ثار أهالي غزنة على سيف الدين الغوري ، رغم إحسانه إليهم ، وأسروه ، وصلبوه ، بعد أن سوّدوا وجهه ، وأشهروه راكباً على بقرة ، فتجّهز علاء الدين الحسين ، ملك الغور ، أخو سيف الدين ، وقصد غزنة ، وفتحها عنوة ، وأخذ الذين أعانوا على أخيه ، فعاقبهم بألوان من العقوبات ، وألقى بعضهم من رؤوس الجبال (ابن الاثير ١١/١٦٤ - ١٧٠) .

وذكر ابن الأبّار ، في تحفة القادم ، أنّ إبراهيم بن أحمد بن همشك (ت ٥٧٢) ، كان قد ملك في الفتنة جيّان ، وشقورة، وكثيراً من أعمال غرب الأندلس ، وكان يعذّب الناس بالتعليق ، والتحريق ، ولا يتناهى عن منكر فعله من رميهم بالمجانيق ، ودهدهتهم كالحجارة من أعالي النيق ، فقال فيه الشاعر : (الوافي بالوفيات ١/٢١٤) .

هَمَشْكُ ضَم من حر فين من همّ وشكّ
فعين الدين والدنيا لإمرته أسىً تبكي

وإبراهيم هذا ، هو إبراهيم بن أحمد بن مفرّج ، وكان مفرّج نصرانياً من قشتالة ، أسلم على يد أحد بني هود ، وكانت إحدى أذنيه مقطوعة ، فكان الأسبان ، إذا رأوه في المعركة ، عرفوه من أذنه المقطوعة ، وقالوا بالاسبانيّة : همشك ، أي المقطوع الأذن ، وآتّصل إبراهيم بيحيى بن غانية ، وآستقلّ بحصن شقوبش ، وتغلّب على شقورة ، وصاهر محمد بن مردنيش ، تزوّج آبنته ، ثم خدم الموحّدين ، وقدم مراكش في السنة ٥٧١ وأقام بمكناس حتى مات ، وكان جّباراً قاسياً ، عظيم العبث بالخلق ، يحرقهم بالنار ، ويطرحهم

من الشواهق ، لزيادة التفصيل راجع ما كتبناه عنه في الفصل العاشر من هذا الكتاب . (الاعلام ١٠/٥) .

ولما استولى الصليبيّون على بيت المقدس ، ارتكبوا جرائم لم يسبق لها نظير، دفعهم إليها التعصّب الأعمى ، إذ كانوا يكرهون المسلمين على إلقاء أنفسهم من أعالي البيوت والبروج ، ويجعلونهم طعاماً للنار ، ويخرجونهم من الأقبية وأعماق الأرض ، ويجرّونهم في الساحات ، ثم يقتلونهم (خطط الشام ١/٢٨٢) .

في السنة ٦٤٢ قبض بدمشق على قاضي القضاة أبي حامد عبد العزيز بن عبد الواحد بن اسماعيل ، الملقب برفيع الدين ، وحمل إلى بعلبك على بغل بغير أكاف ، ثم بعث به إلى مغارة في جبل لبنان ، من ناحية الساحل ، وأرسل إليه شاهدا عدل ببيع أملاكه ، وأوقف على رأس القلعة ، فقال : دعوني حتى أصلّي ركعتين ، فأطال ، فرفسه داود سيّاف النقمة ، فوقع ، فما وصل إلى الماء ، إلاّ وقد تقطّع (شذرات الذهب ٥/٢١٥) .

وعزم السلطان محمد بن تغلق سلطان الهند ، على الإنتقال من دهلي ، فاشترى من أهليها جميعاً دورهم ، ومنازلهم ، وأمرهم بالإنتقال عنها ، وعيّن لهم موعداً ثلاثة أيام ، وبعد انتهاء المهلة ، أمر بالبحث عمّن بقي من أهليها ، فوجد عبيده في أزقتها رجلين ، أحدهما مقعد ، والآخر أعمى ، فأتوه بهما فأمر بالمقعد فرمي به في المنجنيق ، وأمر أن يجرّ الاعمى من دهلي إلى دولة آباد ، مسيرة أربعين يوماً ، فتمّزق في الطريق ، ووصل منه رجله (رحلة ابن بطوطة طبعة صادر ٤٧٩) .

وفي السنة ٩٧٨ حبس الزيديّون في السجن بحصن حب باليمن ، قاضياً رومياً (عثمانياً) وشفلوتاً حبجيّاً ، وكان موضع حبسهما قريباً من مخزن البارود ، فحاولا إتلاف البارود ، وعمدا إلى هرّة ، فربطا في ذنبها فتيلة في

آخرها (شقاقة) وأشعلوا الشقاقة ، وألقوا بالهرّة في مخزن البارود ، فآحترق ، وهدّ جانباً من القلعة ، وأدرك صاحب القلعة إنّ ذلـك كان من صنعهما، فأمـر بهمـا ، فكتّفـا ، ثم ألقى بهمـا من أعلى الحصن ، فتكسّـرت عـظامهمـا ، وتمزّقت أشلاؤهما (البرق اليماني ٤٣٩) .

وفي عهـد السلطان أكبر شـاه ، سلطان الهند (حكمـه ٩٦٣ ـ ١١٤) ، ارتكب أدهم خـان ، ابن مربّيتـه ، جريمـة قتـل شمس الـدين ، رئيس وزراء أكبر ، أمام السلطان ، فـأمر بـأن يحمل وأن يـرمي به من أعلى البنـاء ، فقتله (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ٦٦) .

الفصل التاسع

القتل بتحطيم الرأس

ويحصل بكسر عظام الرأس ، حتى ينتشر الدماغ ، إمّا بضرب الرأس بالأرض ، أو بتحطيمه بالحجارة ، وهذا اللون من العذاب ، يدلّ على قسوة بالغة ، وهو لون قليل الممارسة .

وأوّل ما بلغنا عنه ، إنّ قوماً من كرمان ، يقال لهم القفص والبلوص كانوا يمارسون تحطيم رؤوس أسراهم ، بعد الاستيلاء على موجوداتهم ، ذكر ذلك المقدسي (ت ٣٨٠) في أحسن التقاسيم (ص ٤٨٨ و٤٨٩) فقال : إنّ في بلاد كرمان ، قوماً يقال لهم القفص ، لا خلاق لهم ، وجوههم وحشة ، وقلوبهم قاسية ، لا يبقون على أحد ، ولا يقنعون بالمال حتى يقتلوا من ظفروا به بالأحجار ، كما تقتل الحيّات ، تراهم يمسكون رأس الرجل على بلاطة ، ويضربونه بالحجارة حتى ينصدع ، وقد سألتهم عن ذلك ، فقالوا : لا تفسد سيوفنا ، ولا يفلت منهم أحد ، إلاّ ما ندر ، وكان البلوص أشدّ منهم ، حتى أبادهم عضد الدولة ، وأنكى في هؤلاء أيضاً ، وهم إذا أسروا الرجل ، أمروه بالعدو (الركض) معهم نحو عشرين فرسخاً ، حافي القدم ، جائع الكبد ، وسمعت من جماعة من التجّار : إنّ هؤلاء عندهم أنّ ما يظفرون به من أموال التجّار ، حقّ لهم ، لأنّهم لا يزكوّن أموالهم .

ووصف الوزير أبو شجاع الروذراوري (ت ٤٨٨) في كتابه ذيل تجارب الأمم (ص ٥٨) كيفيّة تخلّص عضد الدولة من القفص والبلوص ، فقال :

إنّ عضد الدولة حين أوغل في بلاد كرمان ، في السنة ٣٦٤ لتنظيفها من القفص والبلوص ، انتهى إليه إنّ قوماً منهم بيوتهم من وراء جبل ، بحيث لا يمكن الوصول إليهم ، إلاّ بعد سلوك مضيق إذا وقف فيه عدد قليل منهم ، منع عسكراً كثيراً ، فلما أيس من الوصول إليها بالقوّة ، أعمل الفكر في الحيلة ، وراسلهم ، بأنّي لا أنصرف عنكم إلاّ بإتاوة ، فقالوا : ما لنا مال نؤدّيه إليك ، فقال : أنتم أصحاب صيد ، وأريد من كلّ بيت كلباً ، فهان عليهم ذلك ، فأنفذ من عدّ بيوتهم ، فأخذ منهم كلاباً بعددها ، ومن شأن الكلب أن يلوذ بصاحبه ، ويبصبص له ، وحوله ، ويحتكّ به ، ويألف بيته ، حتى أنّه إذا أفلت من فراسخ كثيرة ، عاد إلى مربضه ، فأمر أن يشدّ في أعناقها حلق النفط الأبيض ، وتجتمع عند مضيق الجبل ، ثم تضرب النار في النفط ، ويخلى سبيلها ، ويتبعها العسكر ، ففعلوا ذلك ، وأسرعت الكلاب عدواً ، وأحسّ القوم بركوب العسكر ، فلقوهم في المضيق ، وطلب كلّ كلب صاحبه ، لائذاً من حرق النار ، فكلما احتكّ برجل سرت النار إليه ، وأفرجوا عن الطريق ، والكلاب تتبعهم ، وتعدّت النار إليهم ، فاحترق عدد كثير منهم ، وهجمت الكلاب على البيوت ، فخلا أهلها ، وأسرع العسكر وراءهم ، ووضعوا السيف فيهم ، وآستأصلوا شأفتهم .

وفي السنة ٦٠٢ ، قتل ابن الدباغ ، ببغداد ، أمّه ، وسبب ذلك أنّها كتبت له داراً ، فطلب منها الكتاب ، فلم تسلمه إليه ، فظلّ يضرب رأسها بالأرض حتى ماتت ، فأخذ ، وتسلّمه الشحنة ، وحمل إلى باب الأميرية ببغداد ، وضرب رأسه بالأرض ، وهو يستغيث ، حتى مات (الجامع المختصر ١٦٧) .

وبلغ السلطان قطب الدين ، سلطان الهند (ت ٦٠٧) أنّ بعض الأمراء ، على الخلاف عليه ، وتولية ابن أخيه خضر ، وهو صبيّ له عشرة أعوام ، فأمسك قطب الدين بالصبيّ ، وضرب برأسه الحجارة ، حتى نثر دماغه . (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/٤٣) .

الفصل العاشر

القتل بتمزيق البدن

ويتمّ هذا اللون من العذاب ، بأن يربط البدن ، من طرفيه ، ثم يجذب كلّ طرف إلى جهة ، جذباً عنيفاً ، فتتمزّق أوصال البدن تبعاً لقوّة الجذب .

وأوّل من مارس هذا اللون من العذاب ، طاهر بن الحسين ، القائد المعروف ، فإنّ حمزة الخارجي ، دخل في السنة ١٨٠ إلى بوشنج ، وهي بلدة طاهر بن الحسين ، فانتهى إلى مكتب فيه ثلاثون غلاماً ، فقتلهم ، مع معلّمهم ، فغضب طاهر ، وكان يلي بوشنج ، فأتى بلدة فيها قعدة الخوارج ، فقتلهم ، وكان يشد الرجل منهم في شجرتين يجمعهما ، ثم يرسلهما ، فتذهب كلّ شجرة بجزء منه (ابن الاثير ١٥١/٦) .

وكان من جملة ألوان العذاب التي يعذّب بها إبراهيم بن محمد بن همشك ، صاحب شقورة ، رعاياه ، أن يربط الواحد مهم إلى أغصان شجرتين مضموتين ، ثم يطلقهما ، فتذهب أغصان كلّ شجرة بقسم من الاعضاء .

أقول : ذكر الوزير لسان الدين بن الخطيب ، إبراهيم هذا ، في كتابه الإحاطة في أخبار غرناطة (٣٠٥ ـ ٣١١) وقال عنه : إنه كان رئيساً ، جريئاً ، شجاعاً ، مقداماً ، شديد الحزم ، سديد الرأي ، عارفاً بتدبير الحروب ، حمي الأنف ، عظيم السطوة ، مرتكباً للعظائم ، وكان جبّاراً

قاسياً ، فظّاً ، غليظاً ، شديد النكال ، عظيم الجرأة ، والعبث بالخلق ، كـان يعـذّب ، ويحرق بـالنـار ، ويقـذف النـاس من الشـواهق والأبـراج ، ويخـرج الأعصاب والرباطات عن الظهور ، وكان يضم أغصان الشجر العلاي ، بعضها إلى بعض ، ويربط الإنسان بينها ، ثم يطلقهـا ، فيذهب كـلّ غصن بقسم من الأعضاء ، وفي السنة ٥٥٦ حصر غرنـاطة ، وفتحهـا عنوة ، وأسـر من جندهـا جمـاعة ، فـأفحش فيهم المثلة ، بمرأى من إخـواتهم المحصورين ، ثم نهـد إليـه جيش من مـراكش، فـطرده عن غـرنـاطـة، ثم حـاربـه صهـره الأميـر محمد بن مردنيش ، بعد أن طلّق آبنته ، فـآنكسر ابـراهيم ، ولاذ بالمـوحّدين في السنة ٥٦٥ وأقام بمكناسة إلى أن مات .

وأمر هولاكو المغولي ، بالملك الناصر يوسف الأيّـوبي ، صاحب حلب فجمعت له نخلتان ، وربط بينهما ، ثم أطلقتا ، فـراحت كلّ نخلة بشـطر منه (الغيث المسجم في شرح لامية العجم للصفدي ٢/١٣٦) .

وكـان والي القاهـرة علاء الـدين البرواني ، المتـوفى سنة ٧٤٠ ظـالمـاً عسوفاً ، وكان يعلّق الرجل بيديه، ويعلّق الأثقال في رجليـه ، فتنخلع أعضاؤه ويموت (النجوم الزاهرة ٩/٣٢٣) .

وقد مارس هـذا اللون من العذاب ، بعض الأشقيـاء الفجّار في كـركوك بالعراق ، في السنة ١٣٧٩ (١٩٥٩ م) فربـطوا قومـاً من أهالي البلدة ، كـل اسير ألى سيّارتين سارتا في آتّجاهين مختلفين ، فذهبت كـلّ سيّارة بشـطر من البدن .

الفصل الحادي عشر

القتل بتقطيع الاوصال

العذاب بتقطيع الأوصال بالسكّين ، من أشدّ أنواع العذاب ، وأقواها دلالة على القسوة .

وقد مارس هنا اللون من العذاب ، سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلّب ، عامل البصرة للمنصور العبّاسي ، لما قتل عبد الله بن المقفّع ، فإنّه أمر بتنور فسجر ، ثم أمر بابن المقفّع فقطّعت أوصاله عضواً عضواً ، وألقاها في التّنور وهو ينظر ، حتى أتى على جميع جسده (وفيات الاعيان ٢/١٥١ - ١٥٣) .

أقول : قتل سفيان بن معاوية ، عامل البصرة للمنصور ، عبد الله بن المقفّع ، أمره بذلك المنصور العبّاسي ، والسبب في ذلك إنّه كتب كتاب الأمان لعبد الله بن علي ، عمّ المنصور ، لما لجأ عبد الله إلى أخويه عيسى وسليمان بالبصرة ، وكان ابن المقفّع يكتب لهما ، فكان من جملة ما أثبته في الأمان : ومتى غدر أمير المؤمنين بعمّه عبد الله ، أو أبطن غير ما أظهر ، أو تأوّل في شيء من شروط هذا الأمان ، فنساؤه طوالق ، ودوابّه حبس، وعبيده وإماؤه أحرار ، والمسلمون في حلّ من بيعته ، فاشتدّ ذلك على المنصور لما وقف عليه ، وسأل : من الذي كتب الأمان ؟ فقيل له : عبد الله بن المقفّع كاتب عمّيك عيسى وسليمان ، فكتب المنصور الى عامله بالبصرة سفيان بن عيينة ، يأمره بقتله ، وكان سفيان واجداً على ابن المقفّع ، لأنّه كان يعبث

بـه ، ويضحك منـه دائمـاً ، معتمـداً على صلتـه بعمّي الخليفـة ، وكـان ابن المقفّع قد عبث به مرّة ، فغضب منه وافترى عليـه ، فردّ عليـه ابن المقفع رداً فاحشاً ، وقال له : يا ابن المغتلمة ، فلم يتمكّن منه سفيـان ، لأنّه كـان ممتنعاً ومعتصماً بعيسى وسليمان ولدي علي العباسيين ، عمّي المنصور ، فلما كـاتبه المنصور في أمره ، عزم على قتله ، وآستأذن عليه جماعـة من أهل البصـرة ، فـأذن لابن المقفّع قبلهم ، وعـدل به إلى حجـرة في دهليزه ، وجلس غـلامـه بدابته ينتظره على باب سفيان ، فأدخل ابن المقفّع الحجـرة ، وسفيان ينتـظره فيها ، وعنده غلمانه ، وتنّورنار يسجر ، فقال له سفيان : أمّي مغتلمة ، إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد ، ثم قطع أعضاءه عضواً عضواً ، وألقاها في النار ، وهـو ينظر إليهـا ، حتى أتى على جميع جسـده ، وأطبق التنور عليـه ، وخرج إلى الناس ، فلما فرغ مجلس سفيان ، ولم يخرج ابن المقفع ، مضى غـلامه وأخبر عيسى وأخاه سليمـان بحال سيـده ، فخاصمـا سفيان ، فحجـد دخولـه إليه ، وشكياه إلى المنصور ، فتراخى في مسـاءلته ، وضـاع دمه (شـرح نهج البلاغة ٨/ ٢٦٩ و٢٧٠) .

وكـان رافع بن الليث بن نصـر بن سيـار ، خـرج على الـرشيـد ، ولبس البياض ، وتغلّب على بلاد ما وراء النهر ، وذلك في السنة ١٩٠ وحاربه عامل خراسان ، علي بن عيسى بن ماهان ، فكان الظفر لرافع ، فخرج إليـه الرشيـد في السنة ١٩٣ ، فلما بلغ طوس ، اشتدّ بـه المرض ، وأدخـل عليه أخـو رافع أسيراً ، ومعه آخر من قرابتـه ، فدعـا الرشيـد بقصّاب ، وقـال له : لا تشحـذ مديتك ، وفصّله عضـواً عضـواً ، وعجّـل لئـلا يحضـرني أجلي ، وعضـو من أعضائه في جسده ، ففصّله ثم جعله أشلاء ، فقـال له : عـدّ ما فصّلت منـه ، فـأذا هو أربعـة عشر عضـواً ، راجع التفصيـل في كتـا ب الفـرج بعـد الشـدة للتنوخي ، تحقيق المؤلف ، رقم القصة٣٥٨ .

وفي السنة ٢٨٢ قتل أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ، صاحب

مصر والشام ، بدمشق ، تآمر عليه بعض خدمه ، وذبحوه وهو نائم ، وقبض على جميع من ساهم في فعل القتل ، فمنهم من قتل وصلب ، ومنهم من شرحوا لحم أفخاذه وعجيزته ، وأكله السودان من مماليك أبي الجيش خمارويه (مروج الذهب ٢/٥٠٦) .

وبعث الحاكم الفاطمي في السنة **٣٩٧** جيشاً بقيادة قائده ينال الطويل ، لقتال الثائر أبي ركوة ، فانتصر أبو ركوة ، وأسر ينال الطويل ، فأحضره ، وقال له : آلعن الحاكم، فبصق ينال في وجه أبي ركوة ، فأمر به أبو ركوة فقطع إرباً إرباً . (النجوم الزاهرة ٤/٢١٦) .

وفي السنة **٥٠٠** تقدّم أحد الباطنية ، للوزير فخر الملك بن نظام الملك ، وناوله قصّة ، ثم ضربه بسكين ، فقتله ، **فأخذ الباطني ، وفصّل على قبر فخر الملك ، عضواً ، عضواً** . (النجوم الزاهرة ٥/١٩٤) .

وفي السنة **٥٦٦** لما توفّي المستنجد ، وبويع ولده المستضيء ، استدعي وزير المستنجد أبو جعفر بن البلدي ، للمبايعة ، فلما دخل إلى دار الخلافة ، صرف إلى موضع ، وقطع قطعاً ، وألقي في دجلة . (ابن الأثير ١١/٣٦٢) .

وفي السنة **٦٥٢** جرت محاربة بين أصحاب الشيخ عديّ بن مسافر (اليزيديّة) وبين أصحاب بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ،وانتصر أصحاب بدر الدين لؤلؤ ، وقتل من أصحاب الشيخ عديّ جماعة ، وأسر جماعة ، فصلب بدر الدين منهم مائة ، وذبح مائة ، وأمر بتقطيع أعضاء أميرهم ، وتعليقها على أبواب الموصل (الحوادث الجامعة ٢٧٢) .

وفي السنة ٧٤٨ جيء إلى أرنون شاه الناصري ، بدمشق، بنصراني رمى مسلماً بسهم فقتله ، فأمر بتفصيل القاتل ، فقطعت يداه من كتفيه ، ورجلاه من فخذيه ، وحزّ رأسه ، وحملت أعضاؤه على أعواد ، وطيف بها ، فآرتعب

الناس من ذلك ، وقال الصفدي : (الوافي بالوفيات ٨/٣٥٣) .

لــله أرغــون شــاه كــم لـلمــهــابــة حــصّــل
وكــم بــســيــف ســطاه مــن ذي ضــلالٍ تــنــصّــل
ومــجــمــل الــرعــب خــلّى بــعض النــصــارى مــفــصّــل

وفي السنة ٧٨٢ قبض على الأمير خليل بن عرام ، نائب الإسكندرية ، وأحضر إلى القاهرة ، فسجن ، وحضر والي القاهرة ، وعاقبه طول الليل ، وعصره في كعابه ، ثم أحضر أمام الأتابكي برقوق ، فحمل على حمار إلى القلعة ، وجرّد من ثيابه ، وضرب بالمقارع ، ستّة وثمانين شيباً ، ثم أنّ الأتابكي برقوق رسم بتسميره، عقوبة له لقتله الأمير بركة ، وهو يقول : ما قتلته إلّا بأمر برقوق ، ولكنّ المرسوم سرق منّي ، ودقّت المسامير الحديد في كفوفه ، وأركبوا على جمل ، ونزلوا به من القلعة ، وطيف به ، فلما وصل إلى باب السلسلة ، أحاط به مماليك الأمير بركة ، وأنزلوه عن الجمل ، وقطعوه بالسيوف ، فقطع بعضهم رأسه ، ومنهم من شقّ بطنه وأخرج قلبه ، وجعل يمضغه بأسنانه ، وبعضهم قطع أذنيه وأكلهما . (بدائع الزهور ١/٢/٢٧٥) .

وفي السنة ٨٥٠ حاصر جهان شاه بغداد ، وفتحها ، فاستسلم له حاكم بغداد شيخوبك وأمراءه ، وكان جهان شاه يحقد عليهم لأنّهم قتلوا الأمير بايزيد بسطام جاكيري وآخرين معه من أصحابه ، فأمر جهان شاه بقتلهم جميعاً ، وأمر بتسليم شيخوبك ، وجلّاده المعروف بابن العربية ، إلى نساء الأمير بايزيد ، فعذّبنهما بأن سحبنهما على الشوك ، وقطّعن لحومهما بالسكاكين حتى ماتا ، كما تمّ قتل باقي الأمراء شرّ قتلة (التاريخ الغياثي ٢٨٦) .

الفصل الثاني عشر

القتل والتعذيب بالسلخ

السَلْخ : (بفتح السين) كشط الجلد .
والسِلْخ : (بكسر السين) جلد المسلوخ .

والتعـذيب بسلخ الجلد ، من أشد ألـوان العذاب ، وقـد مارسـه أنـاس عظيمو القسوة .

وأول ما بلغنا من أخبار هذا اللون من العذاب ، ما ذكره صاحب أنساب الاشـراف ٥/٢٣٩ عما عـذّب به ابن كـامـل ، أحـد قـوّاد المختـار الثقفي ، زياد بن رقاد الجنبي ، أحـد من شارك في مقـاتلة الحسين وأصابـه في معركـة الطفّ في السنة ٦٠ ، وكان زياد هـذا قد رمى فتى من آل الحسين ، كـانت يده على جبهته ، فأثبت يده في جبهته ، ثم رماه بسهم آخر ، ففلق قلبـه ، ثم عاد فنزع أسهمه منه ، وهو ميت فبعث إليه المختار ، قائده ابن كامل في جماعـة ، فأحاطوا بداره ، فخرج إليهم مشهراً سيفه ، فقال ابن كامل : لا تضـربوه ، ولا تطعنوه ، ولكن أرموه بالنبل والحجارة ، ففعلوا ذلك حتى سقط ، ودعا لـه ابن كامل بنار فأحرقه بها ، ويقال أنّـه سلخ جلده وهو حيّ ، حتـى مات (أنسـاب الاشراف ٥/٢٣٩) .

وممنّ سلخ جلده ، أبو نخيلة الراجز ، دسّ إليه المنصور العبّاسي ، أن ينظم شعراً في تقديم المهدي لولاية عهده ، وتنحية عيسى بن مـوسى ، فنظم رجزاً ، ودخل على المنصور وعيسى بن موسى حاضر ، وأنشده :

دونـك عـبـد الـله أهـل ذاكـا　　　خـلافـة الله الـتـي أعـطاكـا
إنّـا تـنـظّرنـا لـهـا أبـاكـا　　　ثـم انـتـظرنـا بـعـده إيّـاكـا
أسـنـد إلى مـحـمـد عـصـاكـا　　　فـآبنك مـا آسـترعيته كفـاكـا

ثم أنشده رجزاً آخر منه :

لـيس ولـيّ عـهـدهـا بـالأسـعـد　　　عيسى فـزحلقهـا إلى مـحـمّـد
فـقـد رضـيـنـا بـالهـمـام الأمـرد　　　فـردّه مـنـك رداءً يـرتـدي
وبـادر الـبـيـعـة ورد الـحـشّـد　　　حـتـى تـؤدّى من يـد إلـى يـدِ

فلما أنشدها المنصور ، سرّ وفرح ، وكتب لأبي نخيلة بمائة ألف درهم على الريّ ، فخرج ألى الريّ لأخذها ، فوجّه إليه عيسى بن موسى مولى لـه اسمه قطري ، فظفر به بساوة ، دخل عليه وهو في بيت خمار ، وقد ثمل ، وقال له ، وقد أضجعه ليذبحه : يا ابن المومسة ، هذا أوان صرّ الجندب ، ثم ذبحه ، وسلخ وجهه ، وهرب غلمانه بماله ودوا به (الهفوات النادرة ٨٥ ـ ٨٩ والأوراق للصولي ٣١٤).

أقول : إن كان الذبح قبل السلخ ، فالقصة يشملها بحث المثلة ، وإن كان السلخ قبل الذبح فهي داخلة في هذا الباب .

وقد وصف لنا التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة ، وأخبار المذاكرة ، كيفية سلخ الجلد ، وفقاً لما مارسه المعتضد في قرطاس ، أحد رماة صاحب الزنج وهو رامٍ بالسهم ، مشتهرٍ بإصابته ، ومن آسمه اشتقّت القرطسة ، أي الإصابة الدقيقة ، يقال : رماه فقرطسه ، وقد رمى قرطاس ، الموفّق، والد المعتضد بسهم فأصاب ثندوءته ، وقال له : خذها منّي وأنا قرطاس ، فذهبت مثلاً ، وحمل الموفق صريعاً في حدّ التلف ، ونزع السهم مقطّناً، فبقي الزجّ في مكانه ، وجمّع ، وانتفخ ، وأمّد (جمع مِدّة) وأجمع الأطباء على بطّ الجرح ، والموفق لا يمكّنهم ، ثم احتالوا عليه فبطوه ، ونجا الموفق ، فلم

يـزل المعتضـد ، ابن المـوفق يجهـد نفسـه ، حتى وقـع قـرطـاس في يـده ، فأخذه ، فقدّ من أصابعه الخمس أوتاراً ، بأن قلع أظفاره ، وسلخ جلد أصابع كفّـه من رؤوسها ، إلى أكتـافه ، وعبـر بها صلبـه وكتفيه ، ألى آخـر أصـابعـه الأخـرى ، وجلد بني آدم غليظ ، فخرج لـه ذلك ، فـأمر بـأن تفتـل أوتـاراً ، وصلب بها قرطاس راجع القصة مفصلة في كتاب نشوار المحاضـرة ج ١ ص ١٥٣ ـ ١٥٥ رقم القصة ١/-٧٨ .

وفي السنة ٣٤١ أسـر معبد بن حـرز الزنـاتي بـالمغـرب ، وجيء بـه إلى المنصورية ، وطيف به وبآبنـه ، وقد أشهـرا ، وقطعت يـدا ولده ورجـلاه وهو يـرى ذلك في بـاب أبي الربيـع ، ثم صلب ، أمّا معبـد فقد سلخ جلده وهـو حيّ ، فلم يتحـرّك ، وحشي جلده تبنـاً (العيـون والحـدائق ج ٤ و ٢٨ ص ١٩٥) . (ت

وأحضر المعزّ لـدين الله الفاطمي (ت٣٦٥)، أبـا بكر النـابلسي، وقال لـه : بلغنا أنّـك قلت إذا كان مـع المسلم عشـرة أسهم ، وجب أن يـرمي في الروم سهماً واحدا ، وفينا تسعـة ، فقال : لم أقـل ذلك ، فـظن أنّه رجـع عن قوله ، وقال له : كيف قلت؟ قال: قلت إذا كان معه عشرة أسهم ، وجب عليه أن يرميكم بتسعة ، ويرميكم بالعاشر أيضاً ، فأمر به ، فشهر في اليوم الأوّل ، وضـرب بالسيـاط في اليوم الثـاني ، وأخرج في اليـوم الثالث ، فسلخ جلده ، فمات (المنتظم ٨٢/٧) .

وفي السنة ٣٨٦ عصى أهل صور على الحاكم الفاطمي ، وأقرّوا عليهم رجـلاً ملّاحـاً اسمـه عـلاقـة ، فقصـده جيش من مصـر ، بقيـادة أبي عبـدالله الحسين الحمـداني ، فاستنجـد علاقـة بملك الروم ، فسيّـر إليه عـدّة مراكب مشحونة بـالرجـال ، فالتقـوا بمراكب المسلمين على صـور ، فانهـزم الروم ، وملك المسلمـون البلد ، بعد أن قتـل منهم كثير ، وملك الفـاطميّـون البلد ،

وأخذ علاقة أسيراً ، فحمل الى مصر ، حيث سلخ ، وصلب بها (ابن الأثير ٩/ ١٢٠- ١٢١).

أقول : الذي في ذيل تجارب الأمم ص ٢٢٦ إنَّ ما تقدّم حدث في السنة ٣٨١.

وكان جبق التركماني ، قد استولى على حصن زياد ، من ترجمان ملك الروم ، وكان بالقرب من حصن زياد حصن آخر صاحبه رومي اسمه فرنجي كان يقطع الطريق ، ويكثر قتل المسلمين ، فهاداه جبق وصاحبه ، حتى وثق به ، فبعث إليه جبق أن يرسل اليه اصحابه ليستعين بهم في عمل ، فلما أرسلهم إليه أوثقهم ، وحملهم إلى الحصن ، وقال لأهل الحصن : والله ، لئن لم تسلّموا إليّ فرنجي ، لأضربنّ اعناق هؤلاء جميعاً ، ففتحوا له الحصن ، واسلموا إليه فرنجي ، فسلخه (ابن الأثير ١٠/ ٤٢٧- ٤٢٨).

وفي السنة ٤٩٤ قتل ابو المحاسن الدهستاني ، وزير السلطان بركياروق السلجوقي ، وكان الوزير قد قتل أبا سعيد الحداد ، فوثب عليه شاب أشقر قيل إنه من غلمان أبي سعيد الحدّاد، فجرحه عدّة جراحات ، وتركه بآخر رمق ، فأمر السلطان بركياروق ، بالغلام ، فسلخ وعلّق (النجوم الزاهرة ٥/ ١٦٧ وابن الأثير ١٠/ ٣٣٥).

وفي السنة ٥٠٠ حصر السلطان محمد السلجوقي ، قلعة شاه دز بأصبهان ، وقتل صاحبها أحمد بن عبد الملك بن عطاش ، وولده وكان من فيها من الباطنية ، يقطعون الطريق ، ويأخذون الأموال ، ويقتلون من قدروا عليه ، وفرضوا على جميع الناس ضرائب يؤدّونها ، ومشى أمرهم للخلف الحاصل بين السلاطين ، ودام ذلك اثنتي عشرة سنة ، ثم حصرها السلطان محمد حصراً شديداً ، واقتحم أصحابه القلعة ، بعد أن ظهر من الباطنية صبر عظيم ، وشجاعة زائدة ، وأخذ ابن عطاش أسيراً ، فترك أسبوعاً ، ثم أمر به

فشهر في جميع البلد ، وسلخ جلده ، فتجلّد حتى مات ، وحشي جلده تبناً وحمل رأساهما إلى بغداد ، وألقت زوجته نفسها من القلعة (ابن الأثير ٤٣٣/١٠ ـ ٤٣٤ والمنتظم ١٥١/٩ وتاريخ الخلفاء ٤٢٩).

ولما توفّي بدر الدين لؤلؤ ، صاحب الموصل في السنة ٦٥٦ خلفه ولده الملك الصالح اسماعيل ، وتحالف مع الملك الظاهر ضد هولاكو ، فبعث اليه هولاكو في السنة ٦٦٠ جيشاً حاصر الموصل ، وفتحها ، وأخذ الملك الصالح إلى هولاكو ، فأمر به، فسلخ وجهه وهو حيّ (الحوادث الجامعة ٣٣٧ـ ٣٤٦ـ ٣٤٧).

وثار (هاربلاديفا) في ولاية (ديفاجيري) على قطب الدين مبارك شاه (حكمه ٧١٦ـ ٧٢٠) فحاربه قطب الدين ، وأسره ، فسلخه حيّاً ، ثم قتله (الإسلام والدول الإسلامية في الهند ١٥).

وممن مارس العذاب بسلخ الجلد ، القائد عماد الملك سرتيز الهندي ، مملوك السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند (٧٢٥ـ ٧٥٠) وكان الأمير قيصر الرومي ، قد عصى على السلطان ، وتحصّن بسيوستان ، فحصره عماد الملك ، فطلب وأصحابه الأمان ، فأمّنهم، ولما نزلوا على أمانه غدر بهم ، وأخذ قسماً منهم ، فسلخ جلودهم، ثم حشاها تبناً ، وعلّقها على سور المدينة (رحلة ابن بطوطة ٦/٢و ٧).

ولما ثار الأمير كشلوخان ، أمير السند ، على السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، خرج لمحاربته ، فانكسر كشلوخان ، وقتل في المعركة ، ودخل السلطان مدينة قلتان ، وقبض على قاضيها كريم الدين ، وأمر بسلخه ، فسلخ (مهذب رحلة ابن بطوطة ٩٨/٢).

ولما ثار الأمير هلاجون، بمدينة لاهور ، على السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، خرج إليه الوزير خواجه جهان ، فحاربه ، وكسره ،

ودخل مدينـة لاهور ، فسلخ بعض اهلهـا ، وقتل آخـرين بغير ذلـك من أنواع القتل (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/١٠٢) .

وخالف اهالي مـدينة كمـال بور ، على سلطان الهنـد محمد بن تغلق ، فحـاربهم وزيره خـواجه جهـان ، ولما دخـل الى المدينـة ، أحضر بين يـديـه القاضي بها والخطيب ، وأمر بسلخ جلديهمـا ، فتوسّـلا إليه أن يقتلهمـا بغير هذه القتلة، فقال لهما : بم استوجبتما القتل ؟ قالا : بمخالفتنا أمر السلطان ، فقال لهما : فكيف أخالف أنا أمره، وقد أمرني ان اقتلكما بهذه القتلة ؟ وقال للمتولّين لسلخهما : أحفروا لهما حفـراً تحت وجهيهما، يتنفّسـان فيها ، فـإنّه إذا سلخـا ـ والعياذ بـالله ـ يطرحـان على وجهيهما. (رحلة ابن بـطوطة ـ طبـع صادر ببيروت ، ص ٤٨٣) .

وفي السنة ٨٢٤ قتل الشيـخ عماد الـدين علي النسيمي الصوفي ، بـأن سلخ جلده ، وكانت التهمة الموجّهة اليه الزندقة ، هذه التهمة التي يحتـجّ بها كـلّ حاكم متسلّط ، لقتـل خصومـه السياسيّين ، أو من يخـاف منـه لسبب من الأسباب ، وكان النسيمي على علاقة بعلي باك ذي الغادر (ذي القدر) وأخيه ناصر الدين ، وعثمان قرايلوك ، وكان هؤلاء خصـوم الملك الظاهـر ، سلطان مصـر والشام ، والـظاهر أنّ السلطان أراد أن ينتقم منهم بقتـل عمـاد الـدين ، فأوعز بأن يحاكم أمام القضاة بحلب ،وتصدّى لأتّهامـه ابن الشنقشي الحنفي ، فادّعى عليه بالزندقة ، فقال الأمير يشبـك نائب السلطنـة : إن أنت لم تثبت ما تقول ، فإنّي اقتلك ، فأحجم ونكص عند سماعه ذلك ، هذا والنسيمي يكـرر التلفظ بـالشهادتين ، وينفي التهمـة الموجّهـة إليه ، فحضـر شهاب الـدين بن هلال وأفتى في المجلس بأنّ النسيمي زنديق ، وأنّه يجب قتله ، وكتب بـذلك فتوى ، فلم يوافقه القضاة على ذلك ، وامتنع الأمير يشبك من تأييد الفتـوى ، وكتب إلى السلطان بقصّتـه ، فكتب إليـه السلطان يـأمـره بـأن يشهـره بحلب سبعة أيام ، وينادي عليه ، ثم يسلخ جلده ، وتقطع اعضاؤه ويرسل قسم منها

لعلي بك ذي الغادر وأخيه ناصر الدين، وقسم لعثمان قرايلوك ، ففعل ذلك (أعلام النبلاء ٣/١٥-١٦).

وفي السنة ٨٥٨ أمر السلطان بفصل البدوي ، وابن عم له ، فضربا بالمقارع وسمّرا ، وسلخت جلودهما ، وحشيت (تبناً)، وكان فصل يقطع الطرق ، وكان شجاعاً شديد البأس ، وأعيا الحكام أمره ، ثم قدم بنفسه تائباً ، فأمّنه السلطان ، وأقام بالقاهرة مدّة ، كان الناس خلالها يتجمّعون للتفرج عليه ، فكان يضحك منهم ، ثم عاد إلى بلده ، فاحتال عليه الاستادار ، واستقدمه بالأمان ، وطلع به الى السلطان ومعه ابن عمّ له، فأمر بضربهما بالمقارع ، وتسميرهما ، وسلخهما ، وحشو جلديهما ، ففعل بهما ذلك كلّه، وطيف بهما الشرقية (الضوء اللامع ٦/١٧١).

ومن جملة مظالم الأمير يشبك الدوادار ، في السنة ٨٧٤ في صعيد مصر ، أن سلخ جلود جماعة من العربان (بدائع الزهور ٢/١١٦).

وفي السنة ٨٩٤ سلخت في القاهرة، جلود اثنين من أهل حلب ، أب وابنه ، وهما محمد بن الديوان ، وولده أحمد ، وسبب ذلك أنّ أحمد الإبن كان من أعيان الناس الرؤساء بحلب ، وكان من أخصاء سلطان مصر والشام ، *فقيل عنه إنّه كاتب السلطان العثماني في شيء من أخبار المملكة* ، وكانت الخصومة إذ ذاك على أشدّها بين السلطان العثماني وسلطان مصر والشام ، فأمر السلطان بهما فأحضرا الى القاهرة، وسلخت جلودهما (اعلام النبلاء ٣/٩٩-١٠٠).

وفي السنة ٩٠٣ قبض في القاهرة على إنسان ينبش القبور ، ويسرق أكفان الموتى ، فأمر السلطان به ، فسلخ وجهه وهو حيّ ، إلى رقبته ، وأرخى على صدره ، فصار عظم رأسه ظاهراً ، وطيف به في القاهرة ، وعلّق بباب النصر حتى مات (بدائع الزهور ٢/٣٤١).

وكان الناصر ، محمد بن قايتباي (قتل سنة ٩٠٤) ، مجنوناً ، أهديت له جارية ، فسلخها بيده ، وحشى جلدها تبناً ، لكي يظهر استاذيته في السلخ (شذرات الذهب ٨/٢٣) .

وفي السنة ١٠٠٨ قتل إمام اليمن عامر بن علي ، بأن سلخ جلده ، إذ أسره الأتراك ، وأشهروه في كوكبان وشبام ، وأرسله علي بن شمس الدين ، أمير كوكبان مع جماعة من الترك إلى الكتخدا سنان في حمومة ، فأمر به الكتخدا ، فسلخ جلده ، وصبر ، فلم يسمع له أنين ولا شكوى ، الا قراءة قل هو الله أحد ، ثم أنّ سناناً ملأ جلده تبناً ، وحمله على جمل إلى الوزير حسن باشا في صنعاء ، فشهر جلده على الدهابر ، ودفن سائر جسمه بحمومة، ثم نقل إلى خمر (خلاصة الأثر ٢/٢٦٤) .

الفصل الثالث عشر

القتل بالنشر بالمنشار

النشر : التفريق وهو خلاف الطي
والمنشار : وجمعه مناشير، آلة ذات اسنان ينشر بها الخشب ونحوه.
والنشارة : ما يسقط من الخشب عند النشر.

ونشر الإنسان بالمنشار ، لون من ألوان العذاب ، يدلّ على قسوة بالغة .

وأقدم ما بلغنا من أخبار هذا اللون من العذاب ، ما رواه المؤرّخون عن مقتل النبي زكريا ، فإنّه عندما قتل ولده يحيى ، فرّ الى بستان، ولجأ إلى شجرة فيها فنشر خصومه الشجرة ، وهو فيها ، فقتل (الطبري ١/٦٠١ وابن الأثير ١/٣٠٦).

وفي السنة ٧٢٣ بلغ السلطان غازان ، أنّ الشيخ محمود ديوان ، صاحب زاوية تبريز ، وكان عظيماً عند المغل مسموع الكلمة ، عمل سماعاً ، ورقص ، فجذب اليه شاباً من أولاد الملوك ، وألبسه طاقية كانت على رأسه، وقال له : أعطيتك السلطنة ، فأمر السلطان بذلك الشاب ، فضربت عنقه بين يديه ، وأحضر الشيخ محمود ، فلما رآه ، قال له : أهلاً بالشيخ الذي يولّي المملكة بطاقية ، وأمر به فشدّ بين دفتين ، ونشر بالمنشار الى نصفين (الدرر الكامنة ٥/١١٣).

وفي السنة٩٢٨ توفّي بالقاهرة خايربك الجركسي ، كافل حلب للسلطان

الغوري ، ثم نصبه السلطان سليم العثماني ، كافلاً بمصر لما فتحها ، ولما كان بحلب ، أحضر أمامه شخص من المفسدين ، فأمر به فنشر بدنه بالمنشار، فلقيه الحلبيون بالنشّار(اعلام النبلاء ٥/ ٤٢٩) .

الفصل الرابع عشر

القتل بألوان اخرى من العذاب

وقد سجل لنا التاريخ ، حوادث ، ذكر فيها قتل اشخاص بالعذاب، ولكنه لم يذكر ألوانها وأصنافها ، وهي من الكثرة بحيث لا يتّسع مؤلّف لاستيعابها، ولكنّي اذكر في هذا البحث ، أمثلة منها .

أمر الحجّاج بن يوسف الثقفي ، بأحد عمّاله، وهو آزاد مرد بن الفرند ، فحمل إلى معد ، صاحب عذابه ، فدقّ يده ، ودهقه ، ودقّ ساقه ، وحمل على بغل معترضاً ، يدار به في الدروب ، راجع تفصيل القصّة في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ج ١ ص ١٣٦- ١٤٧ رقم القصة ١/ ٦٩) .

وفي السنة ٩٧ قتل في العذاب ، جميع الرجال من آل الحجّاج الثقفي ، آل أبي عقيل ، منهم محمد بن القاسم الثقفي ، أمير السند ، والحكم بن أيّوب الثقفي ، وهو إبن عمّ الحجّاج ، كان الحجاج قد زوّجه أخته زينب ، وولّاه البصرة ، فلما ولي سليمان بن عبد الملك الخلافة ، أمر صالح بن عبد الرحمن ، عامل واسط ، وكان الحجّاج قد قتل أخاه آدم ، أن يجمع آل الحجّاج جميعهم ، وأن يعرضهم على العذاب، فجمعهم ، وبسط عليهم العذاب ، حتى قتلهم جميعاً ، نالهم شؤم الحجّاج ، وكان الحكم ومحمد بن القاسم ، من جملة من مات تحت العذاب . (ابن الأثير ٤ /٥٨٨ و ٥٨٩ والاعلام ٢ /٢٩٤- ٧/ ٢٢٥) .

وأمر يزيد بن عبد الملك ، بعزل عامل المدينة عبد الرحمن بن الضحاك الفهري ، وبسط العذاب عليه ، وسبب ذلك إنّه خطب فاطمة بنت الحسين الشهيد ، فردّته ، وقالت : لا أريد النكاح ، فألحّ عليها ، وحلف لئن لم تفعل سيجلدن أكبر بنيها ، وهو عبدالله بن الحسن ، في الخمر ، فكتبت الى يزيد بن عبد الملك تشكو أمرها ، فلما أخذ يزيد الكتاب ، وقرأه ، جعل يضرب بخيزرانة في يده ، وهو يقول : لقد اجترأ ابن الضحّاك ، هل من رجل يسمعني صوته في العذاب، وأنا على فراشي ، ثم كتب إلى عبد الواحد بن عبدالله النضري، وهو بالطائف ، بأنّه قد ولّاه المدينة ، وأمره بأن يغرم ابن الضحاك أربعين ألف دينار ، وأن يعذّبه حتى يسمع صوته وهو على فراشه ، فلما ورد بريد دمشق ، ولم يدخل على ابن الضحّاك ، أوجس خيفة ، ودفع إلى حامل البريد ألف دينار ، فأخبره بكتاب الخليفة، فخرج ابن الضحاك الى الشام ، واستجار بمسلمة بن عبد الملك ، فأجاره ، وكلّم أخاه يزيداً ، فأبى أن يعفيه ، وردّه إلى المدينة ، حيث ألبسه النضري جبّة صوف ، وعذّبه وغرّمه (الطبري ٧/١٢- ١٤).

وفي السنة ١٢٦ اعتقل يوسف بن عمر ، عامل العراق، سلفه خالداً القسري، وبسط عليه العذاب ، وكان هشام قد عزل خالداً بيوسف بن عمر ، وأمره بأن يعذبه على ان لا يصل به إلى حدّ القتل ، فحبسه في الحيرة ثمانية عشر شهراً ومعه أخوه اسماعيل ، وابنه يزيد ، وابن أخيه المنذر بن أسد الذي كان عاملاً على خراسان ، ولما قتل خالد القسري قال الشاعر (الطبري ٧/٢٥٤- ٢٥٦).

ألا إنَّ بحر الجود أصبح ساجياً   أسير ثقيف موثقاً في السلاسل
فإن تسجنوا القيسي لم تسجنوا اسمه   ولم تسجنوا معروفه في القبائل

وكان هشام بن عبد الملك قد استعمل الوليد بن القعقاع على قنسرين ، وعبد الملك أخاه على حمص ، فضرب الوليد يزيد بن عمر بن هبيرة مائة

سوط ، فلما قام الوليد بن يزيد ، هرب بنو القعقاع منه ، فعاذوا بقبر يزيد بن عبدالملك ، فبعث اليهم ، فدفعهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ، وكان قد ولّاه قنسرين، فعذّبهم ، فمات الوليد وعبد الملك ورجلان معهما من آل القعقاع في العذاب (الطبري ٧/٢٣٧).

قال يوسف بن عمر الثقفي ، لهمّام بن يحيى : يا فاسق ، أخربت مهرجان قذق ، فقال : أنا لم أكن عليها ، وإنّما كنت على ماه دينار فلم يزل يوسف يعذّبه، ويقول له : أخربت مهرجان قذق ، حتى قتله . (المحاسن والمساوىء ١/١٤٣).

وكان سهيل بن سالم من أشراف اهل البصرة ، وكان من عمّال المنصور ، ثم قتله بعد ذلك بالعذاب. (الأغاني ١٤/٣٣٠).

كان المتوكل يحقد على محمد بن عبد الملك الزيات أموراً، فلما ولي الخلافة ، قبض عليه وعذّبه في تنّور كان ابن الزيات قد اتّخذه لتعذيب من يريد تعذيبه ، وهو من خشب ، فيه مسامير من حديد ، أطرافها إلى داخل التنور ، وتمنع من في داخله من الحركة ، وكان ضيقاً بحيث أنّ الإنسان كان يمدّ يديه إلى فوق رأسه ليقدر على دخوله لضيقه ، ولا يقدر من يكون فيه أن يجلس فيه ، فبقي فيه أيّاماً ومات ، وكان ذلك في السنة ٢٣٣ (الكامل لابن الأثير ٦/٤٥٤ـ ٥٢٥ و٧/٢٩ـ ٤٣). راجع في نشوار المحاضرة للتنوخي ، في القصة ١/٢ المحاورة التي جرت بين ابن الزيّات وهو في التنور ، وأحد أتباعه ، وراجع الطبري ٩/١٤٥ـ ١٦٠ ووفيات الأعيان ٥/١٠٠ ومروج الذهب ٢/٣٩٣).

وقال الموكّل بعذاب ابن الزيّات : كنت اخرج وأقفل عليه الباب، فيمدّ يديه جميعاً إلى السماء حتى يدقّ موضع كتفيه ، ثم يدخل التنّور ويجلس ، وفي التنّور مسامير حديد ، وفي وسطه خشبة معترضة يجلس المعذّب عليها ،

إذا أراد أن يستريح ، قال المعذّب ، فخاتلته يوماً ، وأريته أنّي قد اقفلت عليه ، ثم مكثت قليلاً ، ودفعت الباب ، فإذا هو قاعد ، فقلت له : أراك تفعل هذا ، فكنت إذا خرجت شددت خناقه ، فما مكث بعد ذلك إلاّ أيّاماً حتى مات (المحاسن والمساوىء ٢/١٧٧ .

أقول : لئيم يفخر بلؤمه .

وكان أبو عثمان الجاحظ ملازماً لابن الزيات ، منحرفاً عن ابن أبي دؤاد ، للعداوة بين الإثنين ، ولما قبض على ابن الزيات ، وعذّب في التنور، هرب الجاحظ ، فقيل له : لم هربت ؟ قال : خفت أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التنّور . (معجم الأدباء ٦/٥٧).

ولما قتل المتوكل ، وزيره محمد بن عبد الملك الزيات ، بالعذاب في التنور ، قال عبادة المخنث ، نديم المتوكل : أردت أن تخبز في هذا التنور ، فخبزت فيه ، فضحك المتوكّل (الملح والنوادر للحصري ١٤).

وفي السنة ٢٣٦ ولي خوط واسمه عبد الواحد بن يحيى ، مصر للمنتصر، وكانت مصر للمنتصر في حياة المتوكل ، فأخذ في السنة ٢٣٧ عبد الحكم من آل عبد الحكم فعذّبه حتى مات في عذابه . (الولاة للكندي ٢٠٠).

واختلف المؤرخون في مقتل المعتز في السنة ٢٥٥ فمنهم من ذكر أنّه منع في حبسه من الطعام والشراب، فمات جوعاً ، ومنهم من روى أنه حقن بالماء الحار المغلي ، والأشهر أنّه أدخل حماماً، كرهاً ، وكان الحمّام محميّاً، وترك في الحمّام حتى مات ، ومنهم من ذكر أنّه أخرج من الحمّام بعد أن كادت نفسه تتلف ، ثم سقي شربة ماء مثلوج ، فخمد من فوره . (مروج الذهب ٢/٤٦١- ٤٦٢).

وذكر صاحب مروج الذهب، أنّ إسماعيل بن بلبل ، وزير المعتضد عذّبه المعتضد بأنواع العذاب ، وجُعل في عنقه غلّ فيه رمّانة حديد، والغلّ

والرمانة مائة وعشرون رطلاً ، وألبس جبّة صوف قد صبّرت في ودرك الأكارع ، وعلّق معه رأس ميت فلم يزل على ذلك حتى مات (مروج الذهب ٢/٤٩٦ ونشوار المحاضرة ١/٧٦) .

وقبض المعتضد على شخص اتّهمه بسرقة عشر بدر ، كانت معدّة في منزل صاحب الجيش ، لتصرف في الجند ، فرفق به ، فأنكر ، فتهدده ، فأنكر، فضربه بالسوط ، والقلوس ، والمقارع ، والدرّة ، على ظهره وبطنه ، وقفاه ، ورأسه ، وأسفل رجليه ، وكعابه ، وعضله ، حتى لم يكن للضرب فيه موضع فلم يقرّ ، فأمر بترفيهه ، وأطعمه ، فلما نام ، أيقظه سريعاً ، وقرّره ، فأقرّ ودلّه على موضع المال المسروق ، فأمر به فقبض على يديه ورجليه ، وأوثق ، ثم أمر بمنفاخ فنفخ في دبره ، وأتي بقطن فحشي في أذنيه ، وفمه ، وخيشومه ، وأقبل ينفخ ، وخلّي عن يديه ورجليه من الوثاق ، وأمسك بالأيدي ، وقد صار كأعظم ما يكون من الزقاق المنفوخة ، وقد عظم جسمه ، وورمت سائر أعضائه ، وامتلأت عيناه وبرزتا ، حتى كاد أن ينشقّ، ثم أمر ففصد في عرقين فوق الحاجبين ، فأقبلت الريح تخرج مع الدم ولها صوت وصفير ، إلى أن خمد وتلف (مروج الذهب ٢/٥٠٧- ٥٠٩) .

وكان المعتضد ، يأمر بالرجل فيكتّف ، ويقيّد ، ويؤخذ القطن فيحشى في أذنه وخيشومه وفمه ، وتوضع المنافخ في دبره حتى ينتفخ ، ويعظم جسمه ، ثم يسدّ الدبر بشيء من القطن ، ثم يفصد، وقد صار كالجمل العظيم ، من العرقين الذين فوق الحاجبين ، فتخرج النفس من ذلك الموضع . (مروج الذهب ٢/٤٩٦) .

وفي السنة ٢٨٢ ذبح أبو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون ، صاحب مصر والشام . بدمشق ، قتله خدمه ، وفرّوا ، فقبض عليهم ، وجيء بهم ، فقتلوا ، وصلبوا، ومنهم من رمي بالنشاب ، ومنهم من شرح لحمه من

أفخاذه وعجيزتـه ، وأكله السودان من ممـاليك أبي الجيش . (مـروج الذهب ٥٠٦/٢).

وصـادر المحسّن بن الفرات ، أبـا الحسن علي بن مأمـون الإسكافي ، كـاتب ابن الحـواري ، على مـائـة ألف دينــار ، وأدّى بعضهـا ، وتلف تحت العذاب (الوزراء للصابي ٥٠).

ولمـا اعتقل المحسّن بن الفـرات ، ضرب حتى كـاد يتلف ، وأوقع بـه نازوك المكروه حتى تدوّد بدنه ، ولم يبق فيه فضل لضرب . (وزراء ٦٩).

وكان قتل المقتدر، سبباً لسلامة أبي بكر بن قرابـة من هلاك محتـوم إذ أنّـه في السنة **٣١٩** قبض المقتـدر على أبي بكر محمـد بن أحمد بن قـرابـة ، وعذّب عذاباً شديداً وجرى عليـه من المكروه مـا أشفى به على التلف ، فلمـا قتل المقتدر ، هرب من كان مـوكّلاً بـه وبقي معه غـلامان عنيـا به ، فـأحضرا حدّاداً كسر قيوده ، وأطلقاه (تجارب الأمم ٢٣١/١).

وكان أوّل ما فعله القـاهر لمـا استخـلف في السنة ٣٢٠، أن صـادر آل أخيه المقتدر ، وعذّبهم ، وضرب أمّ المقتـدر ، حتى ماتت من جـراء العذاب (تاريخ الخلفاء ٣٨٦).

وفي السنـة **٣٣٣** ورد أبـو الحسين البــريـدي ، الحضــرة ، وسعى في ضمان البصرة ، فبلغ ذلك ابن أخيه أبا القاسم ، فانفذ إلى توزون مالاً ، فأقرّه على عمله ، فسعى أبـو الحسين في خـطبـة كتـابـة تـوزون ، وبلغ ذلـك ابن شيرزاد، فاعتقله ، وضرب بدار صافي مولى تـوزون ، ضرباً مبرّحاً ، وقـرض لحم فخذيه بالمقاريض ، وانتزعت أظافره ، وعقد المستكفي مجلسـاً، حضره الفقهاء والقضاة ، وأحضـر البريـدي ، وبسط النطع ، وجـرّد السيف ، وتليت فتوى سابقـة بإبـاحة دمـه ، وأبو الحسين يسمـع، ورأسه مشـدود ، ثم ضربت عنقه من غير أن يحتجّ لنفسه بحجّة (التكملة ١٤٥).

ولمـا ملك أبو القـاسم البريـدي البصرة ، صـادر أبا جعفـر الكـرخي ، الملقّب بالجرو ، وسمّر يديه في حائط ، وهو قائم على كرسي ، فلما سمرّت يـداه بالمسـامير في الحـائط ، نحيّ الكـرسي من تحتـه ، وسلّت اظـافيـره ، وضرب لحمه بالقصب الفارسي (معجم البلدان ٤/٢٥٣).

وفي السنـة ٣٦٣ بعث ابن بقيّـة، وزيـر بختيـار ، محمـد بن احمـد الجـرجرائي ، لكي يقبض على عـامـل البصـرة ، ومحـاسبتـه ، فلمـا وصـل الجرجرائي إلى البصـرة ، عقد لعـاملها ضمـاناً جـديداً ، فغضب ابن بقيـة ، وكتب إلى نـائبـه بـالبصـرة ، فقبض على الجـرجـرائي ، وعـذّبـه حتى مـات (تجارب ٢/٣٢٣).

وظهر في أيّام بختيار الديلمي ، رجـل من أهل ديـر قنّى ، ذكيّ ، اسمه الحسين بن محمـد القنّـائي ويكنى بـأبي قـرّة ، تـدرّج في التصـرّف حتى استغنى ، وصارت له نعمـة ضخمة ، حتى احتـاج إليه وزيـر بختيار في شـراء قضيم الكـراع وضمان واسط ، وتكـاثر حسّـاده ، وخاصم كثيـراً من النـاس ، فاشتراه سهل بن بشر ضامن الأهواز من بختيار وادّى مبلغاً من المال، فسلّم أبو قرّة إلى رسوله الذي أخذه إلى الأهواز ، فأفرغ عليـه سهل بن بشـر العذاب ، وأنواع المكاره ، حتى قتله في السنة ٣٦٠ (تجارب الأمم ٢/٢٦٠ـ ٢٨٩).

وفي السنـة ٣٦٤ قبض ابن بقيـة الـوزيـر ، على سهـل بن بشـر ضـامن الأهواز ، وجدّ في مطالبته بالأموال ، وبسط عليه المكاره ، واستخرج منه كلّ ما أمكنه ، ثم قتله بالعذاب (تجارب الأمم ٢/٣٥٨).

وفي السنة ٣٦٦ قبض مؤيد الدولة، على وزيره أبي الفتح بن العميـد ، وسمل عينه الواحدة وقطع انفه ، وجزّ لحيته ، وقـطع يديـه ، وما زال يعـرضه على أنـواع العذاب ، حتى تلف . (وفيـات الأعيـان ٤/١٩٦ ومعجم الأدبـاء ٥/٣٤٩ـ ٣٥٠).

وفي السنة ٣٦٦ أهلك ابن الراعي ، بأمر ابن بقيّة الوزير ، خلقاً ممن كان يتهمهم ، منهم المعروف بابن عروة ، وهو ابن أخت أبي قرّة ، وكان من وجوه العمّال ، ومنهم علي بن محمد الزطّي ، وكان إليه شرطة بغداد ، ومنهم المعروف بابن العروقي ، وكان إليه الشرطة بواسط ، وجماعة يجرون مجراهم . (تجارب الأمم ٢/٢٦٦) .

وفي السنة ٥٤٢ فتح الحسن صاحب إفريقية ، مدينة قابس ، وكانت لأمير اسمه رشيد ، توفّي واستولى على الأمر مولى من مواليه اسمه يوسف ، فظلم أهلها ، فشكوه الى الحسن صاحب افريقية ، فكاتبه ، فأرسل يوسف إلى رجار الإفرنجي صاحب صقلية ، وصار من أتباعه ، فقصد الحسن قابس ، وحصرها ، فثار أهل قابس بيوسف ، وسلّموا البلد إلى الحسن ، وأخذ يوسف أسيراً ، فقطعوا ذكره ، وجعلوه في فمه ، وبسطوا عليه الوان العذاب ، حتى مات (ابن الأثير ١١/١٢٠) .

وفي السنة ٥٧٣ وثب الباطنية بحلب ، بأبي صالح بن العجمي ، فقتلوه في الجامع ، وكان مقدّماً بحلب عند نور الدين محمود ، وعند أولاده ، وله أتباع وأنصار وعصبية ، فنسب أصحابه أمر قتله إلى سعد الدين كمشتكين ، وكان المتولّي لأمر دولة الملك الصالح صاحب حلب ، فمازال أصحاب ابن العجمي بالصالح ، يغرونه بكمشتكين ، حتى قبض عليه واعتقله ، وطالبه بتسليم قلعة حارم ، وكانت في يده ، فامتنع من كانوا بها من تسليمها ، فأمر الملك الصالح فسيّروا كمشتكين اليها معتقلاً ، وعذّب أمامهم ، وأصحابه يرونه ولا يرحمونه ، حتى مات في العذاب (اعلام النبلاء ٢/١١٣) .

وفي السنة ٥٧٥ قبض الخليفة الناصر ببغداد ، على صاحب المخزن ونائب الوزارة ظهير الدين منصور بن الحسين ، وعلى أصحابه وحواشيه وصادره ، وعذّبه إلى أن مات . (النجوم الزاهرة ٦/٨٥) .

وفي السنة ٦٦٦ اعتقل الملك الظاهر ، بولص الراهب ، الملقّب بالحبيس ، وعذّبه حتى مات ، وكان هذا الراهب منقطعاً في جبل حلوان ، وله مال يواسي به الفقراء من كلّ ملّة ، وكان يدخل إلى الحبوس ، وكلّ من عليه دين ، أدّاه عنه وأطلقه ، وكان بعض الناس يتحيّل عليه ، فإذا رآه قد دخل المدينة ، أخذ معه اثنين، صورة أنّهما من رسل القاضي أو المتولّي ، وأخذا يضربانه ويجذبانه ، فيستغيث به : (يا أبونا، يا أبونا)، فيسأل : ما باله ؟ فيقولان : عليه دين ، أو اشتكت عليه زوجته، فيقول : على كم ؟ فيقولان : على ألفين ، أو أقل ، أو أكثر ، فيكتب له على شقفة (قصاصة ورق) ، إلى أحد الصيارف ، فيقبض المال ، وصرف في هذا السبيل أكثر من ستمائة ألف دينار ، وكان لا يأكل من هذا المال ، ولا يشرب ، بل أنّ النصارى يتصدّقون عليه بمؤونته ، فأفتى فقهاء الاسكندرية بقتله ، وعلّلوا ذلك بخوف الفتنة من ضعفاء النفوس من المسلمين ، فقتل بالعذاب (فوات الوفيات ١/٢٣٣ـ ٢٣٥).

وفي السنة ٦٧٣ هلك الأمير شهاب الدين أحمد بن جلدك ، وكان صارماً ، قطع من الأيدي والأرجل مالا يحصى كثرة ، وشنق ، ووسّط، فخافه البريء والسقيم (النجوم الزاهرة ٧/٢٤٥).

وفي السنة ٦٨٩ بعث سلطان مصر والشام ، جيشاً طرد ملك النوبة ، ونصب ملكاً لهم من قبله ، فلما عاد الجيش المصري ، عاد الملك المطرود ، واستولى على الحكم ، وقبض على الذي نصبه المصريّون ، فعرّاه من ثيابه ، وذبح ثوراً ، وقدّ جلده سيوراً، ولفّها عليه طرية ، وأقامه مع خشبة ، فيبست عليه تلك السيور ، فمات (تاريخ ابن الفرات ٨/٩٢).

وفي السنة ٦٩٣ قتل ابن السلعوس ، الوزير الكامل ، مدبّر الممالك شمس الدين محمد بن عثمان ، ولي الوزارة ، وتكبّر على الناس ، وآذاهم ، فعذّبه الشجاعي، وعاقبه إلى أن مات ، ومسكوا أقاربه وذويه ، فأصابتهم

النقمة جميعاً ، وكان قد انتن جسده من شدّة الضرب ، وقلع منه اللحم الميت (شذرات الذهب ٥/٤٢٢ـ ٤٢٤).

وفي السنة ٦٩٩ لما احتلّ السلطان غازان المغولي ، مدينة دمشق ، ونهبها ، أصاب القاضي تقي الدين المقدسي ، أذى كبير ، إذ أخرجه الجند المغول وعلى رأسه طاقية ، وعليه فروة ما تساوي خمسة دراهم ، وفي رقبته حبل ، فغاب إلى العشاء ، ثم عاد ، فسئل كيف عاد ، فقال : لقد أوقدوا لي ناراً ليعدموني فإذا بصوت وصياح ، فذهبوا، فنظرت فإذا أنا وحدي ، فرجعت إليكم ، (الدرر الكامنة ٢/٢٤٢).

وفي السنة ٧٠٤ بلغ الأمير سلار ، وكان قد حجر على السلطان الناصر محمد بن قلاوون أنّ الوزير ذبيان الماوردي الشيخي ، أهدى للناصر ألفي دينار ، وكان محتاجاً إليها ، فاعتقل الوزير ذبيان ، وسجنه ، وصادره ، وعاقبه ، فمات في العذاب (الدرر الكامنة ٢/١٩٦) .

وفيالسنة ٧٤٠ قبض السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، على ناظر الخاص النشو وهو عبد الوهاب بن فضل الله الملقب شرف الدين ، وعلى أخيه وأفراد عائلته ، وعرضهم على العذاب ، فماتت أمّه ، وأخوه المخلص ، في العذاب ، ثم مات النشو أيضاً ، أما أخوه الآخر فانتحر (الدررالكامنة ٣/٣٣ و ٣٤) .

وفي السنة ٧٤٢ مات بالعذاب ابراهيم بن أبي بكر بن شدّاد ، مقدّم الدولة ، وكان متمكناً في دولة الناصر محمد بن قلاوون ، بحيث إنّه كان يتحدّث مع السلطان من دون واسطة ، وقبض عليه بعد وفاة الناصر ، وعذب فمات تحت العقوبة(الدر الكامنة ١/٢٢) .

وفي السنة ٧٤٥ قتل بالعذاب في السجن ، بالقاهرة ، مقدّم الدولة ،

خـالـد بن الـزراد ، قبض عليـه أغرلو وعـاقبـه حتى هلك ، وأخـرج على لـوح (الدرر الكامنة ٢ /١٧١) .

وفي السنـة ٧٤٩ قتـل السلطان الملك المـظفـر حـاجي بن محمـد بن قـلاوون ، وقبض على نـديمـه الشيـخ على الكسيـح ، وضـرب بـــالمقـارع والكسارات ضرباً عظيماً ، وقلعت أسنانه وأضراسه ، ونوع له العذاب انـواعاً حتى هلك (النجوم الزاهرة ١٠/١٩١) .

وفي السنـة ٧٥٤ قبض السلطان المجاهـد، على المشايـخ بني زيـاد ، وكانوا ثلاثة نفر ، أحدهم مقطع لحج وأبين ، والثاني ناظر الجهات الدملئيّة، والثالث ناظر الجباية والتغزية ، وكان لهم فضل ومكارم أخلاق ، وكان النـاس يسمونهم برامكة الوقت ، فصادرهم السلطان مصادرة قبيحـة ، حتى هلكوا في المصادرة (يعني هلكوا في العذاب) . (العقود اللؤلؤية ٢ /٩٤) .

وفي السنة ٧٨٢ قبض الأتابكي برقوق بالقاهرة ، على الوزير تاج الدين الملكي وصـادره ، وضربـه ، ثم عاد فقبض عليـه ثانيـاً ، وصـادره، واستمـرّ يعاقبه إلى أن مات تحت العقوبة (بدائع الزهور ١ /٢/ ٢٦٦).

وفي السنة ٧٨٣ قام شخص اسمـه ابن القماح ومعـه ولده ، وأقفـالي ، بسـرقة أمـوال القيساريـة ، فـأخذوا ، وآستعيدت المسـروقات منهم ، وعـذبوا بأنواع العذاب الاليم (بدائع الزهور ١ /٢/٣٠٠) .

وفي السنة ٧٨٣ قبض على الوزيـر كريم الـدين بن مكانس ، وأخـوته ، وأقـاربه ، وحاشيته، وعذبوا بأنواع العذاب . (بدائع الزهور ١ /٢/٢٩٨) .

وفي السنة ٧٨٥ صادر الطواشي أمين الدين أهيف ، كاتبه عبـد اللطيف بن محمد بن مؤمن ، مصادرة عنيفة ، فتوفي في المصـادرة ، (يريـد أنه تلف في العذاب). (العقود اللؤلؤية ٢ /١٧٦) .

وفي السنة ٨٨٧ قتل بـالعذاب أبـو البركـات مفتاح الحبشي الكمـالي ،

اتّهم باختلاس أموال كان مؤتمناً عليها ، فتولى بدر الحبشي وزير جدّة تعذيبه حتى مات (الضوء اللامع ١٠/١٦٦) .

وفي السنة ٧٩٥ احتلّ تيمورلنك بغداد ، « ورمى على أهلها مال الأمان »، وطالب الناس بأموال أكثرمن طاقتهم ، وكان المتولّي لذلك شرف الدين البلقيني ، ومات خلق بالتعذيب والعقوبة ، وذكر أنّهم عذّبوا رجلاً ، فأشار لهم إلى موضع ، وقال لهم : احفروا ها هنا ، أراد أن يشغلهم بالحفر عن تعذيبه ، فحفروا ، فلم يجدوا شيئاً فعادوا ليعذبوه ، فأشار إلى موضع آخر ، فحضروا فوجدوا مالاً عظيماً ، فأخبروا تيمورلنك بذلك ، فأحضروه ، وسأله عن أصل المال ، فقال: لا أعلم له أصلاً ، وإنّما أردت أن أشغلهم عن تعذيبي ، فأمر تيمورلنك بالكفّ عن تعذيب الناس (تاريخ الغياثي ١١٣و١١٤) .

أقول : جاء في أنباء الغمر ، وفي السلوك : إنّ الذين ماتوا تحت التعذيب من أهل بغداد في هذه السنة كانوا أكثر من ثلاثة آلاف ، أما ابن الفرات فذكر أنّهم كانوا فوق السبعمائة .

وفي السنة ٧٩٦ قبض على رجل من أعوان تيمورلنك ، في حلب وأحضر إلى القاهرة ، فرسم لوالي القاهرة بعقوبته ، فعاقبه بأنواع العذاب (نزهة النفوس ٣٧٨) .

وفي السنة ٨٠١ طلع إلى السلطان رجل أعجمي ، وهو جالس للحكم ، فجلس بجانب السلطان ، ومدّ يده إلى لحيته ، وسبه سباً قبيحاً ، فبادر النوّاب إليه و أقاموه ، وهو مستمر في السبّ ، فسلّم لوالي القاهرة ، فعاقبه ، حتى مات تحت العقوبة . (النجوم الزاهرة ١٢/٩٧) .

ولما فتح تيمورلنك دمشق ، في السنة ٨٠٣ ، قسم البلد بين أمرائه ، فنزل كلّ أمير في قسمه ، وأجرى على من فيه أنواع العذاب ، في الضرب والعصر ، والإحراق بالنار ، والتعليق منكوساً ، وغمّ الأنف بخرقة فيها تراب

ناعم ، كلّما تنفس دخل في أنفه ، حتى تكاد نفسه تزهق ، فكان الرجل إذا أشرف على الهلاك يخلّى عنه حتى يستريح ، ثم تعاد عليه العقوبة أنواعاً حتى كان المعاقب يحسد رفيقه الذي هلك تحت العقوبة ، على الموت . ورأى أهل دمشق ألواناً من العذاب لم يسمع بمثلها ، منها إنهم كانوا يأخذون الرجل فيشدّ رأسه بحبلٍ ، ويلوي الحبل حتى يغوص في رأسه ، ومنهم من كان يضع الحبل بكتفي الرجل ، ويلويه بعصاه ، حتى تنخلع الكتفان ، ومنهم من كان يربط ابهام يدي المعذّب من وراء ظهره ، ثم يلقيه على ظهره ويذر في منخريه الرماد مسحوقاً ، ولا يزل يكرر عليه العذاب حتى يموت ، ويعذب وهو ميت مخافة أن يتماوت ، ومنهم من كان يعلّق بابهام يديه في سقف الدار ، وتشعل النار تحته ، ويطول تعليقه ، فربما سقط فيها ، فيسحب منها ، ويترك على الأرض حتى يفيق ، ثم يعلّق ثانياً . (النجوم الزاهرة ١٢/٢٤٤ و٢٤٥) .

وفي السنة ٨٠٣ أخذ شمس الدين محمد بن حسن الفارقي ، وعوقب (عذب) حتى مات ، وسبب ذلك ، إنّه لما فتح تيمورلنك دمشق ، صارت له وجاهة عنده ، فلما رحل عن دمشق أخذ وعذّب ومات (الضوء اللامع ٧/٢٢١) .

وفي السنة ٨١١ قتل تحت العذاب ، فخر الدين ماجد بن عبد الرزاق القبطي الاسكندري ، الوزير ، وكان أخوه سعد الدين ابراهيم ، ناظر الخاص ، ثم عزلا وسلّم فخر الدين إلى الاستادار ، فعاقبه أشدّ عقوبة حتى قتله (الضوء اللامع ٦/٢٣٤) .

أقول : ذكر صاحب بدائع الزهور ١/٢/٧٩٣ خبر مقتل هذا الرجل ، فقال : في السنة ٨١١ « اشترى » الاستادار جمال الدين ، من السلطان ، الصاحب فخر الدين بن غراب ، فاستصفى أمواله ، ثم قتله بالعذاب .

وفي السنة ٨٣٣ عذب أصبهان بن قرايوسف ، لما احتلّ الموصل ، قاضيها محمد بن طاهر الموصلي ، حتى هلك في العقوبة (أي العذاب) (تاريخ العراق للعزاوي ٣/٧٩) .

وكان محمود باشا، والي مصر ، من ٩٦٨ - ٩٧٥ للسلطان سليمان العثماني ، ظالماً، عسوفاً، أراق دماء كثيرة جداً، بحيث إذا وصل إليه الصو باشي في الديوان ، وعرض عليه من معه من «المتهومين» يشير إليه بمروحة في يده ، أما إلى الصلب، أو التوسيط، أو رمي الرقبة ، أو الخازوق ، باشارات خاصّة، من غير أن يتكلم بلسانه (البرق اليماني ١٥٢) .

كانت وسائل التعذيب ، في عهد المماليك حكام العراق (١١٦٤ - ١٢٤٧) (١٧٥٠ - ١٨٣١ م) وسائل متنوعة ، أيسرها الضرب بالسياط حتى تتفجّر الدماء ، ورش الزيت المغلي على وجه الأسير ، وعلى عينيه حتى يموت ، أو كيّ صدغيه ، وبعض المواضع الحساسة من جسده ، وقد يوضع على وتد يدخل في أسفله ويمزّق أحشاءه ، أما الخنق فهو أيسر ما يكون ، وأما الإغراق فلم يكن سراً من أسرار دجلة (الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص ٤٤) .

وفي السنة ١١٩٤ أصدر الوزير عبدي باشا ، سر عسكر أناطولي ، ووالي حلب، أمره ، بعزل أبي بكر اغا متسلم حلب ، وطلب حضوره ، فتثاقل ، ثم توجه نحوه ، فلما وصل إليه اعتقله ، وطالبه بأموال قال إنها في ذمته للدولة ، فباع أبو بكر أمواله وأثقاله كافّة ، وهو مسجون ، فلم يتخلّص ، فصار أقاربه وأصدقاؤه ، ومن بلوذ به ، يعينوه ، حتى أدّى ما فرضه الباشا عليه ، وآستمر محبوساً نيفاً وسبعين يوماً ، ثم نفاه الباشا إلى قلعة أرواد من اعمال طرابلس الشام ، وعيّن معه بيارق دالاتيه ، فقاموا به من الأوردي ، وتوجهوا لناحية اللاذقية ، وفي ذهابهم ، كانوا كلما مروا به على

قرية من قرى حلب ، وضعوا له الأغلال ، وعذّبوه ، وهددّوه بالقتـل ، وأهالي القرى « تترجّى فيه » وتبذل لأشقياء الدالاتية الدراهم ليكفـوا عنه ، واستمـرّوا على ذلك ألى أن وصلوا إلى قلعة أرواد ، بعـد أن رأى الموت عيـاناً ، مـرات عديدة ، وهو يستغيث ولا يغاث (اعلام النبلاء ٣/٣٥٥ و٣٥٦) .

البـاب السابـع عشـر
الانتـحـار

النحر : أعلى الصدر ، وفي الأمثال العربية : وضعته بين سَحْري وَنَحْري.
والسَحْر : الرئة .
والنحر : إصابة النحر بالذبح .
والإنتحار : قتل الإنسان نفسه .

والإنتحـار محرّم في جميـع الأديان والشـرائع ، قـال الله تعـالى : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ (٢٩ م النساء ٤)، وقال النبي صلوات الله عليـه : « من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته في يده يتوجّـأ بها في بـطنه ، في نـار جهنّم (لسان العرب : مادة وجأ).

وقد انتحر رجل في أيّام النبيّ صلوات الله عليه ، فلم يصلّ عليه .

وفي قـوانين العقوبـات ، مواد مثبتـة ، يعاقب بمـوجبهـا من أقـدم على الإنتحار ، إذا سلم .

وكان العرب في الجـاهلية ، يعتبـرون الإنتحار خـوراً وجبناً ، ويعيـرون قوم من انتحر ، بإقدامه على الإنتحار .

روي أنّ الحكم بن الـطفيل ، أخـا عامـر بن الطفيـل ، ضعف في يـوم ساحوق في الجاهلية ، وخشي أن يؤسر ، فانتحر . بأن جعل في عنقه حبلاً ، وصعد إلى شجرة، وشدّه ، ودلّى نفسه ، فاختنق ، فقال عروة بن الورد ، يعيّر قومه بذلك : (ابن الأثير ١/٦٤٤).

ونحن صبحنا عـامـراً في ديـارهـا   عـلالـة أرمـاح وضـربـاً مـذكّـرا

بكــلّ رقيـق الشفــرتيـن مـهنّــد ولـدنٍ من الخـطّي قـد طـرّ أسمــرا
عجبت لهم إذ يخنقــون نـفــوسهـم ومقتلهم تحت الـوغى كـان أجــدرا

وفي السنـة ٣ فـي معركـة أحد ، كـان من بين من حـارب في صفـوف المسلمين رجـل يدعى قـزمان ، فقتـل وحده ثمـانية من المشـركين أو تسعة ، وكان شهماً شجاعاً ذا بأس ، وجرح في المعركة ، فاحتمل إلى دار بني ظفر ، فقال له رجل من المسلمين ، لقد أبليت اليوم يا قزمان ، فـأبشر ، فقـال : بم أبشر ؟ فوالله إن قاتلت إلاّ على أحساب قومي ، ولـولا ذلك ما قاتلت ، ولما اشتدّت عليه جراحته ، أخذ سهماً من كنانته ، فقطع رواهشه ، فنـزفه الـدم ، فمات (الطبري ٢/٥٣١ والمعارف ١٦١) .

وفي السنة ١١ انتحر سلمـة بن عمير الحنفي ، بـأن حزّ حلقـومه بسيف نفسه ، فقطع أوداجه ، وسبب ذلك إنَّ بني حنيفة ، ارتدّوا عن الإسلام ، بعد وفـاة النبي صلوات الله عليـه ، فبعث إليهم أبـو بكـر جيشـاً بقيـادة خـالـد بن الوليد ، فانتصر عليهم ، وقتل مسيلمة ، وجماعة ممن معه ، وصالـح الباقـون خالداً ، وكان سلمة بن عميـر ، يعارض في مفـاوضات الصلح ، ويقـول : لا تقبلوا الصلح ، فإنَّ حصونكم حصينـة ، والطعـام كثير ، والشتـاء قد حضـر ، فخالفوه وعقـدوا الصلح ، فغضب واشتمل على سيف ، وأراد أن يـدخل على خالد ، ليفتك به ، وأحسّ به أصحابه ، وفتّشوه ، فـوجدوا السيف في ثيـابه ، فلعنـوه، وشتموه ، وأوثقـوه، وقالـوا له : إنّـك لو قتلت خـالداً لقتـل أصحابـه رجـالنا ، وسبـوا نساءنـا ، إذ يحسبـون أنّ عملك كـان بممالأة منّـا ، وطـردوه عنهم ، فانسلّ وعمد إلى عسكر خالد ، فصاح به الحرس ، واتّبعـوه ، فأدركوه في بعض الحـوائط (البساتين) فشـدّ عليهم بالسيف ، فـاكتنفوه بـالحجـارة ، فأجال السيف على حلقه ، فقطع أوداجه ، وسقط في بئر ، فمـات (الطبـري ٣/٢٩٩-٣٠٠) .

وفي السنـة ٢٣ انتحر فيـروز أبو لؤلؤة ، الفـارسي النصـراني ، بعـد أن

طعن الخليفة عمر بن الخطاب ، وكان فيروز غلام المغيرة بن شعبة ، أعدّ لجريمته خنجراً له رأسان نصابه في وسطه ، وكان عمر في صلاة الصبح ، يؤمّ المسلمين ، فطعنه ثلاث طعنات ، إحداها تحت سرّته ، خرقت الصفاق ، وهي التي قتلته ، وطعن معه في المسجد ثلاثة عشر رجلاً ، مات منهم سبعة ، وأقبل على القاتل رجل من بني تميم ، يقال له حكّان ، فألقى عليه ردائه ، ثم احتضنه ، فلما علم العلج أنّه مأخوذ ، طعن نفسه بخنجره ، فانتحر (العقد الفريد ٤/٢٧٢) .

وانتحر في المدينة خمسون غلاماً من أبناء الصغد ، كان سعيد بن عثمان قد أخذهم من أهليهم رهناً على صلح عقدوه معه لما كان أميراً لمعاوية على خراسان ، فلما عزل عن خراسان ، لم يعد الغلمان الرهائن الى أهليهم ، بل أخذهم معه عبيداً أرقاء إلى المدينة ، وخلع عنهم كسوتهم ومناطقهم ، وألبسهم جباب صوف ، وألزمهم السواني والعمل الصعب ، فدخلوا عليه وفتكوا به ، ثم قتلوا أنفسهم (انساب الاشراف ٥/١١٧ـ ١١٩) .

وفي السنة ٦٨ أغرق عبيدالله بن الحرّ الجعفي نفسه في الفرات، بعد أن تفرّق جمعه عنه ، في معركة ضارية .

أقول : عبيدالله بن الحرّ الجعفي ، كان من خيار قومه صلاحاً وفضلاً ، واجتهاداً ، فلما قتل عثمان انحاز إلى معاوية لمطالبته بدم عثمان ، ثم حضر أمام الإمام علي في مرافعة ، فلامه عليّ على الإنحياز إلى خصمه ، فقال له : ايمنعني ذلك من عدلك ؟ قال : لا ، وحكم له ، فعاد إلى معاوية ، ثم اعتزل الجانبين ، ولما حكم المختار العراق طلبه ، وحبس امرأته ، فدخل بجماعة معه إلى الكوفة ، فكسر باب السجن ، وأخرج امرأته ، وجميع المحبوسات فيه ، وكان إذا وجد مالاً للسلطان ، أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ، وكتب بما تسلّم وثيقة أعطاها لحاملي المال ، وتركهم وما بقي ليوصلوه إلى السلطان، وتمكّن منه مصعب بن الزبير لما حكم العراق

فحبسه ، وشفع فيه الأحنف وقوم من عشيرته ، فأطلقه ، فلحق بعبد الملك بن مروان ، فأكرمه ، وأعطاه ، وعاد إلى العراق لمحاربة المصعب ، فبعث إليه المصعب جيشاً كثيفاً أطبق عليه ، ورموه بالسهام حتى اثخنوه ، فركب سفينة توسّطت به الفرات ، فوثب إليه رجل عظيم الخلق قبض على يديه وهو جريح ، فتماسك معه ، وألقى نفسه معه في الماء فغرقا (ابن الأثير ٤/ ٢٩٤).

ومن لطيف ما يذكر ، إنَّ عبيدالله ، لما اطلقه المصعب ، بشفاعة الأحنف ، جاء إلى الأحنف ، وقال له : يا أبا بحر ، ما أدري كيف أكافئك ، إلَّا أن أقتلك ، فتدخل أنت الجنّة شهيداً ، وأدخل أنا النار ، فضحك الأحنف ، وقال له : لا حاجة لي في مكافأتك يا ابن اخي (انساب الأشراف ٥/ ٢٨٨).

وفي السنة ٧٧ انتحر خالد بن عتّاب بن ورقاء الرياحي ، بأن ألقى نفسه وفرسه في دجلة ، وكان قد حارب شبيب الخارجي ، في معركة ضارية ، وقتل مصاداً أخا شبيب ، وغزالة زوجة شبيب ، ثم انهزم أصحابه فتراجع حتى أشرف على دجلة ، فألقى نفسه فيها ، فانتحر غرقاً . (الاعلام ٢/ ٣٣٩).

وفي السنة ٨٥ انتحر عبد الرحمن بن محمد الأشعث ، الثائر على الحجاج ، بأن القى نفسه من فوق قصر، فمات ، وكان عبد الرحمن قد خرج على الحجّاج في السنة ٨١ ، وأيّده الناس لظلم الحجّاج ، وخلعوا عبد الملك بن مروان ، فانفذ عبد الملك جيوشاً من الشام ، وبعد معارك دامية ، قتل فيها عشرات الألوف ، اندحر جيش العراق ، والتجأ عبد الرحمن وقسم من أصحابه إلى رتبيل ، ملك الترك ، فكتب الحجّاج إليه ، يطلب منه تسليم ابن الأشعث ، ويهدّده بأن يقصده في ألف ألف رجل ، إن لم يسلمه ، وبعث إليه عهوداً مختومة بختمه ، بجميع ما يطلب ، ورغّبه في أن لا يغزو بلاده

عشر سنين ، يعفى فيها من الخراج ، فغدر رتبيل بابن الأشعث ، واعتقله ، وثلاثين من أصحابه وأهل بيته ، وألقى في اعناقهم الجوامع والقيود ، وبعث بهم إلى عمارة بن تميم ، قائد الحجّاج ، فلما قرب ابن الأشعث من عمارة، ألقى نفسه من فوق قصر ، فمات ، وكان معه في السلسلة رجل يقال له أبو العبر ، فماتا جميعاً ، فاحتز عمارة رأسه ، وضرب اعناق أصحابه ، وبعث بالرؤوس إلى الحجّاج ، فبعث الحجاج برأس ابن الأشعث إلى عبد الملك ، فبعث به عبد الملك إلى عبد العزيز بمصر ، فقال الشاعر :

هيهات موضع جثّة من رأسها　　　رأس بمصر وجثّة بالرخّج

لزيادة التفصيل ، راجع الطبري ٦/ ٣٩٠و ٣٩١ واليعقوبي ٢/ ٢٧٩ والأخبار الطوال ٣٢٠ .

وفي السنة ٩١ قصد عبد الرحمن بن مسلم ، أخو قتيبة، الصغد ، فصالحه ملكها طرخون ، ودفع اليه مالاً ورهناً ، فقال الصغد لملكهم طرخون ، إنّك رضيت بالذلّ ، واستطبت الجزية، فلا حاجة لنا بك ، وخلعوه ، ونصبوا ملكاً آخر غيره ، وحبسوا طرخون ، فقال طرخون : ليس بعد سلب الملك إلاّ القتل ، فيكون ذلك بيدي ، أحبّ إليّ من أن يليه منّي غيري ، واتّكأ على سيفه ، حتى خرج من ظهره (الطبري ٦/٤٦٣ وابن الأثير ٤/٥٥٤).

وفي السنة ١٢٦ انتحر عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي ، بأن أخذ سيفاً فاتّكأ عليه حتى خالط جوفه ، وكان عمرو هذا عاملاً على السند للوليد بن يزيد ، فأخذ محمد بن عزان الكلبي فضربه ، وبعث به إلى يوسف بن عمر ، أمير العراق ، فضربه وألزمه مالاً عظيماً ، يؤدّي منه في كلّ جمعة نجماً ، وإن لم يفعل ضرب خمسة وعشرين سوطاً ، فضرب حتى جفّت يده وبعض أصابعه ، فلما ولي منصور بن جمهور العراق ، ليزيد بن الوليد ، ولى محمد بن عزان سجستان والسند ، فأتى سجستان ، وسار إلى السند ، فأخذ

عمرو بن محمد ، وأوثقه ، وجعل عليه حرساً يحرسونه ، وقام إلى الصلاة ، فتناول عمرو ، من أحد الحراس سيفاً ، فاتّكأ عليه مسلولاً ، حتى خالط جوفه ، وتصايح الناس، فخرج ابن عزان ، فقال له : ما دعاك إلى ما صنعت ؟ قال : خفت العذاب ، قال : ما كنت أبلغ بك ما بلغته من نفسك ، فلبث ثلاثاً ثم مات (الطبري ٢٧٢/٧).

وكان أحد خلفاء بني أميّة ، قد اشترى جارية ، كان يتعشّقها شابّ ، فاحتجبت عنه ، فكتب إلى الخليفة ، يتوسّل أن يمكّنه من رؤية الجارية ، وسماع غنائها ، ثم ليصنع به ما هو صانع ، فمكّنه من ذلك ، حتى إذا غنّته ثلاثة أصوات ، طرح الشاب نفسه من المستشرف الذي كان فيه ، فلم يصل إلى الأرض إلّا أوصالاً، راجع تفصيل القصّة في مصارع العشاق ١٠١/٢- ١٠٢- ٢١٥- ٢١٦).

وذكر ابن الكلبي أنّ فتى من بني حنيفة ، تعشّق فتاة ، وجنّ بها ، واحبّته الفتاة كذلك ، ونذر به الحيّ ، فحذروه ، وانذروه بأنّه إن عاد فسوف يقتلونه ، وجلس ذات ليلة ، بمعزل من الحيّ ، ومعه قوسه ، فخرجت إليه حبيبته لتراه ، فظنّها أحد الفتيان جاء إليه ليقتله فرماها بسهم ، فقتلها ، فصاحت رفيقتها ، فركض الفتى إليها ، ورأى ما جنت يده ، فوجأ نفسه بمشاقصه حتى مات ، راجع تفصيل القصة في مصارع العشاق ١٤٣/٢- ١٤٤ ، والعقد الفريد ٦/ ٤٧٠- ٤٧١ .

ولما قتل أبو جعفر المنصور في السنة ١٣٧ أبا مسلم الخراساني ، قطع رأسه ، ورمى به إلى من بالباب من قوّاد أبي مسلم ، فهمّوا أن يبسطوا سيوفهم على الناس ، ثم ردّهم عن ذلك انقطاعهم وتغرّبهم ، فانتحر قسم منهم بسيوفهم ،|وسكت الباقون . (الامامة والسياسة ١٣٦/٢).

وفي السنة ١٤٢ انتحر اصبهبذ طبرستان ، بأن مصّ خاتماً له فيه سم ، فقتل نفسه ، وكان سبب ذلك أنّه نقض العهد الذي كان بينه وبين المسلمين ،

فحاصروه ، فقال أبو الخصيب لأصحابه : اضربوني ، واحلقوا رأسي ولحيتي ، ففعلوا ، ولجأ إلى الأصبهبذ، وزعم أنّه عائذ به ، حتى أمنه ، ففتح باب الحصن للمسلمين ، فانتحر الأصبهبذ (ابن الأثير ٥/٥١٠ والطبري ٧/٥١٣).

وفي السنة ١٥٩ ظهر المقنع بخراسان ، واسمه حكيم ، وكان يتخذ وجهاً من الذهب يجعله على وجهه ،واجتمع إليه خلق كثير ، وكانوا يسجدون له في أيّ ناحية كانوا ، وكان يزعم أنّ روح الله حلّت فيه ، وحاربه الجيش العبّاسي ، فلما أيقن بالهزيمة ، جمع نساءه وأهله وأجّج ناراً عظيمة ، وقال : من أحبَّ أن يرتفع معي إلى السماء ، فليلق نفسه معي في هذه النار ، وألقى بنفسه مع أهله وخواصّه ونسائه ، فاحترقوا ، ودخل العسكر القلعة، فوجدوها خالية خاوية . (ابن الأثير ٦/٣٨- ٣٩- ٥١- ٥٢).

أقول : الذي أورده الطبري ٨/١٣٥- ١٤٤- ١٤٥ إنَّ حكيم المقنّع ، خرج بخراسان في السنة ١٦١ وإنّه استغوى بشراً كثيراً ، وقوي ، وصار إلى ما وراء النهر ، وإنَّ المهدي سيّر اليه جيوشاً ، آخرها جيش بقيادة سعيد الحرشي ، فشدّد عليه الحصار ، فلما أيس من الظفر ، انتحر بأن شرب سمّاً، وسقاه نساءه وأهله، فمات وماتوا ،وإنَّ انتحاره حصل في السنة ١٦٣ .

وفي السنة ٢٢٣ لما تآمر العبّاس بن المأمون ، وبعض القوّاد على قتل المعتصم ، واستخلاف العبّاس ، كان من جملة المتآمرين قائد تركي أثير عند أشناس ، لا يحجب عنه في ليل ولا نهار ، كان قد تعهّد للمتآمرين بقتل أشناس، فلما افتضحت المؤامرة، اعتقل اشناس هذا التركّي ، وحبسه في بيت ، وطيّن عليه الباب ، فكان يلقي إليه في كلّ يوم رغيفاً وكوزماء ، فأتاه ولده في بعض أيّامه ، فكلّمه من وراء الحائط ، وقال له : يا بنيّ لو كنت تقدر لي على سكّين كنت أقدر أن اتخلّص من موضعي هذا ، فلم يزل ابنه يتلطّف في ذلك حتى أوصل إليه سكّيناً ، فقتل به نفسه . (الطبري ٩/٧٨).

وروى الجاحظ : إنّه رافق محمد بن ابراهيم المصعبي ، من سامراء إلى بغداد ، في حرّاقته ، ونصب في الطريق ستارة ، وغنّته عوّادة ، ثم غنّته طنبوريّة ، وبعد أن انهت الصوت هتكت الستارة وألقت نفسها في الماء ، وكان على رأس محمد غلام جميل بيده مذبّة ، فألقى بنفسه في أثرها ، واعتنقا، ثم غاصا فلم يريا ، راجع التفصيل في وفيات الأعيان ٣/٤٧١-٤٧٢ ومصارع العشاق ١/١١٣-١١٤ وتحفة المجالس ٣٠٩-٣١٠).

وكان حنين بن اسحاق العبادي الطبيب ، طبيب المتوكل ، وإسرائيل بن زكريا الطيفوري ، طبيب الفتح بن خاقان ، فاختلفا أمام المتوكّل ، في موضوع الخمار وهل يضرّ المصاب بالخمار أن يجلس في الشمس أم لا ، فأثنى المتوكل على حنين ، فاغتاظ الطيفوري ، ودسّ لحنين ، واغرى الجاثليق والأساقفة ، فلعنوا حنين ، وقطعوا زنّاره ، وأمر المتوكّل أن لا يصل إليه دواء من عند حنين ، حتى يشرف عليه الطيفوري ، ويحضر عمله ، فانصرف حنين إلى منزله ، وانتحر بأن سقى نفسه سماً (تاريخ الحكماء ١٧٢).

وفي السنة ٢٨٥ أوقع صالح بن مدرك الطائي بالحاجّ ، بقاع الأجفر ، فقتل خلائق عظيمة من الحاجّ ، ومات منهم كثير بالعطش ، وسلب من الناس نحواً من ألفي ألف دينار (مروج الذهب ٢/٥١٦)، فخرج إليه أبو الأغرّ خليفة بن المبارك السلمي ، وظفر بصالح في فيد ، فأسره ، فجمع الأعراب ليستنقذوه ، فواقعهم أبو الأغر وقتل منهم مقتلة عظيمة ، فأيس صالح من الخلاص ، وكان يدري ما ينتظره إذا وصل إلى بغداد ، فاستلب من أحد الغلمان سكيناً وقتل نفسه ، فاحضر أبو الأغر رأسه إلى مدينة السلام ، وأحضر معه رؤوساً أخرى ، وأربعة أساري هم بنو عمّ صالح بن مدرك فأدخلوا المطبق (مروج الذهب ٢/٥١٩).

ولما اعتقل صاحب الشامة ، رأس القرامطة ، في السنة ٢٩١ ، وحمل إلى بغداد ، كان يعرف ما ينتظره ، فحاول الإنتحار ، بأن عمد إلى سكرجة فكسرها ، وقطع بشظية منها بعض عروقه ، فخرج منه دم كثير ، فلما أطّلع على ذلك ، شدّ جرحه ، وترك حتى صلح وعادت إليه قوّته ، ثم احتفل بقتله ، وقتل أصحابه . (الطبري ١٠/١١٣) .

أقول : راجع كيفية قتل صاحب الشامة ورفاقه ، في هذا الكتاب ، في الباب التاسع « التعذيب بالتعرّض للجوارح » الفصل الثاني « القسم الأوّل قطع الأطراف » .

وفي السنة ٣١١ لما عزل حامد بن العباس من وزارة المقتدر ، وصودر ، باع ضياعه ، وداره ، وخدمه ، وباع اخصّ خدمه به من نازوك ، بثلاثة آلاف دينار ، فالتفت الخادم إلى نازوك ، وقال له : إنّك لا تنتفع بي ، فلا تبتعني ، فلم يقبل منه ، وآبتاعه ، فلما كان في تلك الليلة ، شرب الخادم زرنيخاً ، فمات من ساعته (المنتظم ٦/١٨٣ـ ١٨٤ وتكملة تاريخ الطبري ٣٦) .

وفي السنة ٣١٥ قبض الوزير على بن عيسى ، وزير المقتدر ، على رجل شيرازي ، ظهر أنّه يكاتب القرامطة ، فناظره الوزير بحضرة القاضي أبي عمر والقوّاد ، وقال الشيرازي : أنا صاحب أبي طاهر القرمطي ، وما صحبته إلّا لأنه على حقّ ، وأنت وصاحبك ومن يتبعكم ، كفّار مبطلون ، ولا بد لله في أرضه من حجّة ، وإمام عدل ، فقال له علي بن عيسى : أصدقني عمن يكاتب القرمطي من أهل بغداد والكوفة ، فقال : ولِمَ أصدقك عن قوم مؤمنين ، حتى أسلمهم إلى قوم كافرين فيقتلونهم ، لا أفعل ذلك أبداً ، فأمر بصفعه بحضرته ، وضربه بالمقارع ، وقيّده ، وغلّه بغلّ ثقيل ، وجعل في فمه سلسلة ، وأسلمه الى نازوك (صاحب الشرطة) وحبسه في المطبق ، فمات

بعد ثمانية أيام ، لأنّه امتنع من الطعام والشراب حتى مات (تجارب الامم ٧١٢/١).

وفي السنة ٣٣٤ قصد أبو يزيد الخارجي مدينة تونس ، فدخلها بالسيف ، وقتل الرجال ، وسبى النساء ، ونهب الأموال ، وهدم المساجد ، فانتحر الكثير من أهلها ، بأن رموا أنفسهم في البحر (ابن الأثير ٤٣١/٨).

وروى التنوخي ، في كتابه نشوار المحاضرة ، في القصة المرقمة ٥٨/٥ ج ٥ ص ١٢٩- ١٣٤ قصّة فتى تعشّق أخته ، وفرّ بها إلى موضع لا يعرف فيه ، وماتت الأخت على أثر الولادة، فلما وضعها في قبرها ، أخرج سيفاً ، وأدخله في فؤاده فانتحر ، فمات ، ودفن معها في قبر واحد .

وفي السنة ٣٥١ استولى على طرسوس ، ابن الزيات ، وقطع خطبة سيف الدولة ، وخرج في أربعة آلاف رجل من الطرسوسيّين لحرب الروم ، فأوقع به الدمستق ، وقتل جميع من معه ، وقتل أخاه أيضاً ، فلما وقف ابن الزيّات على ذلك ، لبس سلاحه ، واعتمّ، وخرج إلى روشن داره ، وكانت داره على شاطىء نهر ، ثم رمى بنفسه من داره الى النهر ، فغرق . (تجارب الأمم ١٩١/٢).

وفي السنة ٣٦٠ قتل يوسف بن بلكّين بافريقية أصحاب محمد بن الحسين الزناتي ، وجماعة من أهله وبني عمه ، وكان محمد قد عصى على المعزّ لدين الله بإفريقية ، وكثر جمعه ، فأمر المعزّ يوسف ، بالتخلّص منه ، فبادر إليه يوسف ، ولم يشعر به محمد ، إلاّ وهو داخل عليه ، فلما رآه محمد جردّ سيفه وانتحر به ، وقتل يوسف الباقين . (ابن الأثير ٦١٦/٨).

وانتحر الطبيب أبو الحسن محمد بن غسّان بن عبد الجبار الداري الصيدلاني البصري ، بأن أغرق نفسه في كرداب كلواذى ، ببغداد ، لاسباب اجتمعت عليه ، من صفر اليد ، وسوء الحال ، وجرب أكل بدنه ، وعشق

حرق قلبه ، وحيرة غرب معها عقله ، وخذل رأيه ، حتى جرّ إلى نفسه حينها بما أقدم عليه ، وكان ابن غسان فتى ، مليحاً ، ظريفاً ، حسن الأدب ، محذقاً فيما بين الأطبّاء ، وكان يعلّم الطب ، ويشارك في علوم الأوائل ، وخدم بصناعته ملوك بنى بويه ، على الخصوص عضد الدولة فنا خسرو راجع الرسالة البغدادية للتوحيدي ٢٥٦ ـ ٢٥٨ وتاريخ الحكماء ٤٠٢) .

وكان القائد تبر ، أحد أمراء الدولة في عهد كافور الإخشيدي ، فلما قدم القائد جوهر من المغرب بالعساكر ، حاربه القائد تبر ، ولكنّه انهزم ، فكتب إليه جوهر ، يترضاه ، فلم يجب ، وأقام على الخلاف ، فسيّر إليه عسكراً حاربه ، فانكسر تبر ، وقبض عليه ، وأدخل إلى القاهرة ، مشهراً على فيل ، وسجن ، وفي السنة ٣٦٠ ضرب بالسياط ، وحبس عدّة من أصحابه بالمطبق في القيود ، فجرح نفسه ، ومات منتحراً . (خطط المقريزي ٤١٣/٢) .

وانتحر بتناول السمّ ، أبو أحمد بن أبي بكر بن حامد ، الكاتب ، الشاعر ، كان أبوه كاتب الأمير الساماني اسماعيل بن أحمد ، وزير الأمير أحمد بن اسماعيل (قتل سنة ٣٠١) ، فنشأ أبو أحمد ربيب نعمة ، وتأدّب ، وتظرّف ، ونظم فأجاد ، وولي ولايات ، وكان يتخرّق في تبذير ماله ، فتخرّق حاله ، وضاقت معيشته ، حتى قال : (التيمية ٦٤/٤ ـ ٦٩) .

قد قلت أذ مدحوا الحياة فأسرفوا   في الموت ألف فضيلة لا تعرف
منها أمان لقائه بلقائه   وفراق كلّ معاشر لا ينصف

ثم قتل نفسه بتناول السمّ ، فمات منتحراً .

وفي السنة ٣٦٩ انتحر المطهّر بن عبد الله ، وزير عضد الدولة ، إذ أنفذه الملك عضد الدولة إلى البطيحة لاستئصال الحسن بن عمران ، بعد أن آستخلف على الوزارة أبا الريان حمد بن محمد الأصبهاني ، فلم يتمكن من

صاحب البطيحة ، وباءت خططه بالفشل ، فآعتكف في خيمته ، وأخذ سكّين دواتـه فقطع بهـا شرايين ذراعيـه جميعاً وأدخـل ذراعيه إلى بـاطن ثيابـه فنـزف دمـه ، وأدركه خـدمه والنـاس وفيه رمق ثم مـات . (تجارب الأمم ٢/٤٠٩ - ٤١١) .

وفي السنة ٣٦٩ انتحرت الأميـرة جميلة بنت ناصـر الدولـة الحمداني ، تخلّصاً من حياة الـذلّ والأسر التي ابتليت بهـا ، بأن ألقت نفسهـا في دجلة ، فغرقت ، راجع تفصيل ذلك في هـذا الكتاب ، البـاب التاسـع عشر « المرأة » الفصل الخامس عشر « انتحار المرأة » .

وفي السنة ٣٩٢ حارب يمين الدولة محمـود بن سبكتكين ، جيبال ملك الهنـد ، فكسره ، وأسـره ، وأطلقه بمـال قرّره عليـه ، فأدّاه ، وكـان من عادة الهنود ، أنّهم أذا حصل أحـد منهم في أيدي المسلمين أسيـراً ، لم تنعقد لـه بعدها رئـاسة ، فلمـا رأى جيبال حـاله بعـد خلاصـه ، حلق رأسه ، ثم ألقى نفسه في النار ، فآنتحر (ابن الأثير ٩/١٦٩ ، ١٧٠) .

وفي السنـة ٣٩٢ توفي أبـو الطيب الفـرخـان بن شيـراز ، فـأنفـذ بهاء ، الدولة ، وزيره أبا غالب لحيازة ما خلّفه ، وكـان للفرخـان ثقة مجوسي ، عالم بما خلّف الفرخان ، فقبض عليه أبو غالب ، وعذّبه ، فـانتحر بـأن ذبح نفسـه في الحمّام (ذيل تجارب الامم ٤١٤ - ٤١٧) .

وفي السنة ٣٩٥ حارب يمين الدولة محمود بن سبكتكين ، ملكاً إسمـه بحيرا ، وآسم مملكته بهاطية ، وتقـع وراء المولتـان ، فآنكسـر بحيرا ، فلمـا أيقن بالعطب ، أخرج خنجراً معه ، فقتل به نفسه (ابن الأثير ٩/١٨٥) .

وروى عبد الله بن عبد العزيز السامري ، إنّه مرّ وصديق له بدير هزقل ، وهو موئل للمصابين بعقولهم ، فوجدا فيه شاباً حسن الوجه ، مشـدوداً بسلسلة إلى جدار ، فاستنطقاه ، فتلا عليهما أبياتاً ، تشيـر إلى أنّه صـريع غـرام ، ثم تلا عليهم أبياتاً أخرى ، كان البيت الأخير فيها :

إنّي على العهـد لم أنقض مـودّتهم   فليت شعـري بطول العهـد مـا فعلوا

فقـالا لـه : مـاتـوا ، فقـال : وأنـا ميت في أثـرهم ، ثم خنق نفسـه بالسلسة ، فاندلـع لسانـه ، وندرت عنـاه ، ومات ، راجـع تفصيل القصّـة في مصارع العشاق ١/ ١٩ و٢٠ .

أقـول : دير هِـزْقِل (حـزقيل) مـا بين البصـرة وعسكـر مكـرم (معجم البلدان ٢/ ٧٠٦) كان موئلاً للمصابين بعقـولهم ، وقد ذكـره دعبل في أبيـات هجا بها أبا عبّاد ، وزير المأمون ، وكانت في أبي عبّاد حدّة ، قال :

أولـى الأمــور بضيعـة وفسـاد   أمـر يـدبّـره أبـو عـبّـاد
يسـطو على كـتّـابـه بـدواتـه   فمضـمّـخ بـدم ونضـح مـداد
وكـأنّـه من ديـر هـزقـل مفلت   حَـرِدٌ يجـرّ سـلاسـل الأقيـاد

وفي السنـة ٤٠١ حارب محمـود بن سبكتكين ، ملك الغـور ، وانتصـر عليه ، فشرب الملك سمّاً كان معه فمات (ابن الاثير ٩/ ٢٢٢) .

وفي السنـة ٤٠٧ غزا محمـود بن سبكتكين الهند ، فحـاصـر كشمير ، فـأسلم صاحبهـا على يده ، ثم حـاصر حصن هـو دب ، فأسلم صـاحبه على يده ، ثم حاصر قلعة كلجند وفتحها فعمد كلجند إلى زوجتـه فقتلها ، ثم قتـل نفسه بعدها (ابن الاثير ٩/ ٢٦٦) .

وفي السنة ٤١١ قتل الحاكم الفاطمي ، فنصبت أختـه ستّ الملك ولده أبا الحسن علي ، مكان أبيـه ، واعتقلت ولي العهد أبا القـاسم ، في القصر ، وحمل إليه يوماً بطيخ ومعه سكيّن ، فغرز السكين في سرّته ، ومات منتحراً (النجوم الزاهرة ٤/ ١٩٤) .

وفي السنة ٤١٢ قبض قرواش بن المقلّد صـاحب الموصـل ، على أبي القاسم المغربي الوزير ، وأطلقه ، وعلى أبي القاسم سليمان بن فهد ، فقتـل سليمان نفسه . (المنتظم ٨/ ٢) .

وروى المقريزي في خططه ٢/ ٢٨٩ إنّه في السنة ٤١٥ قبض على رجل من بني حسين ثار بالصعيد الأعلى ، فأقرّ بأنّه قتل الحاكم بأمر الله ، من جملة أربعة أنفس ، تفرّقوا في البلاد ، وأظهر قطعة من جلدة رأس الحاكم ، وقطعة من الفوطة التي كانت عليه ، فقيل له : لم قتلته ؟ فقال : غيرة لله وللإسلام ، فقيل له : كيف قتلته ؟ فأخرج سكيناً ، ضرب بها فؤاده ، فقتل نفسه ، وقال : هكذا قتلته ، فقطع رأسه وأنفذ به إلى الحضرة .

أقول : أورد المسبحي ، في أخبار مصر ، في السنة ٤١٥ هذا الخبر بتفصيل أوفى ، فذكر في الصفحة ٢٧ و٢٨ أنّه : ورد الخبر إلى مصر بأنّ الثائر الذي حصل بالصعيد الأعلى ، حصل في يد القائد الفاطمي حيدرة بن عقبايان ، وكان الثائر رجلاً شريفاً حسنياً ، فأقرّ بأنّه قتل الحاكم بأمر الله ، في جملة أربعة أنفس تفرّقوا في البلاد ، فمنهم من مضى إلى برقة ، ومنهم من مضى إلى العراق ، وإنّه أظهر له قطعة من جلد رأسه ، وقطعة من الفوطة التي كانت عليه ، فقال له حيدرة : ولم قتلته ؟ فقال : غرت لله وللإسلام ، فقال : وكيف قتلته ؟ فأخرج سكيناً ، فضرب بها فؤاد نفسه ، فقتل نفسه ،وقال : هكذا قتلته ، فقطع حيدرة رأسه ، وأنفذ الرأس إلى الحضرة ، مع ما وجده معه .

وفي السنة ٤٢٦ عصى أحمد ينالتكين ، نائب السلطان مسعود الغزنوي بالهند ، على السلطان ، فسيّر أليه جيشاً ، فانهزم ، وتحصّن في جزيرة ، فهاجمه الهنود ، وأوقعوا به ، وأخذوا ولداً له أسيراً ، فلما رأى أحمد ذلك ، قتل نفسه ، ومات منتحراً (ابن الاثير ٩/ ٤٤١ و٤٤٢) .

وفي السنة ٤٥٧ انتحر أبو نصر فتوح بن هلال اليفرني ، صاحب تاكرنا ، بالأندلس، وكان قد خلف أباه المتوفّى سنة ٤٤٩ وملك كذلك ريا ومالقة ، وثار عليه رجل من رعيته ، يدعى ابن يعقوب ، بإغراء من المعتضد بن عبّاد ، فاقتحم قصر أبي نصر ، وصاح مع جماعته بخلعه ،

والدعوة للمعتضد ، فألقى أبو نصر نفسه من علّية كان جالساً بها ، فوقع على صخرة ، فتكسّر ، ومات . (الاعلام ٥/٣٣٥) .

وفي السنة ٤٦٨ كان غلام يعرف بابن الروّاس ، من أهل الكرخ ببغداد ، يحبّ امرأة ، فماتت ، فحزن عليها ، فبقي لا يطعم الطعام ، وانتهى به الأمر ألى أن خنق نفسه (المنتظم ٨/٢٩٧) .

وكان مسلم بن قريش ، صاحب الموصل وحلب ، يستوفي من صاحب أنطاكية الإفرنجي ، إتاوة سنوية ، فلما ملك سليمان بن قتلمش أنطاكية ، طالبه مسلم بالإتاوة ، فأجابه : إنّ سلفي كان نصرانياً يعطي الجزية ، وأنا مسلم لا جزية عليّ ، فحاربه مسلم بن قريش ، فانتصر سليمان ، وقتل مسلم في المعركة في السنة ٤٧٨ ، وحصر سليمان حلب ليستولي عليها ، فآمتنعت حلب عليه ، وكتب حافظها إلى الأمير تتش السلجوقي أن يحضر لتسلّمها ، فبلغ ذلك سليمان ، فقصدتتش ، وآشتبكا في معركة ، فلما رأى سليمان أنّ أصحابه قد فرّوا أنف من الهزيمة ، وأخرج سكيناً كان معه ، فقتل به نفسه ، ومات منتحراً (اعلام النبلاء ١/٣٥٨) .

وفي السنة ٥٠٠ انتحر الأمير قلج أرسلان ، صاحب الموصل وما حولها ، إذا أشتبك في معركة ضارية مع الأمير جاولي سقاوو ، فآنهزم عسكر قلج ، وثبت هو ، وعلم إنّه إن أسر فعل به فعل من لم يترك لصلح موضعاً ، فأقحم فرسه الخابور ، فغرق (ابن الاثير ١٠/٤٢٩ و٤٣٠) .

وفي السنة ٥٠٠ افتتح السلطان ملكشاه السلجوقي ، قلعة شاهدز ، بالقرب من أصبهان ، وقتل صاحبها وولده ، فألقت زوجته نفسها من رأس القلعة ، فماتت منتحرة ، راجع التفصيل في كتابنا هذا ، في الباب التاسع عشر « المرأة » الفصل الخامس عشر « انتحار المرأة » .

وفي السنة ٥١١ نزل ابن بديع ، رئيس حلب ، لمقابلة الأمير ايلغازي

بقلعة دوسر ، فهاجمه اثنان من الباطنية ، فقتلاه ، وقتلا أحد ولديه ، وقتلا من بعده ، وجرح ولده الآخر ، فحمل إلى القلعة ، فهاجمه باطني وقتله ، وقبض على الباطني ، وحمل ليقتل ، فرمى بنفسه إلى الماء ، وانتحر غرقاً (اعلام النبلاء ١/٤٢٧) .

وفي السنة ٥٢ أمر الوزير المختص أبو نصر أحمد بن الفضل ، وزير السلطان سنجر ، بآستئصال الباطنية ، وكانت للباطنية قرية من أعمال بيهق ، إسمها طرز ، ومقدمّهم بها الحسن بن سمين ، فقصدها العسكر ، وقتلوا كلّ من بها ، وهرب مقدّمهم الحسن ، وصعد منارة المسجد ، ثم ألقى بنفسه إلى الأرض (ابن الاثير ١٠/٦٣١ و٦٣٢) .

وفي السنة ٥٢١ إنتحر أبو القاسم محمود بن عزيز العارضي الخوارزمي ، بمرو ، ذبح نفسه بيده ، وترك رقعة بخط يده فيها : هذا ما عملته أيدينا ، فلا يؤاخذ به غيرنا ، وكان أبوالقاسم هذا يلقّب شمس المشرق ، وكان الزمخشري يسميه : الجاحظ الثاني . (معجم الادباء ١٤٦/٧) .

وفي السنة ٥٢٣ خنق رجل يقال له ابن ناصر نفسه ، بحبل شدّه في السقف . (التنظيم ١٠/١٣) .

وفي السنة ٥٣٢ انتحر الأمير البقش السلاحي ، بأن غرّق نفسه في دجلة ، وكان نائباً عن السلطان في عدّة ممالك ، ثم غضب عليه السلطان ، فقبض عليه ، وحبسه بقلعة تكريت ، ثم أمر بقتله ، فانتحر . (ابن الاثير ١١/٦٥ و النجوم الزاهرة ٥/٢٦٢) .

وفي السنة ٥٣٩ حصل عبد المؤمن ، أمير الموحّدين ، بمدينة وهران ، بالمغرب ، ونزل تاشفين ، أمير المسلمين بظاهرها على البحر ، وفي ليلة ٢٧ رمضان ، صعد تاشفين إلى الربوة المطلة على البحر ، بأعلاها ثنيّة يعمرها

المتعبّدون ، يريد التبرّك بذلك الموضع ، وبمن فيه من الصلحاء ، فحصره الموحّدون في ذلك الموضع ، وأحاطوا به ، وأحرقوا عليه باب الرباط ، فلما أيس تاشفين من النجاة من أيديهم ، ركب فرسه ، وآخترق النار ، ثم أقحمه الوادي ، فتردّى هو وفرسه من جرف عالٍ على الحجارة ، فمات منتحراً (ابن الأثير ١٠/ ٥٨٠ وفيات الأعيان ٧/ ١٢٦ والمعجب للمراكشي ٢٧١) .

وفي السنة ٥٥١ توفي خوارزم شاه أتسز بن محمد بن أنو شتكين ، وخلفه ولده أرسلان ، فقتل نفرا من أعمامه ، وسمل أخاً له ، فقتل الأخ المسمول نفسه منتحراً . (ابن الأثير ١١/ ٢٠٩) .

وفي السنة ٥٧٤ انتحر أحد المكارية في الحبس ببغداد ، وسبب ذلك إنّه أخذ ألف دينار ، تعود لرجل اكتراه ورفاقه من الموصل إلى بغداد ، فأخذ واعترف بالمال ، وأحضر منه تسعمائة وخمسين ديناراً ، وقال إنَّ الخمسين الباقية أخذها قريب له ، فقال صاحب المخزن : خذوا هذا فآحبسوه لنصلبه غداً ، فنهض المكاري في الليل ، وصلب نفسه . (المنتظم ١٠/ ٢٨٧) .

وفي السنة ٥٨٧ انتحر يعقوب الحلبي ربّان بطسه (نوع من السفن) ، وسبب ذلك ، إنّ ملك الانكتار (يريد ريكاردوس قلب الأسد ملك إنكلترا) وصل مع رجاله إلى عكّا ، وكان رجل زمانه شجاعة ، ومكراً ، وجلداً ، وصبراً ، فعظمت به قوّة الإفرنج المحاصرين لعكّا ، فأمر صلاح الدين الأيّوبي ، فجهّزت من بيروت ، بطسة كبيرة مملوءة من الرجال والعدة والقوت ، وفيها سبعمائة مقاتل ، وسيّرت ألى عكّا ، فلقيها ملك انكتار ، فقاتلها ، وصبر من فيها ، فلما أيسوا من الخلاص ، عمد المقدّم بها ، واسمه يعقوب الحلبي ، مقدّم الجندارية ، ويعرف بغلام ابن شقتين ، فنزل إلى قعرها ، وخرقها خرقاً واسعاً ، وأغرقها بمن فيها وما فيها ، وانتحر هو وأصحابه غرقاً لئلاّ يظفر الإفرنج بهم وبما معهم من الذخائر (ابن الاثير ١٢/ ٦٥) .

وفي السنة ٥٩٨ سعى رجل يعرف بابن عـطيّة ، بـابن ثناء البـزّاز ، بأنّ لـديه وديعـة أودعها عنـده أبو بكـر بن العطّار ، الـوزير ـ كـان ـ للناصـر وعزل وصودر ، فانكر ابن ثناء ، وحقّق في الأمـر ، فظهـر كذب السـاعي ، ، فأطلق ابن ثنـاء ، واعتقل ابن عـطية ، وحبس ببـاب النوبي ، فـألقى نفسه في بئـر ، فمات ، فصلب على باب داره . (الجامع المختصر ٨٢ و٨٣) .

وفي السنة ٦٠٢ تجهزّ السلطان شهاب الدين الغوري ، لقتال بني كـوكر بالهند ، وكانوا قد عصوا عليه ، وقطعوا الطريق ، وأخـافوا السبيـل ، ووافقهم قسم من الهنـود على الخـروج عن الـطاعـة ، فـداهمهم شهـاب الـدين ، وكسرهم ، فقصدوا أجمـة هناك ، وآجتمعـوا ، وأضرمـوا ناراً ، وكان أحدهم يقول لصاحبه : لا تدع المسلمين يقتلونك ، ثم يلقي بنفسه في النـار ، فيلقي صـاحبه نفسـه بعـده ، فعمّهم الفنـاء قتـلاً وحـرقـاً . (ابن الاثيـر ٢٠٨/١٢ ـ ٢١١) .

وفي السنـة ٦٠٢ انتحـر الفقيـه تقي الـدين عيسى بن يـوسف العـراقي الغرافي ، الضرير ، بأن شنق نفسـه ، في حجرتـه بالمـدرسة الأمينيّة ، وسبب ذلك ، إنّه سرق له مال ، فآتهم شخصاً كان يقرأ عليه ، ويقوده ، فأنكـر ذلك الشخص التهمة ، وتعصّب عليه أقوام ، وقالوا هو ضرير فقير من اين له المـال الذي ادّعى بأنّه سرق منه ، فزاد عليه الهمّ وشنق نفسه . (نكت الهميان ٢٢٣ و٢٢٤) .

وفي السنة ٦٠٤ صلب الرضيّ بن هرثمة ، نفسه ، بالمخزن المعمور ، وكان موكّلاً به على بقيّة مال قرّره على نفسه ، فـأخرج ليـلاً ، فسلّم إلى أهله (الجامع المختصر ٢٣٧) .

وفي السنة ٦٢٤ انتحر السلطان ناصر الدين قباجه ، مملوك علاء الـدين الغـوري ، صاحب السنـد والملتان وأوج ، قتـل نفسـه على أثـر انكسـاره في

معـركة حصلت بينـه وبين التتميش ،وكان قـد حكم منـذ السنـة ٦٠٢ (معجم انساب الاسر الحاكمة ٦٠٢) .

وفي السنـة ٦٤ حصر الجنـود المصريـون ، الإفرنـج بدميـاط ، وحاول الإفرنج التخلّص من الحصار بعدّة حمـلات ، وكانت جميعهـا فاشلة ، فقتـل جميـع فرسـانهم ، إلاّ فارسين ، **فـاقتحما النيـل بخيلهما فغـرقـا** . وأسـر من المحاربين نيفاً وعشـرين ألف آدمي . وقتـل سبعة آلاف . (النجـوم الـزاهـرة ٣٦٧/٦) .

وفي السنة ٦٨٢ تضارب بالقاهرة مؤمن بن عجم العطّار ، مـع والدتـه ، وبعد العشاء الآخرة « شنق روحه » (تاريخ ابن الفرات ٢٦١/٧) .

وفي السنــة ٦٨٥ تـوفّي الفقيــه أبـو الحسن علي بن محمــد الأزدي ، وخلّف ولدين هما محمد وعبد الله ، وكان محمد مفرطاً في السخاء ، لا يليق شيئـاً ،ولا يخيّب قاصداً ،فتضعضع حاله ، وركبـه دين كثير بعـد وفاة أبيـه ، فراجعه أحـد الدائنين ، وأغلظ لـه في القول ، وكـان قاعـداً على باب داره ، فدخل إلى الدار من فوره ، وعمد إلى حبلٍ فشنق بـه نفسه (العقـود اللؤلؤية ٢٤٤/١) .

وفي السنـة ٦٨٦ طولب ببغـداد نجم الدين كاتب الجـريد بـالحساب ، ودوشخ ، على بقايا وجبت عليه ، فلما عرف من نفسه العجز عما يطلب منـه ، وخشي من العقاب ، قتل نفسه . (تاريخ العراق للعزاوي ٣٤١/١) .

وفي السنة ٦٨٩ انتحر القاضي ناصر الـدين محمـد بن عبــد الـرحمن المقدسي المعروف بابن نوح ، شنق نفسه بعمامته ، وكان وكيـل بيت المال ، وناظر الاوقاف بدمشق ، فسـرق وخان ، فـأمر السلطان بـالكشف عما أكـل ، وإعـادته لبيت المـال ، فضرب بـالمقــارع ، وحبس ، ثم طلب إلى مصـر ،

فآنتحر شنقاً . (تاريخ ابن الفرات ٩٢/٨) و (الوافي بالوفيات ٢٣٧/٣ ـ ٢٣٨ وشذرات الذهب ٤١٠/٥ و٤١١) .

وفي السنة ٧٠٣ اشتدّ حصار السلطان يوسف بن يعقوب المريني لمدينة تلمسان ، وكانت بحكم عثمان بن يغمراسن ، من بني عبد الواد ، وضاق عثمان بالحصار ذرعاً ، فآنتحر ، بأن وضع سمّاً في قدح من اللبن ، وشربه ، فمات ، تفادياً من معرّة غلبة الأعداء (ابن خلدون ٩٥/٧) .

وكان قراسنقر ، من الأمراء بمصر ، وحضر قتل الاشرف وشارك فيه ، فلما تسلطن الناصر أخو الاشرف ، خشي قراسنقر على نفسه ، وفرّ إلى السلطان محمد خدا بنده والد ابي سعيد ، سلطان العراق، فأعطاه مدينة مراغة ، وتسمّى دمشق الصغيرة ، فلما مات محمد وولي ابنه أبو سعيد ، فرّ منه الأمير الدمرطاش إلى سلطان مصر ، فوقع الإتفاق على أن يعيد سلطان مصر الدمرطاش ، ويعيد أبو سعيد قراسنقر ، وبعث الملك الناصر برأس الدمرطاش ، فأمر أبو سعيد بحمل قراسنقر لسلطان مصر ، فمصّ قراسنقر خاتماً له فيه سمّ ، فمات (تاريخ العراق للعزاوي ٤٢٩/١) . وكان ذلك في السنة ٧٢٨ .

وفي السنة ٧٢١ قبض السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١) على كريم الدين عبد الكريم ، ناظر الخاص ، ووكيل السلطان ، وعظيم دولته ، وصادره ، وأبقاه في الاعتقال أربعين يوماً ، ثم أطلقه ، وألزمه بأن يقيم في تربته بالقرافة ، ثم نفاه إلى الشوبك ، ثم نقله إلى القدس ، ثم أحضره إلى القاهرة ، ثم نفاه إلى أسوان ، ووجد هناك مشنوقاً بعمامته . (النجوم الزاهرة ٧٥/٩) .

وفي السنة ٧٣١ انتحر بمدينة دمشق شنقاً تقيّ الدين الاشقر محمد بن اسماعيل بن موسى الحسيني الشريف ، وسبب انتحاره أنّه ركبته الديون ،

فشنق نفسه ، وعلّق في عنقه ورقة بخطّه ذكر فيها إنّ الحامل له على ذلك خشيته من ضرب المقارع بسبب أصحاب الديون لأنهم كانوا هدّدوه بذلك (الدرر الكامنة ٤/١٢) .

ولما ولي السلطان محمد بن تغلق ، سلطنة الهند ، بعد موت أبيه ، امتنع الأمير بهاء الدين كشت آسب ، ابن اخت السلطان تغلق ، من بيعته ، فحاربه ، وانكسر الأمير ، والتجأ إلى ملك من ملوك الكفّار ، يعرف باسم (الراي كنبيلة)، والراي بالهندية تعني السلطان ، وهو من أكبر سلاطين الكفّار ، فطلبه منه السلطان ، فأبى أن يسلمه لأنّه التجأ إليه فحاربه السلطان محمد بن تغلق ، وحاصره، فلما قارب أن يؤخذ ، قال للأمير بهاء الدين : إنّ الحال قد بلغت ما تراه ، وأنا عازم على إهلاك نفسي وعيالي ومن يتبعني ، فاذهب أنت إلى السلطان فلان ،وسمّى له سلطاناً من الكفّار ، فأقم عنده ، فإنّه سيمنعك ، وبعث معه من أوصله إليه ، وأمر الراي كنبيلة ،بنار فأججت ، وأحرق فيها امتعته ، وقال لنسائه وبناته : إنّي أريد أن أقتل نفسي ، فمن ارادت موافقتي فلتفعل ، فكانت المرأة منهنّ، تغتسل ، وتدهن بالصندل، وتقبّل الأرض بين يديه ، وترمي بنفسها في النار ، حتى هلكن جميعاً ، وفعل مثل ذلك نساء امرائه ، ووزرائه، وأرباب دولته، ومن أراد من سائر النساء ، ثم اغتسل الراي ، وادّهن بالصندل، ولبس السلاح ما عدا الدرع ، وفعل كفعله من أراد الموت معه من ناسه ، وخرجوا إلى عسكر السلطان، فقاتلوا ، حتى قتلوا جميعاً. (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/٩٦-٩٧).

ووصف لنا الرحالة ابن بطوطة ، في رحلته ، مراسيم الأحتفال بإحراق النساء الهندوسيات أنفسهنّ ، إذ ينتحرن لحاقاً بأزواجهنّ ، وبيّن إنّ إحراق المرأة نفسها بعد زوجها ، أمر مندوب إليه ، غير واجب ، ولكنّ من أحرقت نفسها بعد زوجها ، أحرز أهل بيتها شرفاً بذلك ، ونسبوا إلى الوفاء ، ومن لم تحرق نفسها ، لبست خشن الثياب ، وأقامت عند أهلها بائسة ممتهنة ، لعدم

وفـائها ، ولكن لا تكـره على إحراق نفسهـا ، راجع تفصيـل عمليّـة الانتحـار بالاحتراق بالنار في هـذا الكتاب ، في البـاب التاسـع عشر « المـرأة » الفصل الخامس عشر « انتحار المرأة ».

وذكــر ابن بـطوطــة في رحلتـه ، ٢/٢٢ ، إنَّ الهنــدوس في الهنـد ، ينتحرون غرقاً ، بالقاء أنفسهم في نهر الكنك ، وهو الذي إليه يحجّون ، وفيه يرمى برماد من يحرق بدنه منهم ، وهم يقولون إنَّ هذا النهر من الجنّـة.، وإذا جاء أحدهم ليغرق نفسه ، يقول لمن حضره : لا تظنّوا أنّي أغرق نفسي لأجل شيء من أمـور الدنيـا ، أو لقلة مـال ، وإنّمـا قصـدي التقـرّب إلى كسـاي ، وكساي ، اسم الله عزّ وجل بلسانهم ، ثم يغرق نفسه ، فإذا مات ، أخرجوه ، وأحرقوه، ورموا برماده في النهر المذكور .

وفي السنة ٧٣٩ أمر السلطان الملك الناصر محمـد بن قلاوون بـاعتقال النشو ناظر الخاص ، وأفراد عائلته ، وكان أخوه مجد الدين رزق الله بن فضل الله ممن اعتقـل ، وسجن ببعض الخزائن ، وفي فجـر اليوم التـالي ، لما قـام عنه حارسـه ليصلّي الصبح ، أخـرج من حياصتـه سكيناً ، ووضعهـا في نحره فقطع أوردته، ومات (النجوم الزاهرة ٩/١٣٥) وقد أورد الخبر صـاحب الدرر الكامنة ٢/٢٠١ بتفصيـل أوفى إلا إنّه ذكـر أنّ انتحار مجـد الدين رزق الله بن فضل الله حصل في السنة ٧٤٠ فذكر أن مجد الدين اعتقل لما اعتقل أخوه ، وأخذه قوصـون نائب السلطان ، فـأنزلـه عنـده في القلعـة ، فـاغتنم غفلة من الموكّل به ، وأخذ سكيناً فنحر بها نفسه، فمـات، وكان ذلـك في السنة ٧٤٠ وكـان كثيراً مـا يقول لأخيـه النشو ، إن جـرت علينا نـائبة ، لا يـرحمنـا أحـد لمبالغتنا في نصح الملك ، ويشمت بنا النـاس ، وأنا ـ والله ـ إن وقـع ذلك لا امكّن أحداً من عقوبتي ، فكان كذلك .

وذكر ابن بطوطة ، إنّه شاهد أحد أتباع سلطان مل جاوة ينتحـر أمامـه ، إذ رآه وبيده سكّين ، قد وضعه على رقبة نفسه ، وتكلّم بكلام كثير لم يفهمه،

ثم أمسك السكّين بيديه معاً ، وقطع عنق نفسه ، فوقع رأسه لحدّة السكّين ، وشدّة إمساكه ،| بالأرض ، قال فعجبت من شأنه ، وقال لي السلطان : أيفعل هذا أحد عندكم ؟ فقلت له : ما رأيت هذا قطّ ، فضحك، وقال : هؤلاء عبيدنا، يقتلون أنفسهم في محبّتنا، وأمر به فرفع وأحرق . (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/٢٤٣).

وفي السنة ٧٥٢ حاصر صاحب تلمسان، أبو ثابت ، من بني عبد الواد ، علي بن راشد ، من مغراوة ، بمدينة تنس ، ثم اقتحم جيشه المدينة ، فانتحر علي بن راشد ، بأن ذبح نفسه (ابن خلدون ٧/١٢٠).

وخرج القاضي جلال الدين الأفغاني ، وأتباعه من الأفغانيين ، على السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند (٧٢٥- ٧٥٢)، واستولى على مدينة كنباية ، وعظم شأنه ، فأراد ثلاثة من كبراء أهل كنباية ، الإمتناع منه ، ومحاربته ، وهم ملك الحكماء ، وشمس الدين ، والناخداه الياس ، ولكنّ جلال الدين، تغلّب عليهم ، ودخل المدينة ، فاختفى الثلاثة في دار ، وخافوا أن يقبض عليهم ، وأن يعذّبوا ، فاتّفقوا على أن يقتلوا أنفسهم، وضرب كلّ واحد منهم صاحبه ، بقتارة ، فمات اثنان ، ولم يمت ملك الحكماء . (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/١٧٢).

أقول : القتّارة : سلاح وصفه الرحالة ابن بطوطة ، في رحلته ٢/١٦٣ فذكر أنّها تشبه سكّة الحرث ، يدخل الرجل يده فيها فتكسو ذراعه، ويفضل منها مقدار ذراعين ، وضربتها لا تبقي .

وفي السنة ٧٦٨ قتل نائب السلطنة يلبغا ، وكان قتله بأيدي مماليكه ، واتّهم السلطان الأشرف شعبان، بأنّ قتله كان بأمره ، وأقيم أسندمر أتابكاً ، فاتّفق معه مماليك يلبغا ، وركبوا على الأشرف، فحاربهم الأشرف وهزمهم ، وأقيم الأمير الجاي اليوسفي أتابكاً ، وهو زوج أمّ الأشرف، فاتفق موت أمّ

الأشرف ، فركب ألجاي اليوسفي على الأشرف ، فانكسر ألجاي ، فساق حتى رمى نفسه في البحر فغرق ، ومات منتحراً (الدرر الكامنة ٢ /٢٨٨) .

أقول : أورد صاحب بدائع الزهور ١/٢/ ١١٩ إنَّ الأتابكي الجاي ، تحرّك في السنة ٧٧٥ على الملك الأشرف بالقاهرة، فحاربه السلطان، فانكسر الجاي ، وجاء إلى شاطىء نهر النيل ، واقتحمه بفرسه ، فغرقا معاً . وأيد صاحب النجوم الزاهرة ١١/١٢٩ ان الحركة حصلت في السنة ٧٧٥ وسمّى الأتابكي الجاي : الأمير سيف الدين اليوسفي .

وفي السنة ٧٦٩ انتحر الأمير سيف الدين قنق ، أحد أمراء المماليك بمصر ، إذ كان يحارب مع اليلبغاوية ، فلما انكسروا ساق قنق فرسه الى بركة الحبش ، ونزل بشاطىء البركة ، وبقي يشرب الماء ، ويستفّ الرمل، حتى مات . (النجوم الزاهرة ١١/١٠٣).

وفي السنة ٧٩٥ كان الأمير منطاش ملتجئاً إلى نعير بن حيار، فكبس نائب حلب على نعير ، وأسر أولاده ونساءه فطلب نعير من السلطان إطلاقهم ، على ان يسلم إليه منطاشاً ، فوافق السلطان ، فبعث اربعة من العبيد لاحضار منطاش ، فذهبوا إليه وأخذوا سيفه ، فاحسّ بالموضوع وقال : دعوني حتى أبول ، فلما وقف إلى الحائط ، أخرج من وسطه خنجراً ، وشقّ به بطنه . (بدائع الزهور ١/ ٢/٤٥٩).

وفي السنة ٨٠١ انتحر الفقيه عبد القادر الحنبلي ، بدمشق ، وكان شيخ زاوية الحمصي ، فنسب إليه إنّه خرّب كثيراً من أوقافها ، فطلب منه الحكّام كتاب الوقف ، فطلع خلوته في الشيخونية ، ليجيء بكتاب الوقف ، فشنق نفسه في الخلوة (الضوء اللامع ٤/٣٠٠).

وفي السنة ٨٠٢، حارب محمد بن عمر بن عبد العزيز الهواري ،

بمصـر ، الأمير يلبغا الأحمـدي ، فلما انكسـر يلبغا، نـزل الى البحر، فغـرق بفرسه . (بدائع الزهور ١/٢/ ٥٨٦).

وفي السنـة ٨٠٥ خرج ظـاهـر بن السلطان أحمـد بن أويس على أبـيـه، وحـاربه ، وكسـره ، فاستعـان الأب بقرا يـوسف ، فاعـانه ، فـانكسر ظـاهر ، فاقتحم بفرسه دجلة، وغرق . (بدائع الزهور ١/ ٢/ ٦٧٣).

ولمـا قبض تيمورلنـك ، على السلطان بـايـزيـد العثمـاني ، في السنـة ٨٠٥ ، صنع له قفصاً من الحديـد ، ووضعه فيـه ، وصار يـدخل بـه المدن ، ويعجّب عليـه ، فما أطـاق ذلك ، فـابتلع فصّاً من حجـر الماس، فمـات وهو بالقفص الحديد (بدائع الزهور ١/٢/ ٦٦٠).

وفي السنـة ٨٧٣ حاصـر السلطان حسن بك المعـروف بأوزون حسن ، السلطان حسن علي ، صاحب أذربيجان ، فلما عرف حسن علي أنّه مأخوذ ، عمد إلى سكّين فذبح بها نفسـه ، فمات منتحـراً ، وتفصيل ذلـك : إنَّ جهان شاه ، لما قتـل ، وسمعت امرأتـه بموتـه ، تحصّنت في قلعة النجق ، وكـان فيهـا جملة خـزائن ، فـأرسلت جملة منهـا إلى حسن بـك ، أوزون حسن واستعجلته على القدوم إلى قلعـة النجق ، فوقعت الخـزائن في يد حسن علي فقتل الرسل ، واستولى عليها ، وحاصـر قلعة النجق ، وأغـرى حرّاس القلعـة بأن يخامروا على المرأة ، ففتحوا له أبـواب القلعة ، وقبض على امـرأة أبيه ، فـأخذهـا حسن علي معه إلى تبـريز ، حيث صلبهـا بثدييهـا ، فـاستمـرّت في العذاب ثلاثة أيّام حتى ماتت ، ولما سمع حسن بك ، بما صنعه حسن علي، وكان محاصراً بغداد ، ترك حصار بغداد ، وتوجّه إلى تبريز ، فحاصرها ، وفي اثناء الحصار فـرّ قائـدان من قوّاد حسن علي الى حسن بـك ، والقائـدان شاه علي ، وإبـراهيم شاه ، فقبض حسن علي على أولادهمـا ونسائهمـا ، فقتلهم جميعاً ، كما قتـل كلّ من كـانت له عـلاقة بـالقائـدين ، ثم فرّ حسن علي من

تبريز إلى همدان ، فاتبعه حسن بك، ففرّ منه إلى جبل الوند ، فأرسل اليه من حصره هناك ، فلما عرف حسن علي أنّه مأخوذ ، أخرج سكيناً وذبح نفسه ، فمات ، وكانت مدّة حكمه سنة واحدة (التاريخ الغياثي ٣٢٦ـ ٣٣١) وذكر صاحب التاريخ الغياثي ، أنّ حسن علي هذا ، خلف أباه جهان شاه في حكم اذربيجان ، ففتح الخزائن ، وبذّر الأموال ، وكان من الحماقة بمكان ، ومن جملة حماقاته أنّه أمر أن لا تلبس النساء السراويل ، وإنّ من كان مقرون الحاجبين ، عليه أن يحلق ما بينهما من الشعر ليظهرا مفروقين ، وكان يجمع النساء عاريات، ويجلس بينهنّ ، ويعمل ما تطيب له نفسه ، ويهتك ما يجب ستره (أي إنّه يمارس الجنس بمحضر منهنّ)، وكان يأمر البنات بالرقص عاريات ثم يختار واحدة منهنّ ، وكان يختار من بنات امرائه ، ويتزوّج منهنّ عنوة ، بدون قيود ، ثم يتركهنّ إلى غيرهنّ .

وفي السنة ٨٨١ انتحر قانم قشير نائب السلطنة بالإسكندرية ، بأن شنق نفسه ، وذلك لما كثر التشكّي منه ، وطلب دواداره للتحقيق ، فانتحر (الضوء اللامع ٦/ ٢٠٠).

وفي السنة ٩٠٥ إنتحر زين الدين خطّاب بن محمد الكوكبي ، بأن شنق نفسه بخلوته بالضيائية ، وسبب ذلك إنّه أحسّ بضعف، فحسب أنّه سيموت ، فأوصى بمبلغ من الذهب له كميّة جيّدة ، فلما برأ من مرضه ندم على تصرّفه ، وانتحر بأن شنق نفسه (شذرات الذهب ٨/ ٢٦ـ ٢٧).

وفي السنة ٩٢٢ انتحر أبو الفتح محمد بن عبد الرحيم الواعظ المصري ، وكان انتحاره بالسمّ ، وسبب ذلك إنّه تزوّج امرأة زويلية ، فافتتن بها ، حتى باع كتبه ، وصرف ثمنها عليها ، ثم خالعها ، وندم ، وأراد مراجعتها، فأبت عليه إلّا بخمسين ديناراً ، فلم يقدر إلّا على ثلاثين ، فبعث بالثلاثين اليها ، وبعث معها سماً قاتلاً ، وقال : إن لم تقبلي الثلاثين ، وإلّا

شربت هذا السمّ ، فلم تقبل ، فشرب السمّ، ومات (شذرات الذهب ١١٨/٨).

وفي السنة ١٠١٠ انتحر عبد الرحمن بن عتيق الحضرمي ، وزير الشريف حسن أمير مكّة ، بأن طعن نفسه بجنبيّة (خنجر) وهو في سجنه ، وكان عبد الرحمن قد تسلّط على المملكة في عهد الشريف حسن ، وظلم ، وجار ، وصادر ، واعتدى ، فلما توفّي الشريف حسن ، وخلفه ولده أبو طالب، أمر باعتقال عبد الرحمن ، فاعتقل، ومكث في حبسه يومين، ثم طعن نفسه بالجنبيّة ، وشقّ بطنه فمات ، فألقي في درب جدّة في حفرة صغيرة ، بلا غسل، ولا تكفين ، ولا صلاة ، ورمت عليه العامّة الحجارة فوارته (خلاصة الأثر ٢/٣٦١-٣٦٢).

وفي السنة ١٠٤٨ حاصر السلطان مراد الرابع العثماني، بغداد، وكان حاكمها الإيراني بكتاش خان ، فاستسلم ، وكتب الى اتباعه بالإستسلام وإخلاء بغداد ، ولكنّ المعركة استمرّت ولم يبق له من جنده البالغ عددهم ثلاثين ألفاً إلاّ ثلثمائة، فانتحر (تاريخ العراق للعزاوي ٤/٢١٠-٢٣٢).

وفي السنة ١٠٥٦ انتحر أبو السعود بن أحمد الدمشقي المعروف بابن الكاتب ، بأن أكل سبعة دراهم من الأفيون ، فمات ولم يفد فيه علاج ، وكان سبب انتحاره أنّه فشل في حبّه فآثر الموت على الحياة (خلاصة الاثر ١١٨/١) .

وفي السنة ١٠٧٩ انتحر الشيخ مصطفى بن سعد الدين الجباوي الدمشقي ، بأن دخل إلى خلوته بالجامع الأموي ، وأقفل بابها ، وخلع ثيابه ، ووضع في عنقه حبلاً ، وشنق نفسه (خلاصة الأثر ٣٧٥/٤) .

وفي السنة ١١١٠(١٦٩٨ م) هاجم الجيش الهندوسي (الماهراتا) في الهند ، بعض ولايات السلطان أورنك زيب عالمكير محي الدين أعظم شاه ،

سلطان الهند ، فحاربهم القائد قاسم خان ، فانكسر جيشه ، وانتحر قاسم خان من أجل هزيمته . (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ١٦١ و١٦٢) .

وفي السنة ١١٩١ هجم عرب مصر علي الامير ذي الفقاربك ، وعرّوه ، فهرب ، فلحقوا به وأردوا قتله ، فألقى بنفسه إلى البحر (النيل) بفرسه ، فغرق ، ومات منتحراً (الجبرتي ١/٥٠٤) .

وفي السنة ١١٩١ حصلت في حلوان بالقطر المصري ، معركة بين المماليك ، وانكسر أصحاب الأمير مراد بك، ونهب وطاقهم ، فما كان من الأمير محمد بك طبل ، إلّا أن أقحم فرسه النهر (النيل) فغرق ، ومات منتحراً (الجبرتي ١/٥٠٥) .

وفي السنة ١٢٠٥ (١٧٩٠ م) توفيّ الأمير محمد باشا المجاهد ، صاحب الجزائر ، فخلفه الخزناجي حسن ، فأصبح حسن باشا ، وبعد أن تمت بيعته ، أصدر أمره باعتقال علي أغا ، الذي كان يزاحمه في طلب الولاية ، فاعتقل ، وحبس في مطهّرة (حمّام أو كنيف) ثم نقل إلى القلعة ، حيث وجد مذبوحاً ، قيل إنّه قتل نفسه ، وقيل إنّ حسن باشا أمر بقتله (مذكرات الزهار ٥١ و٥٢) .

وفي السنة ١٢٩٣ إتّفق كبار رجال الدولة العثمانية ، وخلعوا السلطان عبد العزيز وبايعوا بدلاً ولي عهده مراد ، فٱستخلف بٱسم السلطان مراد الخامس ، وبعد خلع عبد العزيز بستّة أيام ، وجد في غرفته وقد فارقته الحياة ، وإلى جانبه مقراض قرض به شرايين ذراعه ، فمات منتحراً (اعيان القرن الثالث عشر ١١٥) .

وفي السنة ١٣٣٤ هـ (١٩٢٩ م) انتحر عبد المحسن السعدون ، رئيس الوزراء في العراق ، إثر جلسة عاصفةٍ في مجلس النوّاب ، ضايقه فيها بعض النوّاب ، واتهموه بالإهمال في العمل لما فيه مصلحة العراق ، والتساهل

في حقوق العراق تجاه الحكومة البريطانية التي كانت ذات تاثير قويّ في أدارة الأمور بالعراق ، فانزعج ، وارتجل خطبة ، قال فيها : إنّ الإستقلال يؤخذ ولا يعطى ، وهو لا يؤخذ بالكلام ، وإنّما يؤخذ بالحسام ، فآعتبر السفير البريطاني هذا القول ، تحريضاً على الثورة ، وآعتبر صدوره في البرلمان ، من رئيس وزراء مسؤول ، خرقاً للإتفاقيات المنعقدة بين العراق وبريطانيا ، وعنّفه تعنيفاً قاسياً ، وكان عبد المحسن مرهف الحسّ ، عظيم الاعتداد بكرامته ، فآنتحر ، بأن أطلق الرصاص على قلبه ، وكنت إذ ذاك كاتباً في المجلس النيابي ، وتلميذاً في كلّية الحقوق ، وكنت حاضراً خطبته الأخيرة في المجلس ، كما كنت من جملة من حضر تشييع جنازته من داره الشاطئية إلى حيث دفن في مقبرة الكيلاني ، وحضرت من بعد ذلك ، حفلة التأبين التي أقيمت له في جامع الكيلاني ، وحضرها عشرات ألوف من الناس .

وفي السنة ١٣٧٨ (١٩٥٨ م) انتحر رئيس وزراء العراق ، نوري السعيد ، وكان قد آستتر لما حصل انقلاب الضبّاط بزعامة عبد الكريم قاسم ، فلما سمع بمقتل ولده الوحيد ، أراد أن يبارح بغداد ، وبارح مأواه في عباءة وحجاب ، وفي أحد الشوارع ، ظهر من تحت العباءةمن ثيابه ، ما دلّ على أنّه رجل ، فلما حوصر ، وأيس من الإفلات ، أطلق على نفسه الرصاص ، فمات منتحراً . (اسرار مقتل العائلة المالكة في العراق ١٤١) .

وآخر من بلغنا خبر انتحاره ، ممن ساهم في حركة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ، النقيب عبد الستّار سبع العبوسي ، الذي قام بمذبحة قصر رحاب ببغداد ، حيث كان أوّل من وجّه رشّاشه إلى ساكني القصر أفراد العائلة المالكة ، وكانوا قد جمعوا في زاوية من زوايا حديقة القصر وضمّ إليهم خدمهم ، فقتلهم بأجمعهم ، وكان فيهم نساء وعجائز وأطفال ، وكان قد نقل إلى البصرة ، وذكر عن كيفية انتحاره إنّه دخل ألى داره ، وأوصى أن يعدوا له

الغداء . ثم صعد إلى حجرة في الطابق الثاني ، وأطلق على نفسه الرصاص ، فمات منتحراً . (أسرار مقتل العائلة المالكة في العراق ١٢٦ - ١٣٢ و١٤٣) .

انتحار الحيوان

الإنتحار غير مقصور على الإنسان وحده ، وإنّما شركه فيه الحيوان أيضاً ، إذا طغى به الحزن على فراق إلفه ، وما أكثر ما بلغنا من القصص عن انتحار الخيل حزناً على فراق أصحابها .

وكان آخر هذه القصص ، ما قرأناه في صحيفة الاهرام ، في السبعينات ، عن حصان انتحر ، حزناً على وفاة صاحبه البدوي ، وكانت أمّ الحصان قد ماتت بعد نتاجه بقليل ، فعني به صاحبه عناية عظيمة ، وقضى الحصان مع البدوي أربع سنوات ، ثم سقط البدوي مريضاً ، فكان الحصان يقف خارج خيمة صاحبه ، فلما مات البدوي ودفن ، تسلّق الحصان تلاً ، وأبقى بنفسه إلى وهدة ، فمات .

وذكر محمد بن هارون ، أنّ أباه اشترى زوج بطّ ، ثم أخذ الذكر فذبحه ، فجعلت الأنثى تضطرب تحت المكبّة ، حتى كادت أن تقتل نفسها ، فرفع عنها المكّبة ، فجاءت إلى حيث ذبح ذكرها ، فلم تزل تضطرب في دمائه حتى ماتت (مصارع العشاق ٢/٢٩١) .

وحدّثني السيد عبد الكريم بن الحاج عبد الحسين الأزري ، وهو سياسيّ عراقي مثقف ، أنّه عندما كان تلميذاً يطلب العلم في إحدى جامعات لندن ، كان قد اقتنى كلبة ، فألفته ، ولما أراد العودة إلى بغداد ، بعد انتهاء

دراسته ، بعث بالكليـة إلى المستشفى لقتلها ، فتعجّبت من قـوله وسـألته عن السبب الذي دفعه إلى إسلامها للقتل ، فقال: إنّ هذا الجنس من الكـلاب ، يـألف صاحبـه إلفة شـديدة ، بحيث أنّـه أذا فارقـه انقطع عن الـطعـام ، حتى يموت جوعاً وحزناً ، فيكون تعجيل الأطبّاء بقتله رحمة له .

وذكر بعض أصحاب المعرفة بطبائع احيوان ، إنّ أجنـاساً من الـطيور ، تموت من الحزن ، إذا فقدت إلفها .

وكان للربيع بن بدر كلب قد ربّـاه ، فلما مـات الربيـع ، ودفن ، جعل الكلب يتضرّب على قبره حتى مات .

وكان لعامر بن عنترة كلاب صيد وماشية ، وكان يحسن صحبتها ، فلمـا مات عامر ، لزمت الكلاب قبره حتى ماتت عنده ، وتفرّق عنه الأهل والأقارب (فضل الكلاب على من لبس الثياب ١٠) .

وروى الراوون قصّة كلب انتحر من أجل سلامة صاحبه ، فقد ذكروا أنّ ملكاً من ملوك أرمينية ، كان له كلب ربّـاه ، وكان لا يفـارقه حيث كـان ، وإذا كان وقت طعامه ، أطعم الكلب مما يأكل ، وخرج يوماً إلى بعض متنزّهـاته ، وأوصى أن يكون ضمن ما يطعمه في ذلـك اليوم ثـريدة لبن ، وصنـع الطبـاخ الثريدة ، واشتغل عنها ، فجاء أفعى ، وكرع من اللبن ، ومجّ في الثريـدة من سمّــه ، والكلب رابض لا يقـدر على ردّه ، إذ لا حيلة للكلب في الأفعى ولا في الحيّـة ، فلما قـدم الملك ، كانت الثـريدة أوّل مـا قدّم إليـه ، ولمـا مـدّ الملك يـده إليها ، نبـح الكلب ، فلم يفهم الملك عنه شيئـاً ، ورمى إليه من الثريدة شيئاً ، فلم يقربه ، وألحّ الكلب في نباحه ، فضجر منه الملك ، وأمـر بتنحيتـه ، فوثب الكلب إلى وسط المـائدة ، وكـرع من اللبن ، فسقط ميتـاً ، وعندئذ أدرك الملك أنّ كلبـه قتل نفسـه ، في سبيل سـلامته (فضـل الكلاب على من لبس الثياب ١٦ ـ ١٨) .

وسواء كانت القصة حقيقية أو مصنوعة ، فإنّ الكلب معروف بالوفاء والإخلاص ، ولذلك قال الشاعر البدوي ، في مدح أحد خلفاء بني العبّاس :

أنت كالكلب في حفاظك للودّ وكالتيس في قراع الخطوب

وذكر صاحب المنتظم ٨/ ٢٨٠ أنّه كانت للفقيه الامام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري (٣٧٦ - ٤٦٥) فرس ، ركبها عشرين سنة ، ولم يركب غيرها ، فلما توفيّ ، عافت العلف بعد وفاته ، وتلفت بعد أسبوع .

الباب الثامن عشر

المثلة

المثلة : بفتح الميم وضمّها وسكون الثاء ، في اللغة : التنكيل وفي الاصطلاح : التشويه ، بقطع الأطراف ، أو سمل العين ، أو جدع الأنف ، أو صلم الأذن ، أو جبّ الذكر ، وما أشبه ذلك ، وإنّما سمّيت مثلة ، لأنّها تنزل بالإنسان فتجعله مثالاً يرتدع به غيره .

والمثلة محرّمة في جميع الشرائع والقوانين ، وقد نهى النبي صلوات الله عليه ، عنها في مواطن عدّة ، وكان إذا بعث سريّة لقتال ، أوصاهم ، فقال : لا تمثّلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا وليداً (العقد الفريد ١/١٢٨) .

وكان أبو بكر الصدّيق ، يكرّر الوصية على أمراء جيوشه : أن لا يمثّلوا ، ولا يخونوا ، ولا يغلوا ، ولا يغدروا ، ولا يقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا آمرأة ، ولا راهباً (الطبري ٣/٢٢٧) .

وجيء اليه مرّة ، برأس بنان ، بطريق الشام ، فأنكر ذلك ، وقال : أيستنّون بفارس والروم ، لا يحمل إليّ رأس ، وإنّما يكتفى بالكتاب والخبر (تاريخ الخلفاء ٩٩) .

وبلغ أبا بكر أنّ عامله علي اليمامة ، عاقب مغنّية غنّت بهجو المسلمين ، بقطع يدها ، وقلع ثنيّتها ، فكتب إليه : إن كانت ممن يدعي الاسلام ، كان عليك أن تؤدّبها بأدب وتعزير دون المثلة ، وإن كانت ذمّية ،

فلعمري أنّ ما صفحت عنه من الشرك ، أعظم ، وإيّاك والمثلة في الناس ، فإنّها مأثم ومنفرة ، إلا في قصاص (تاريخ الخلفاء ٩٧) .

ومن وصية الفاروق عمر لسلمة بن قيس الاشجعي ، لما أمّره على جيش : لا تغلّوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً (الطبري ٤/١٨٧) .

وكان أمير المؤمنين علي ، يأمر قوّاده في كلّ موطن يلقون فيه عدوّاً ، فيقول : لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم ، فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ، فإذا وصلتم إلى رحال القوم ، فلا تهتكوا ستراً ، ولا تدخلوا داراً إلّا بإذن ، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلّا ما وجدتم في عسكرهم ، ولا تهيجوا آمرأة بأذى ، وإن شتمن أعراضكم ، وسببن أمراءكم وصلحاءكم (الطبري ٥/١٠ و١١) .

ولما جرح الإمام علي ، أوصى ولده الحسن ، وقال في آخر وصيته : واما عبد الرحمن ـ أي الذي قتله ـ فإن عشتُ فسأرى فيه رأيي ، وإن متُّ ، فضربة بضربة ، ولا يمثّلن به أحد ، فإني سمعت رسول الله ينهى عن المثلة ، ولو بالكلب العقور .

وكان النبي صلوات الله عليه ، ينهى عن التحريش بين البهائم (البصائر والذخائر ١/٢٥٧) وينهى عن آتّخاذ شيء فيه الروح غرضاً .

وكان من جملة الوصايا التي أوصى بها الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، عبد الرحمن بن نعيم ، عامله على خراسان : لا تجرّ الشاة إلى مذبحها ، ولا تحدّ الشفرة على رأس الذبيحة (الطبري ٦/٥٧٢) .

وأورد الجاحظ في كتابه « البخلاء » بحثاً عمّن يحتال للمثلة ببدنه ، ويتّخذ من المثلة ببدنه ، أو ببدن ولده الطفل ، وسيلة للحصول على المال ، قال :

ومنهم من يحتال للصبّي حين يولد ، بأن يعميه ، أو يجعله أعشم ، أو أعضد ، ليسأل الناس به أهله ، وربما جاءت به أمّه وأبوه ، ليتولّى ذلك منه بالغرم الثقيل ، لأنّه يصير حينئذ عقدة وغلّة ، فأما أن يكتسبا به ، وإما أن يكرياه بكراء معلوم ، وربما أكريا أولادهم ممن يمضي إلى إفريقية ، فيسأل بهم الطريق أجمع ، بالمال العظيم ، فإن كان ثقة مليئاً ، وإلاّ أقام بالأولاد والأجرة كفيلاً (البخلاء ٤٩ و٥٠) .

وقد قرأتُ ، وسمعتُ ، أحاديث كثيرة ، عن أشخاص يحتالون ، فيزمنون أنفسهم ، بقطع أصابعهم ، أو إتلاف إحدى العينين ، بقصد التخلّص من الخدمة العسكرية ، وكان ذلك يحصل في عهد حكم العثمانيين للبلدان العربية ، لأنّ الذي كان يجنّد في ذلك الحين ، مصيره ـ في الغالب ـ الموت بعد معاناة أشدّ ألوان العذاب من الجوع والمرض وتقلّبات الطقس من حرّ وبرد ، وكان البعض منهم يحتال على الهيأة الفاحصة بأدّعاء الصمم ، وفطن أعضاء الهيأة لهذه الحيلة ، فإذا قدم عليهم المتصامم ، وجّهوا إليه أسئلة ، فيتظاهر بأنّه لا يسمع ، فيشيرون إليه بأن يخرج متظاهرين أمامه بأنّهم صدّقوا آدّعاءه ، فإذا التفت ليخرج ، رموا على حين فجأة ريالاً مجيدياً على الأرض ، فيلتفت المتصامم بحركة عكسية ، وينكشف كذبه في ادّعائه .

ويشتمل هذا الباب من المثلة ، على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ألوان من المثلة .

الفصل الثاني : المثلة بسحب الجثّة .

الفصل الثالث : المثلة بصلب الجثّة .

الفصل الأول

ألوان من المثلة

وأوّل مثلة ، حصلت في الإسلام ، جرت في موقعة أحد ، فإنّ هند ، أمّ معاوية ، والنسوة اللواتي معها ، مثّلن بالقتلى من المسلمين ، فجدعن أنوفهم ، وصلمن آذانهم ، واتّخذت هند منها خدماً وقلائد ، وبقرت هند بطن حمزة ، عمّ النبيّ صلوات الله عليه ، وأخرجت كبده ، فلاكتها ، ثم لفظتها (الاغاني ١٥/١٩٧) .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤/٢٧١ و١٥/١٢ : لما قتل حمزة عمّ النبيّ صلوات الله عليه ، جاءت إليه هند بنت عتبة ، أمّ معاوية بن أبي سفيان ، فمثّلت به ، قطعت مذاكيره ، وجدعت أنفه ، وقطعت أذنيه ، ثم جعلت ذلك مسكتين (سوارين) ومعضدين (دملجين) وخدمتين (خلخالين) حتى قدمت بذلك مكّة ، وأمرت نساء قريش ممن كنّ معها بالمثلة وبجدع أنوف وآذان من قتل من المسلمين في موقعة أحد ، فلم تبق آمرأة ، إلّا وعليها معضدان ومسكتان وخدمتان .

أقول : وبذلك سمّيت هند ، آكلة الأكباد ، وكانت تعيّر بذلك ، ويعيّر به ابنها معاوية ، يقال له : ابن آكلة الأكباد ، راجع في هذا الكتاب ، الباب الأول « الشتيمة » الفصل الثالث « المعايرة » القسم الخامس « المعايرة بالأبوين » الفقرة ب « المعايرة بالامّ » .

أقول : ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، فقد روى ثمامة بن أشرس أنّه رأى قاصّاً يحدّث الناس بمقتل حمزة ، فقال : ولما بقرت هند عن كبد حمزة ، استخرجتها ، ولاكتها ، ولم تزدردها ، فقال النبيّ صلوات الله عليه : لو آزدردتها ما مسّتها النار ، ثم رفع القاصّ يديه إلى السماء ، وقال : اللّهم أطعمنا من كبد حمزة . (العقد الفريد ١٥٦/٦) .

والظاهر إنّ معاوية بن أبي سفيان ، ورث عن والدته هذه الخصلة ، وهي الرغبة في المثلة ، بحيث اضطر عبد الله بن عامر بن كريز ، إلى أن يلقي عمامته على جثّة صديق له ، من أصحاب علّي ، قتل في إحدى معارك صفّين ، حماية له من أن يمثّل به ، وذلك الصديق ، هو عبد الله بن بديل ، وكان قد هجم يضرب الناس بسيفه ، يريد معاوية ، وصمد نحوه ، فلما آقترب منه ، نادى معاوية أصحابه ، ويلكم ، الصخر والحجارة ، إذ عجزتم عن السلاح ، فرضخه الناس بالصخر والحجارة ، حتى اثخنوه ، فسقط ، فقتلوه ، فجاء معاوية وعبد الله بن عامر ، فوقفا عليه ، فألقي عبد الله بن عامر عمامته على وجه عبد الله ، وترحّم عليه ، وكان له أخاً صديقاً من قبل ، فقال معاوية : اكشفوا عن وجهه ، فقال عبد الله : لا والله ، لا يمثّل به وفيّ روح ، فقال معاوية : اكشف عن وجهه ، فإنّا لا نمثل به ، قد وهبناه لك (شرح نهج البلاغة ١٩٦/٥ و١٩٧) .

ومن المثلة قطع الرأس وحمله من موضع إلى موضع ، وأوّل رأس حمل في الاسلام ، رأس بنان الرومي ، بطريق الشام ، كان قائد الجيش الرومي الذي حارب المسلمين ، وقتل بنان في المعركة ، فقطع رأسه ، وحمل إلى أبي بكر الصديق ، فغضب ، وقال : أيستنون بفارس والروم ؟ لا يحمل إلّي رأس ، وإنّما يكتفي بالكتاب والخبر .

أمّا أوّل رأس حمل في الإسلام لرجل مسلم ، فهو رأس محمد بن أبي بكر الصدّيق ، أمير مصر ، قتله معاوية بن حديج بالاتّفاق مع عمرو بن

العاص ، وحمل رأسه إلى معاوية بن أبي سفيان بدمشق .

وقد وصف المؤرخون كيفية قتله قالوا : في السنة ٣٨ قتل محمد بن أبي بكر الصديق ، عامل الإمام علي على مصر ، قتله معاوية بن حديج ، من أصحاب معاوية بن أبي سفيان ، أسره وقد كاد يموت عطشاً ، فطلب محمد أن يسقى ماءً ، فأبى عليه معاوية ، وقال له : لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبداً ، حتى تسقى من الحميم والغساق ، أتدري ما أصنع بك ؟ أدخلك جوف حمار ثم أحرقك بالنار ، ثم قتله ، ووضعه في جيفة حمار ، ثم أحرقه ، وذكر بعض المؤرخين أنّ محمداً كان ما يزال حيّاً عندما أحرق في جوف الحمار ، وبعث معاوية بن حديج سليماً مولاه ، بشيراً بقتل محمد بن أبي بكر ألى المدينة ، ومعه قميص محمد ، فدخل به دار عثمان ، فاجتمع آل عثمان من الرجال والنساء ، وأظهروا السرور بقتله ، وأمرت « أمّ المؤمنين » أم حبيبة بنت أبي سفيان ، بكبش فشوي ، وبعثت به إلى أمّ المؤمنين عائشة ، تقول لها : هكذا شوي أخوك ، فجزعت عائشة على أخيها محمد جزعاً شديداً ، وقنتت في دبر الصلاة ، تدعو على معاوية وعمرو بن العاص ، وأخذت عيال محمد إليها ، ولم تأكل منذ ذلك الوقت شواءً حتى توفيت ، ولما بلغ السيدة أسماء ، أم محمد ، خبر قتل أبنها ، وإنّه أحرق بالنار ، قامت الى مسجدها تصلّي ، وكظمت غيظها ، حتى شخب ثديها دماً ، ولما بلغ معاوية خبر قتل محمد ، أظهر الفرح والسرور ، وبلغ علياً قتل محمد وسرور معاوية ، فقال : جزعنا عليه على قدر سرورهم ، وما جزعت على هالك منذ دخلت هذه الحروب ، جزعي عليه ، كان لي ربيباً ، وكنت أعدّه ولداً ، وكان بي برّاً ، وكان ابن أخي ، فعلى مثله نحزن ، وعند الله نحتسبه ، ولما وافى معاوية بن حديج المدينة ، قامت إليه نائلة امرأة عثمان ، وقبّلت رجلة ، وقالت له : بك أدركت ثاري من آبن الخثعمية ، تعني محمد بن أبي بكر (مروج الذهب ١/٤٠٦ والولاة للكندي ٣٠ و٣١ وابن الأثير ٣/٣٥٧) .

ولما قتل عبيد الله بن زياد ، عامل الكوفة ليزيد بن معاوية ، مسلم بن عقيل ، في السنة ٦١ أمر بجثته فصلبت ، وأمر برأسه فقطع ، وبعث به إلى دمشق ، فكان أوّل قتيل صلبت جثته من بني هاشم ، وأوّل رأس حمل من رؤوسهم إلى دمشق (مروج الذهب ٤٦/٢) .

ومن أشدّ ألوان المثلة إيلاماً ، ما قام به قتله الحسين عليه السلام ، في وقعة الطفّ ، إذ أوطؤا الخيل صدره وظهره ، ثم قطعوا رأسه ورؤوس أصحابه ، ونصبوها على رؤوس الرماح ، إلى الكوفة ، ثم إلى دمشق ، وحمل معها نساء الحسين وبناته وأطفاله ، وتفصيل ذلك : إنّ الحسين لما ورد الطف ، في آثنين وسبعين رجلاً ، سيّر إليه عبيد الله بن زياد عمر بن سعد في أربعة آلاف ، وكتب إليه : إذا قتلت حسيناً فأوطىء الخيل صدره وظهره ، فلما قتل الحسين وأصحابه ، انتدب عمر بن سعد منهم عشرة ، فداسوا بالخيل بدن الحسين ، حتى رضوا صدره وظهره ، وقطعت رؤوس القتلى ، وسلبوا ما كان عليهم من الثياب ، وتركت جثثهم عارية ، ومالوا على ثقل الحسين ، ومتاعه ، فنهبوه ، ومالوا على النساء ، وكانت المرأة منهم تنازع ثوبها عن ظهرها ، حتى تغلب عليه ، فيذهب به منها ، وبعث عمر بن سعد برأس الحسين إلى ابن زياد من ساعته ، وأقام بعد المذبحة يومين ، ثم آرتحل إلى الكوفةومعه رؤوس القتلى على أطراف الرماح ، وحمل معه بنات الحسين وأخواته ، ومن كان معه من الصبيان ، فآجتازوا بهن على الحسين وأصحابه صرعى ، فصاح النساء ، ولطمن خدودهنّ ، ثم أدخلوا الرؤوس ومعها النساء والأطفال على ابن زياد ، فأبدى ابن زياد للنساء والاطفال من التشفّي والشماتة ، ما لم يكن عجيباً من أصله الدنس ، وطينته الخبيثة ، فإنّه خاطب النساء والأطفال بقوله : الحمد لله الذي فضحكم ، وقتلكم ، وأكذب أحدوثتكم ، ثم وجّه كلامه إلى حدى الفتيات ، فقال لها : كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك ؟ قد شفى الله نفسي من طاغيتك ، والعصاة المردة من أهل بيتك ، فبكت الفتاة ،

وقـالت لـه : لعمـري لقـد قتلت كهلي ، وأبـرت أهلي ، وقـطعت فـرعي ، واجتثثت أصلي ، فإن يشفك هـذا فقد اشتفيت ، ونصب عبيـد الله بن زياد ، رأس الحسين بـالكوفـة ، وداروا به فيهـا ، ثم سـرح رأس الحسين ، ورؤوس أصحـابه ، مـع نساء الحسين وبنـاته وأطفـاله ألى يـزيد بن معـاوية بـدمشق ، للتفصيـل راجع الـطبري ٥/٤٠٠ ـ ٤٧٠ وابن الاثيـر ٤/٤٦ ـ ٩٤ واليعقـوبي ٢/٢٤٣ ـ ٢٤٦ الاخبار الطوال ٢٣١ ـ ٢٦١ ومروج الذهب ٢/٤١ ـ ٤٧ .

ولمـا قتل الحسين عليـه السـلام ، صعـد عبيـد الله بن زيـاد المنبـر ، وقـال : الحمـد لله الـذي أظهـر الحق وأهله ، ونصـر أميـر المؤمنين يـزيـد وحـزبه ، وقتـل الكذّاب بن الكـذّاب ، الحسين بن علي وشيعته ، فلم يفـرغ من مقـاله ، حتى وثب إليـه عبـد الله بن عفيف الأزدي ، فقـال لـه : يـا ابن مرجانة ، إنّ الكذّاب بن الكذّاب هو أنت وأبـوك ، والذي ولّاك وأبـوه ، فقال عبيـد الله بن زياد علّي بـه ، فوثب فتيـة من الأزد ، فـانتـزعـوه من الشـرط ، وأخـذوه إلى أهله ، فأرسـل عبيد الله إليـه من أتـاه بـه ، فقتله ، وصلبـه في السبخة (الطبري ٥/٤٥٨ و٤٥٩) .

ولمـا هلك يـزيـد بن معـاويـة ، خـاف عبيـدالله بن زيـاد على نفســه بالبصرة ، فـاستجار بمسعـود بن عمرو الأزدي ، فـأجاره ، وأشخص معـه من أوصله إلى مـأمنـه في الشـام ، فلمـا خـرج عبيـدالله من البصـرة ، استخلف عليهـا ، مسعود بن عمـرو الأزدي ، فخرج إلى القصـر فدخله ، فـأبت عليـه تميم ، فقال مسعود : استخلفني عبيدالله ولا أدع ذلك أبداً ، وصعد المنبر ، فـدخلت المسجـد عصـابـة فقتلت مسعـوداً حسبتـه عبيــدالله ، ومثلت بـه ، فـاتهمت الأزد بني تميم ، واتّهمت تميم الخوارج ، وأبت الأزد إلاّ أن يـودي مسعـود عشر ديـات ، فتحمّلت تميم منها واحـدة ، وتحمّل الـوسـطاء التسـع البـاقيات ، وكـان إصـرار الأزد على عشـر ديـات ، لأنّهم وجـدوا في مسعـود مثلة . (أنساب الأشراب ٤/٢/ ٩٨).

ولما قتل عبيـد الله بن زياد ، إنصرف عمير بن الحباب السلمي ، وأخذ يغيـر على كلب ، فأمّـرت كلب حميد بن حـريث بن بحدل ، فلحق قـوماً من قيس ، كانوا مع عمير فقتلهم ، وقطع آذانهم ، ونظمهـا في خيط ، ومضى بها إلى الشام . (أنساب الاشراف ٣٠٨/٥ و٣٠٩) .

وفي السنـة ٦٦ وقعت بـالبصـرة معـركـة بين أنصـار المختـار الثقفي ، وأنصار ابن الزبير ، فأصيب في المعركة سـويد بن رئـاب ، وعقبة بن عشيـرة الشنّي ، قتله رجل من تميم ، وقتل التميمي ، فولغ أخو عقبة في دم التميمي وقال : ثأري (الطبري ٦٨/٦) .

وكان خولّى بن يزيد الاصبحي ، القادم برأس الحسين بعد قتله ، فبعث إليـه المختار قـائدين من قـوّاده لإحضاره ، فـاختبأ في مخـرجـه (الكنيف) ، فـطلبوه ، فخـرجت إليهم امرأتـه ، فقـالـوا لهـا : أين زوجـك ؟ فقـالـت : لا أدري ، وأشـارت بيدهـا إلى المخرج ، فـدخلوا عليه ، فـوجـدوا على رأسـه قـوصرة ، فـأخرجـوه ، وأقبـل المختـار حين بلغـه أخـذه ، فقتله إلى جـانب منـزله ، ثم أمـر به فـأحرق ، فلم يبـرح حتى صار رمـاداً (انسـاب الاشـراف ٢٣٨/٥) .

وفي السنة ٦٧ لما انتصر مصعب بن الزبير ، بالكوفة ، وقتل المختارين أبي عبيد الثقفي ، أمر بكفّ المختار فقطعت ، ثم سمّـرت بمسمار من حـديد ألى جنب المسجد ، فما زالت هنـاك ، حتى جاء الحجّـاج بن يـوسف الثقفي أميراً على العراق ، ونظر إليها ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : كفّ المختار ، فـأمر بنزعها (الطبري ٩٣/٦ ـ ١١٠) .

وأمر مصعب ، فآحتزّ رأس المختار ، ووجّه به إلى عبد الله بن الزبير ، فـوافى حامله مكّـة بعد العشـاء الآخرة ، فـأتى المسجد ، وعبـد الله يصلّي ، فجلس الـرسـول ينتـظره ، فلم يـزل يصلّي إلى وقت السحـر ، ثم آنفتـل من

صلاته ، فدنا منه ، وناوله كتاب الفتح ، فقرأه ثم نادى غلامه ، وقال له : أمسكه معك ، فقال له الرسول: يا أمير المؤمنين ، هذا الرأس معي ، قال : فما تريد ؟ قال : جائزتي ، قال : خذ الرأس الذي جئت به جائزتك ، فانصرف الرسول خائباً (الاخبار الطوال ٣٠٨) .

وفي السنة ٦٧ في المعركة بين البصريّين بقيادة المصعب ، والكوفيّين بقيادة قوّاد المختار ، قال معاوية بن قرّة ، قاضي البصرة: انتهيت الى رجل من جند المختار ، فأدخلت سنان الرمح في عينيه ، فأخذت أخضخض عينه بسنان الرمح ، فإنّ هؤلاء كانوا عندنا ، أحلّ دماء من الترك والديلم (الطبري ٩٧/٦) .

وفي السنة ٧٢ كتب عبد الملك بن مروان ، لعبد الله بن خازم ، أمير خراسان لابن الزبير ، وعرض عليه إمارة خراسان سبع سنين ، إن بايعه وترك ابن الزبير ، فأبى ، فكتب عبد الملك إلى بكير بن وشاح أمير مرو ، يعرض عليه إمارة خراسان ، ويحرّضه على الخروج على ابن خازم ، فخلع بكير ابن الزبير ، ودعا إلى عبد الملك ، فأقبل إليه ابن خازم ، إلى مرو ، وجرت بينهما معركة ، فقتل ابن خازم ، وحمل على بغل ، وقد شدوا في مذاكيره حبلاً وحجراً ، وعدلوه به على البغل (الطبري ١٧٦/٦ و١٧٧) .

ولما قتل المصعب بن الزبير ، بعث عبد الملك برأسه إلى الكوفة ، ثم بعث به إلى عبد العزيز بن مروان بمصر ، فترحّم عليه ، وردّه إلى الشام ، فنصب بدمشق ، وأرادوا أن يطوفوا به في نواحي الشام ، فأخذته عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، زوجة عبد الملك ، أمّ ولده يزيد ، وغسلته ، وطيّبته ، ودفنته ، وقالت : أما رضيتم بأن صنعتم ما صنعتم ، حتى تطوفوا به ، وتنصبوه في المدن ، هذا بغيٌ . (انساب الاشراف ٣٥٠/٥ و٣٥١) .

ولما قتل عبد الله بن الزبير ، في المعركة ، في السنة ٧٣ ، تصرّف

الحجّاج بن يوسف الثقفي ، تصرّفاً بادي الخزاية ، فقد جاء إلى مسجد الكعبة ، وبرك على جثّة عبد الله ، وقطع عنقه بيده ، فقد جبن عن مواجهته حيّاً ، فبادر باحتزاز رأسه ميتاً . (العقد الفريد ٤/٤١٨) .

ولما قتل عبد الله بن الزبير في المعركة، وقتل معه جمع من انصاره منهم عبد الله بن صفوان ، بعث الحجّاج برؤوسهم إلى المدينة ، فنصبوها للناس ، فجعلوا يقرّبون رأس ابن صفوان إلى رأس ابن الزبير ، كأنّه يسارّه ، ويلعبون بذلك . (العقد الفريد ٤/٤١٦) .

ولما قاتل المهلّب بن أبي صفرة ، الخوارج ، في يوم سلّى وسلّبرى ، وقتل رأس الخوارج عبيد الله بن بشير بن الماحوز ، أمر المهلّب برأس ابن الماحوز فقطع ، ووجّه بالرأس أحد الأزد إلى الحارث بن عبد الله ، عامل البصرة لابن الزبير ، فلما وصل الأزدي حامل الرأس ، إلى كربج (موضع قرب سوق الأهواز) لقيه أخوة عبيد الله ، وهم حبيب وعبد الملك وعلي ، بنو بشير بن الماحوز ، فقالوا له ما الخبر ؟ فقال لهم ـ وهو لا يعرفهم ـ قتل الله ابن الماحوز المارق ، وهذا رأسه معي ، فوثبوا عليه ، فقتلوه ، وأخذوا رأس أخيهم فدفنوه (شرح نهج البلاغة ٤/١٥٨ و١٥٩) .

وفي السنة ٩٦ أراد قتيبة بن مسلم ، أمير خرسان وما وراء النهر ، أن يخلع سليمان بن عبدالملك ، فلم يجبه جنده إلى ذلك ، وحاربوه ، فقتلوه ، وقتلوا معه أحد عشر رجلاً من بني مسلم ، منهم سبعة لصلب مسلم ، وأربعة من بني أبنائهم ، فأخذهم وكيع بن أبي سود وصلبهم ، وقطع رؤوسهم ، وحملها إلى دمشق ، فعرضت الرؤوس على سليمان بن عبد الملك فأمر بدفنها (الطبري ٦/٥١٨ و٥١٩) .

ولما حارب نصر بن سيار ، أمير خراسان ، جديع بن علي الكرماني الأزدي ، وقتل جديع في المعركة ، أخذه نصر وصلبه، وصلبه إلى جانبه سمكة (الطبري ٧/٣٧٠) .

وفي السنة ١٢١ قتل نصر بن سيار ، كور صول سلطان الترك ، جاء أتباعه بأبنيته فأحرقوها ، وقطعوا آذانهم ، وخدّدوا وجوههم ، وطفقوا يبكون عليه ، فلما أمسى نصر ، وأراد الرحلة ، بعث إلى جثّة كوصول بقارورة نفط ، وأشعل فيها النار ، لئلا يحملوا عظامه ، وكان ذلك أشدّ عليهم من قتله (الطبري ٧/١٧٥) .

وفي السنة ١٢١ سار نصر بن سيّار ، عامل خراسان ، إلى الشاش ، فأغار عليه الأخرم ، وهو فارس الترك ، فقتله المسلمون ، وأسروا سبعة من أصحابه ، فأمر نصر بن سيّار ، فرمي رأس الأخرم بالمنجنيق ، إلى معسكر الترك ، فلما رأوه ضجّوا ضجْة عظيمة ، ثم آرتحلوا منهزمين (الطبري ١٧٥/٧) .

وفي السنة ١٢١ قتل عبد الملك بن قطن الفهري ، زياد بن عمرو اللخمي ، ومثّل به بأن صلبه وصلب معه خنزيراً ، وفي السنة ١٢٣ قتل عبد الملك بن قطن ، وصلب وصلبوا معه على يمينه خنزيراً وعلى يساره كلباً (نفح الطيب ١/١٩ـ ٢٠).

أقول : ولي عبد الملك بن قطن الفهري الأندلس في السنة ١١٤ وكان ظالماً جائراً ، وعزل في السنة ١١٦ بعقبة بن الحجّاج، ثم وثب عبد الملك بعقبة في السنة ١٢١ فخلعه واستقرّ موضعه ، ولما هاج البربر بإفريقية ، وانتصروا على الجند الأموي ، التجأ عامل إفريقية كلثوم بن عمرو القشيري ومعه جنده ، إلى مدينة سبتة ، فحصره البربر فيها حصراً شديداً ، حتى أكلوا الكلاب والجلود ، فاستغاثوا بإخوانهم من عرب الأندلس ، فتثاقل عنهم عامل الأندلس عبد الملك ، لخوفه على سلطانه منهم ، فأشفق عليهم زياد بن عمرو اللخمي وأرسل اليهم مركبين مشحونين ميرة، فأمسكت الميرة أرماقهم ، فلما بلغ عبد الملك ما صنعه زياد ، أحضره ، وضربه سبعمائة سوط ، وسمل عينيه، ثم قتله ، وصلبه ، وصلب معه كلباً ، واتّفق أنّ بربر الأندلس، لما

بلغهم انتصار بربر إفريقية ، انتفضوا على العرب بالأندلس ، ونصبوا لهم إماماً ، وحاربوا ابن قطن ، فلما أحسّ ابن قطن بقوّة البربر ، وخاف أن يلقى منهم ما لقي جند افريقية ، راسل الجند العرب المحصورين بسبتة ، واستعان بهم على البربر في الأندلس ، وكان كلثوم عامل إفريقية ، قد مات ، فسارع بلج بن بشر القشيري، قائد الجند ، وسار بجنده لمعونة عبد الملك ، فلما وافوه أحسن إليهم ، وشرط عليهم أن يحاربوا البربر ، فإذا فرغوا من حربهم ، بارحوا الأندلس ، فأجابوه ، وعاهدوه على ذلك ، وكان البربر في جموع عظيمة ، فقارعوهم ، وظفروا بالبربر ، واستأصلوهم ، وعادوا بغنائم عظيمة ، ولما طالبهم ابن قطن بالخروج من الأندلس ، تعلّلوا عليه ، وذكّروه بما صنع بهم ، لما كانوا محصورين بسبتة ، وبما صنعه بالرجل الذي اغاثهم ، وانحاز إليهم جيش عبد الملك بن قطن ، فأخرجوا عبد الملك وهو شيخ كبير في التسعين ، كأنّ فرخ نعامة ، فقتلوه وصلبوه في السنة ١٢٣ على رأس القنطرة ، بقرطبة ، وصلبوا عن يمينه خنزيراً وعن يساره كلباً (نفح الطيب ١/١٩- ٢٢) .

وفي السنة ١٢٢ مثّل يوسف بن عمر الثقفي ، عامل العراق للأمويين، بجثّة الإمام الشهيد زيد بن علي بن الحسين ، فقطع رأسه ، وصلب بدنه بالكناسة ، بالكوفة ، وكان هشام بن عبد الملك ، بعث زيداً إلى الكوفة ، فاجتمع الشيعة اليه ، وبايعه منهم أربعون ألفاً ، وقالوا له: نحن نضرب عنك بأسيافنا ، وحلفوا له الأيمان المغلظة ، وجاء إليه مسلمة بن كهيل ، فقال لزيد : أنشدك الله ، كم بايعك ؟ قال : أربعون ألفاً، قال : فكم بايع جدّك ؟ قال : ثمانون ألفاً ، قال : فكم بقي معه ؟ قال : ثلثمائة ، قال : نشدتك الله أنت خير أم جدّك ؟ قال : جدّي ، قال : فهذا القرن خير أم ذلك القرن ؟ قال : ذلك القرن، قال : افتطمع أن يفي لك هؤلاء ، وقد غدر أولئك بجدّك ؟ وكتب اليه عبدالله بن الحسن بن الحسن ، يصدّه عن الخروج ، فلم يصغ إليه ، وأمر أصحابه بالإستعداد ، وألحّ يوسف بن عمر ، عامل العراق ،

في البحث عنه ، فخاف أن يؤخذ ، وتعجّل في خروجه ، فلما خرج كان مجموع من وافاه مائتين وثمانية عشر رجلاً ، واشتبك مع جند الشام في عدّة معارك ، في داخل الكوفة ، كان الظفر فيها له ، وحمل نابل بن فروة العبسي ، من أهل الشام ، على نصر بن خزيمة ، من اصحاب زيد ، فضربه بالسيف فقطع فخذه ، وضربه نصر فقتله ، ولم يلبث نصر أن مات ، وحمي الوطيس فقاتل معاوية بن إسحاق الأنصاري ، بين يدي زيد قتالاً شديداً حتى قتل ، ثم رمي زيد بسهم فأصاب جانب جبهته اليسرى ، فثبت في دماغه ، فأحضروا له طبيباً ، فانتزع النصل ، فلما نزع منه النصل مات، فدفنه أصحابه في نهر يعقوب ، سكر أصحابه الماء ، ودفنوه، ثم أجروا الماء ، فدلّ يوسف على قبره ، فاستخرجه ، وقطع رأسه ، وصلب بدنه بالكناسة ، هو ونصر بن خزيمة ومعاوية بن إسحاق وزياد النهدي، وبعث الرأس الى هشام ، فعلّق على باب دمشق ، ثم أرسل الى المدينة ، وبقي البدن مصلوباً ، إلى أن مات هشام ، وولي الوليد بن يزيد ، فأمر به فانزل وأحرق (ابن الأثير ٥/٢٢٩-٢٤٧).

ولما قتل الوليد بن يزيد في السنة ١٢٦ ، أقبل ابو الأسد ، مولى خالد القسري ، فسلخ من جلد الوليد قدر الكفّ ، وأخذها إلى يزيد بن خالد القسري ، وكان يزيد محبوساً في عسكر الوليد (الطبري ٧/٢٥٠).

ولما قتل الوليد ، احضر رأسه الى خلفه ابن عمّه ، يزيد بن الوليد ، فأمر بأن ينصب الرأس على رمح ، وطافوا به في مدينة دمشق ، وأدخلوه في دار أبيه ، فصاح النساء وأهل البلد ، ثم ردّوه إلى يزيد (الطبري ٧/٢٥١ والعيون والحدائق ٣/١٤٤).

ونبش عبدالله بن علي العباسي ، عمّ السفاح والمنصور ، قبور الموتى من بني أميّة ، وقد وردت أخبار نبش هذه القبور في عدّة كتب ، فجمعتها ، ووحدّتها ، وقد نبش قبر معاوية بن أبي سفيان ، فلم يجد فيه إلا خيطاً مثل

الهباء ، ونبش قبر يزيد بن معاوية ، فوجد فيه عظماً واحداً ، ووجد في لحده خطّاً أسود كأنّما خطّ بالرماد بالطول في لحده ، ونبش قبر عبد الملك بن مروان ، فلم يجد فيه إلّا شؤون رأسه ، ونبش قبر الوليد بن عبد الملك ، فما وجد في قبره قليلاً ولا كثيراً ، ونبش قبر سليمان بن عبد الملك ، فلم يجد فيه إلّا صلبه وأضلاعه ورأسه ، فاحرقها ، وانتهى إلى قبر هشام بن عبد الملك ، فاستخرجه صحيحاً ، ما فقد منه إلّا خرمة أنفه ، فضرب الجثّة ثمانين سوطاً ، ثم أحرقها ، ثم تتبّع قبور بني أميّة في جميع البلدان ، فأحرق ما وجد فيها (ابن الأثير ٥/٤٣٠ والعيون والحدائق ٣/٢٠٦ـ ٢٠٧ ووفيات الأعيان ٦/١٠٩ـ ١١٠ ومروج الذهب ٢/١٦٣) .

ولما فتح عبدالله بن علي العباسي ، الشام ، نبشت قبور بني أمية ، في دمشق وغيرها ، وأحرقت بالنار ، ولم يبقوا على غير قبر عمر بن عبد العزيز ، في دير سمعان ، اعترافاً بفضله وتقواه (خطط الشام ١/١٧٣) .

وكان التتر الذين اجتاحوا البلاد الإسلامية في القرن السابع ، لا يكتفون بقتل من قاتلهم ، وإنما كانوا ينبشون قبور من دفن من الملوك ، ويحرقون رممهم ، صنعوا ذلك برمّة خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش ، نبشوها من قبره بقلعة ازدهن وأحرقوها ، وكذلك صنعوا برمة السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي ، فإنّهم نبشوا قبره ، وأخرجوا عظامه وأحرقوها (تاريخ ابي الفدا ٣/١٥٠) .

ولما أراد المنصور أن يعقد لابنه المهدي احب ان تقول الشعراء في ذلك فانشده أبو نخيلة أرجوزة ، فوصله ، وهرب ابو نخيلة ، من عيسى بن موسى وخرج يريد خراسان ، فجرّد عيسى خلفه، مولى له يقال له : قطري ، ومعه عدّة من مواليه ، فلحقه في طريق خراسان ، وكتّفه، وأضجعه، فلما وضع السكّين على أوداجه ، قال له : يا ابن اللخناء ، ألست القائل :

علقت معالقها وصرّ الجندب

ثم ذبحه وسلخ وجهه ، وألقى جسمه الى النسور . (الأغاني ٢٠ / ٣٩٠و٤٢٢) .

واتّهم المهدي ، صالح بن عبد القدوس ، الشاعر الحكيم ، بالزندقة، وضربه بالسيف ، بيده ، فشطره شطرين، وعلّق بضعة أيّام للناس ، ثم دفن (معجم الأدباء ٤ /٢٦٨).

وفي السنة ١٦٩ بلغ الخليفة العباسي ، أنّ واضح بن عبدالله المنصوري الخصي ، أمير مصر ، أعان إدريس العلوي على النفوذ الى المغرب ، فأحضر واضحاً إلى بغداد، وقتل وصلب. (النجوم الزاهرة ٢/ ٤١).

ولما انتهت المعركة بين جيش الأمين بقيادة علي بن عيسى بن ماهان ، وجيش المأمون، بقيادة طاهر بن الحسين، وقتل علي بن عيسى بن ماهان ، وجيء برأسه إلى طاهر ، جاءوا من بعد ذلك بجثّته ، محمولة على خشبة على حمار ، وقد شدّت يداه إلى رجليه ، فأمر به طاهر، فلفّ في لبد ، وألقى في بئر . (الطبري ٨/ ٣٩٤).

وفي السنة ٢١٤ دخل أبو اسحاق بن الرشيد (المعتصم) مصر ، وكان يليها لأخيه المأمون ، وبعث في طلب اثنين اشعلا فيها الفتنة ، فأحضرهما ، وهما عبدالله بن حليس ، وعبد السلام بن أبي الماضي ، فقيّدهما ، وسجنهما ، وأقامهما للناس ، ثم قتلهما ، وصلبهما فقال معلّى الطائي ، يصف حالهما على المشنقة : (الولاة للكندي ١٨٨- ١٨٩).

إنَّ الحليسيّ غدا سابقاً   في حلبة الجسرين قد قَصَّبا
على طمرٍّ ماله أرّجل   من صنعة النجّار قد شذّبا
وليس يدري عند إلجامه   من أثغر الطرف ومن لبّبا
مسمّر الخلق أمون الشوى   يأنف أن يأكل أو يشربا

ولــو ســرى لــيــلتــه كــلّهــا | مــا جــاوز الجســر ولا قــرّبــا
لــو كــان من بعض نخيـل القـرى | كــان أبـــو القــاسم قــد أرطبــا
كـــســا أبـــو اســحــاق أوداجــه | أبـيض لا يعـتـب مـن أغـضـبـا
وقـد سقى عبـد السـلام الـردى | فــكــيــف بـــالله إذا جــرّبــا

ولما قتل المأمون عليّ بن هشام في السنة ٢١٧ ، طيف بـرأس علي في العـراق ، وخـراسـان ، والشـام ، ومصـر ، ثم ألقي في البحـر (ابن الأثيـر ٤٢١/٦).

أقـول : راجع في البـاب الحـادي عشـر من هـذا الكتـاب (القتـل) ، الفصـل الأول (القتـل بـالسيف) ، القسم الأول (القتـل فتكـاً)، قصّـة قتـل عليّ بن هشـام ، وقد أدرجنـا ما ورد في الـرقعة التي علّقت عليـه لمـا قتـل ، توضح سبب قتله .

وكان العباس بن الفضل ، المعروف بابن بربر ، المقيم بصقلية ، كثيـر الغزو في البرّ والبحر ، وظفر أسطوله في إحدى المعارك البحـرية مـع الروم ، فاستولى على مائة سفينة تحمل نجدات لمدينة سرقسطة ، وكان شديد الـوطأة على الـروم ، وتوفّي في السنـة ٢٤٧ في موضـع قريب من مـدينة سـرقسطة ، فدفن حيث مات ، فنبش الروم قبره ، وأخـرجوا جثتـه ، وأحرقـوها (الاعـلام ٣٨/٤).

وفي السنـة ٢٥٩ دخل يعقـوب بن الليث الصفّـار ، نيسـابـور ، وحبس جميـع آل طاهـر ، وأرسل وفـداً إلى الخليفة ببغـداد يطلب ضمّ خـراسان الى عمله ، وبعث معهم رأساً على قناة ، علّقت عليه رقعة فيهـا : هذا رأس عـدو الله عبـد الرحمن الخـارجي بهراة ، ينتحـل الخلافـة منـذ ثـلاثين سنـة ، قتله يعقوب بن الليث (الطبري ٥٠٧/٩).

وكان الزنـج الثائـرون ، اتباع الـورزنيني، بالبـطائح ، في العـراق ، إذا

انتهت المعركة تقاسموا لحوم القتلى من خصومهم ، وتهادوها بينهم (الطبري ٤٩٤/٩).

وفي يوم من أيّام المعارك بين الجيش العباسي ، وأتباع صاحب الزنج ، أسر من الزنج بطهيثا ، أحمد بن موسى بن البصري ، المعروف بالقلوص ، وكان من أجلّاء قوّاد الزنج ، وكان مثخناً بالجراح ، فمات ، فأمر أبو أحمد باحتزاز رأسه ، ونصبه على جسر واسط (شرح نهج البلاغة ١٧٦/٨ - ١٧٧).

وفي إحدى المعارك بين الموفّق أبي أحمد وبين صاحب الزنج ، قتل من الزنج خلق كثير ، وأسر منهم جماعة ، فأمر أبو العباس (المعتضد فيما بعد) فعلّقت رؤوس المقتولين في الشذا (السفن الصغيرة) وصلب الأسرى أحياء فيها ، واعترض بهم مدينتهم إرهاباً لأصحابهم، واتصل بأبي أحمد أنّ صاحب الزنج موّه على أصحابه ، وقال لهم : إنّ هذه الرؤوس المعلّقة في الشذا ، هي مثل (تماثيل) وليست رؤوس قتلى ، فأمر أبو أحمد بالرؤوس فجمعت ، ورماها بالمنجنيق إلى صاحب الزنج ، فلما سقطت عندهم ، ورأى أصحابه رؤوس قتلاهم، علا بكاؤهم وصراخهم (شرح نهج البلاغة ١٨٩/٨).

وفي إحدى المعارك مع صاحب الزنج ، جاء البشير إلى أبي أحمد ، بأنّ صاحب الزنج قد قتل ، ووافاه بشير آخر ، ومعه كفّ زعم أنّها كفّ صاحب الزنج ، ثم جاءه غلام من غلمان لؤلؤ ، يركض ومعه رأس صاحب الزنج ، فألقاه بين يديه ، فعرضه الموفق على من كان حاضراً عنده من قوّاد الزنج المستأمنين ، فعرفوه ، وشهدوا أنّه رأس صاحب الزنج ، فأمر برفع الرأس على قناة ، ونصبه بين يديه ، ثم انصرف إلى الموفّقية ورأس صاحب الزنج منصوب بين يديه على قناة في شذاة ، وسليمان بن جامع ، والهمذاني ، من كبار قوّاد صاحب الزنج ، مصلوبين أحياءً في شذاتين عن جانبيه ، حتى وافى قصره بالموفّقية ، ثم بعث بالرأس مع ولده أبي العباس

(المعتضد) إلى بغداد ، فدخل المدينة ، ومعه رأس صاحب الزنج بين يديه على قناة (شرح نهج البلاغة ٨/ ٢١٠ـ ٢١٢).

وفي السنة ٢٧٢ كانت للزنج حركة بواسط ، وصاحوا : انكلاي يا منصور، وأنكلاي هو ابن صاحب الزنج ، وكان انكلاي وآخرون من كبار قوّاد صاحب الزنج وهم المهلّبي وسليمان بن جامع والشعراني والهمداني وآخرون معهم من قوّاد الزنج محتبسين في دار محمد بن عبدالله بن طاهر بمدينة السلام ، فكتب الموفّق فيهم ، إلى فتح أن يوجّه إليه برؤوس هؤلاء الستّة ، فدخل إليهم فتح ، فجعل يخرج الأوّل ، فالأوّل منهم ، فذبحهم غلام له ، وقلع رأس بالوعة في الدار ، وطرحت أجسادهم فيها ، وسدّ رأسها ، ووجّه برؤوسهم إلى الموفّق ، ثم ورد كتاب من الموفّق بصلب جثثهم ، فأخرجوها من البالوعة ، وقد انتفخت ، وتغيّرت روائحها ، وتقشّر بعض جلودها ، فحملوا في المحامل ، وصلب ثلاثة منهم في الجانب الشرقي، وثلاثة بالجانب الغربي ، وكان صلبهم بحضرة الأمير محمد بن طاهر وهو راكب . (الطبري ١٠/ ١١).

وأنكر المعتضد ، أمراً ، من أسود كان يعمل مع الصنّاع ، فأحضره ، وساءله ، فاعترف له بأنّه كان يعمل في أتاتين الآجرّ (كور الطابوق)، واجتاز به رجلٌ ، فوجده يحمل دنانير ، فأمسكه وكمّ فاه ورماه في نقرة الأتّون ، وأخذ دنانيره ، فأمر به المعتضد ، فضربت عنقه ، ورميت جثّته في الأتّون (الأذكياء ٤٢).

وفي السنة ٢٨٧ خرج العباس بن عمرو الغنوي على رأس جيش من البصرة لقتال القرامطة ، فلقيهم أبو سعيد القرمطي ، فاستأسر العباس ، وأسر من أصحابه سبعمائة رجل ، فلما كان من الغد أحضر الجنّابيّ الأسرى، فقتلهم جميعاً ، ثم امر بحطب فطرح عليهم وأحرقهم ، ثم منّ على العباس الغنوي ، وأطلقه وحده وبعثه برسالة إلى المعتضد . (الطبري ١٠/ ٧٧ـ ٧٩).

أقول : للاطلاع على القصّة مفصّلة ، وعلى الرسالة ، راجع كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلّف ج ٤ ص ١٣٠- ١٣٢ رقم القصة ٤/٦٢ .

وفي السنة ٣٠٣ خرج الحسين بن حمدان على المقتدر ، وقطع الحمل ، فحاربه مؤنس المظفر ، وأسره ، وأدخله إلى بغداد مشهراً ، حيث أودع الحبس في دار الخلافة ، فتحرّك أحد أولاد الحسين ، وجمع جمعاً ، وحاصر آمد ، فأوقع به مستحفظها ، وقتله، وأنفذ رأسه الى الحضرة (أي بغداد) (ابن الأثير ٨/٩٢- ٩٤) .

وفي السنة ٣٠٤ خرج على السلطان ، خالد بن محمد المادرائي ، وكان يتولّى الخراج بكرمان ، وسار منها إلى شيراز يريد التغلّب على فارس ، فخرج إليه بدر الحمامي ، فحاربه ، وقتله ، وحمل رأسه الى بغداد، وطيف به (ابن الأثير ٨/١٠٦) .

وفي السنة ٣٠٩ لما قتل الحلّاج ، ضرب ألف سوط ، ثم قطعت أطرافه ، ثم قطعت عنقه ، ثم أحرقت جثته ، وألقي رماده في دجلة (المنتظم ١٦٣/٦) .

وهويت جارية للوزير علي بن عيسى ، غلاماً للشاعر أبي بكر بن العلاف الضرير ، ففطن بهما ، فقتلا جميعاً، وسلخا ، وحشيت جلودهما تبناً ، فرثى ابن العلاف غلامه بقصيدته المشهورة ، وكنى عنه بالهرّ ، ومطلعها : (النجوم الزاهرة ٣/٢٣٠) .

يا هرّ فارقتنا ولم تَعُدِ   وكنتَ منّا بمنزل الولد

وفي السنة ٣٣١ استقدم الأمير نوح الساماني ، محمد بن أحمد النسفي البردهي ، وكان قد طعن عليه عنده ، فقتله ، وصلبه ، فسرق من الجذع ، ولم يعلم من سرقه (ابن الأثير ٨/٤٠٤) .

وفي السنة ٣٣٦ قتل أبو يزيد مخلد بن كيداد الـزناتي البـربري ، الثـائر بـإفريقيـة ، وكان قـد عظم أمـره ، واستولى على رقـادة والقيروان وسـوسـة ، وحصر باغاية ، ثم تـراجع ، وحصـر في قلعة كتـامة ، ثم حمـل الى المنصور جريحاً ، فمات من جراحه ، فأمـر المنصور فصنـع له قفص ، وسلخ جلده ، وحشي تبناً ، وجعلوا معه قردين يلعبان عليه (ابن الأثير ٨/٤٢٢ـ ٤٤١).

وفي السنة ٣٤١ دخل الأعـراب إلى الجامـع بالمحـوّل ، وأخذوا ثيـاب الناس، ثم قصدوا الحـارثيّة ، وقتلوا ونهبـوا ، فأخـذ شحنة العـراق أكثرهم ، وقطع رؤوسهم، وبنى بها قبّة عند الجسر وجعل وجوههم ظاهـرة ، ليعتبر بهم كلّ مفسد (تاريخ العراق للعزاوي ١/٣٤١).

وفي السنة ٣٧٧ سار المنصور بن يوسف صاحب إفريقية ، إلى كتامـة ، لأنّ داعيـةً فاطمياً جاء إليهم ، ودعـاهم إلى محاربـة المنصور ، فقـابلهم في مدينة سطيف ، فاقتتلوا اقتتالاً عظيماً ، فانهـزمت كتامـة ، وهرب أبـو الفهم ، الداعية الفاطمي إلى جبل وعر ، فيه قوم يقال لهم بنو إبراهيم ، فـأرسل اليهم المنصـور يتهددهم إن لم يسلمـوه ، فقالـوا : هو ضيفنـا، ولا نسلمـه ، ولكن أرسل أنت فخذه ، ونحن لا نمنعه ، فأرسل فأخذه ، وضربه ضربـاً شديـداً ، ثم قتله ، وسلخه ، وأكلت صنهاجة وعبيد المنصور لحمه ، وقتل معه جمـاعة من الدعاة ووجوه كتامة (ابن الأثير ٩/٥٣ـ ٥٤).

وفي السنـة ٣٨٠ هاجم بـاد الكردي ، المـوصل ، ونشبت معـركة بينـه وبين الحمـدانيين ، أصحاب المـوصل ، فسقط بـاد عن فـرسـه ، وانكسـرت ترقوته ، وقتل، فصلب الحمدانيّون بدنه على باب دار الإمارة بالموصـل، فثار العامّة بالموصل ، وقالوا : هذا رجل غازٍ فلا تحلّ المثلة بـه ، فحطّ، وكفّن، وصلّي عليه ، ودفن ، وظهر من محبّة العامة له بعد هلاكـه شيء طريف (ابن الأثير ٩/ ٧٠ـ ٧١ وذيل تجارب الأمم ١٧٦ـ ١٧٨).

وفي السنة ٣٩٥ أمر الحاكم الفاطمي ، بالقاضي الحسين بن علي بن النعمان بن حيون وبأبي الطاهر المغازلي ، وبمؤذن القصر ، فضربت أعناقهم ، وأحرقت جثثهم عند باب الفتوح ، وكان سبب قتله القاضي أنّه ملأ عينه ويده ، وشرط عليه أن يعفّ عن أموال الناس، ثم وجد عليه خيانة ، فقتله ، (أخبار القضاة ٥٩٦- ٥٩٩) .

وفي السنة ٤٠٢ قتل حباسة بن ماكسن الصنهاجي ، وكان شجاعاً، بهمة من البهم ، في موقعة خارج قرطبة، بين البربر وبين الموالي العامريين ، ولما قتل احتزّوا رأسه ، وعجلوا به إلى قصر السلطان ، وأسلموا جسده للعامّة ، فجرّوه في الطرقات والأسواق ، وقطعوا بعض أعضائه، ثم أوقدوا له ناراً ، وأحرقوه (الاحاطة ٤٩٤- ٤٩٥) .

وفي السنة ٤١٤ في يوم النفر الأول بمكّة ، وقد فرغ الإمام من الصلاة ، فنهض رجلٌ من مصر ، بأحدى يديه سيف مسلول ، وبالأخرى دبّوس، وقصد الحجر الأسود ، فضرب الحجر ثلاث مرات ، وهو يقول : إلى متى يعبد الحجر الأسود ؟ فثار به رجل فقتله بخنجر ، وقطّعه الناس وأحرقوه ، وقتلوا ممن اتّهم بمصاحبة جماعة، وأحرقوهم . (ابن الأثير ٩/٣٣٢- ٣٣٣) .

وفي السنة ٤٥١ قتل القائد التركي أرسلان البساسيري ، وقطع رأسه ، وحمل إلى دار السلطان ، فأمر بحمله إلى دار الخلافة ، فنظّف ، وغسل ، وجعل على قناة ، وطيف به ، وصلب قبالة باب النوبي ، وكان البساسيري من أعظم قوّاد الدولة العباسية في عهد القائم ، فأفسد بينه وبين الخليفة ، المدعو رئيس الرؤساء ابن المسلمة ، فبارح البساسيري بغداد ، ثم دخلها فاتحاً باسم المستنصر الخليفة الفاطمي ، ولما استولى البساسيري على بغداد أحسن الى الناس ، وأجرى الجرايات على المتفقّهة ، ولم يتعصّب لمذهب ، على خلاف رئيس الرؤساء ابن المسلمة الذي كان شديد التعصّب على الشيعة ، حتى إنّه قتل بعضهم من أجل التشيّع ، وأفرد البساسيري لوالدة القائم داراً ،

وكانت قد قاربت التسعين . واعطاها جاريتين تخدمانها ، وأجرى لها جراية ، فلما عاد السلطان طغرل بك الى بغداد سيّر جيوشاً لقتال البساسيري ، فقاتل حتى قتل ، وحمل رأسه إلى دار السلطان، فأمر بحمله إلى دار الخلافة ، فنظّف، وغسل ، وجعل على قناة ، وطيف به ، وصلب قبالة باب النوبي (ابن الأثير ٩/ ٦٤٠- ٦٤٩).

ولما قتل الوزير نظام الملك في السنة ٤٨٥ اتّهم أصحابه تاج الملك ، مستوفي السلطان ، بأنّه هو المحرّض على قتله ، وبينما كان تاج الملك يستعدّ ليكون وزيراً للسلطان ملكشاه خلفاً لنظام الملك، هجم عليه جماعة من أتباع نظام الملك ، فقتلوه ، وفصّلوه أجزاء ، وحملت إلى بغداد إحدى أصابعه ، وكان عمره حين قتل سبعاً وأربعين سنة (ابن الأثير ١٠/٢١٦).

وفي السنة ٤٩٢ قتل أبو القاسم بن إمام الحرمين بنيسابور ، فاتّهم العامة أبا البركات الثعلبي بأنّه سعى في قتله ، فوثبوا به فقتلوه ، وأكلوا لحمه (ابن الأثير ١٠/٢٩١).

وفي السنة ٥٠٠ فتح السلطان محمد السلجوقي قلعة شاه دز ، وعذب صاحبها أحمد بن عبد الملك بن عطاش ، بسلخ جلده وهو حيّ ، وقتل معه ولده ، وأمر بحمل رأسي الأب والإبن إلى بغداد (ابن الاثير ١٠/٤٣٣ ٤٣٤) .

وفي السنة ٥٢٩ وقعت بدايمرج ، معركة بين الخليفة المسترشد ، والسلطان مسعود السلجوقي ، فانكسر جيش المسترشد وأسر ، وأنزل في خيمة ، وغفل عنه حرّاسه ، فدخل عليه أربعة وعشرون رجلاً ، قيل أنّهم باطنيّة ، وقتلوه ، ووجد في جسده ما يزيد على عشرين جرحاً كما أنّهم مثّلوا به فجدعوا أنفه وقطعوا أذنيه ، وتركوه عرياناً ، وقتلوا معه نفراً من أصحابه . (ابن الاثير ١١/٢٧) .

وفي السنة **٥٣٦** توفّي إبراهيم السهاوي ، مقدّم الإسماعيلية ، فأحرقه ولد عباس صاحب الريّ ، في تابوته (ابن الاثير ١١/٨٩) .

وفي السنة **٥٦٩** حصلت معركة بين جيش الخليفة ، وبين ابن سنكا ، ابن أخي الأمير شملة ، صاحب خوزستان ، فظفر جيش الخليفة ، وأسر ابن سنكا ، ثم قتل ، وحمل رأسه ألى بغداد ، فعلّق بباب النوبي (ابن الاثير ١١/٤٠٩) .

وفي السنة **٥٧٤** كبس بالكرخ على رجل يقال له أبو السعادات ابن قرايا ، كان ينشد على الدكاكين ، وكان من الرفّض (أي الشيعة) فأخذ، فقطع لسانه ، بكرة يوم الجمعة ، وقطعت يده ، ثم حطّ إلى الشطّ ليحمل إلى المارستان ، فضربه العوام بالآجر في الطريق ، فهرب إلى الشطّ ، فجعل يسبح وهم يضربونه حتى مات ، ثم أخرجوه وأحرقوه ، ورمي باقيه إلى الماء (المنتظم ١٠/٢٨٦) .

وفي السنة **٥٩٠** اشتبك خوارزم شاه علاء الدين تكش ، والسلطان طغرل بن أرسلان بن طغرل بن ملكشاه السلجوقي ، في معركة عنيفة ، وكان طغرل شجاعاً ، فحمل بنفسه في وسط عسكر خوارزم شاه، فأحاطوا به وألقوه عن فرسه ، وقتلوه ، وحمل رأسه إلى خوارزم شاه ، فسيّره الى بغداد ، حيث نصب بباب النوبي ، عدّة أيّام (ابن الاثير ١٢/١٠٧ و١٠٨) .

وفي السنة **٥٩١** كان نائب الوزارة ببغداد مؤيّد الدين ابن القصّاب ، قد استولى على خوزستان ، ثم سار منها إلى ميسان ، ثم آستولى على كرمان شاهان ، ثم همذان ، فخرقان ، فمزدغان ، فساوه ، فآوه ، وآستقرّ في الريّ ، ثم توفيّ في همذان ، وآشتبك جيشه مع جيش خوارزم شاه ، فآنكسر جيش الخليفة ، وعاد خوارزم شاه فملك همذان ، ونبش الوزير من قبره ، وقطع رأسه ، وسيّره إلى خوارزم ، وآدّعى أنّه قتله في المعركة (ابن الاثير ١٢/١٠٨ - ١١٢) .

وفي السنة ٦٠٣ اختلف شابان ببغداد ، وجرى بينهما كلام بسبب امرأة مغنّية ، فجرح احدهما الآخر ، وبقي المجروح ليلة ومات ، فقبض على الجارح ، وأخذه أخو المجروح وجماعة من إنسبائه إلى قراح ابن رزين ، وقتلوه هناك ضرباً بالسيوف ، ثم وطئوه بالخيل ، وبقي أربعة أيام ملقى ، لا يؤذن لأهله في دفنه (الجامع المختصر ١٩٩ ، ٢٠٠) .

وفي السنة ٦٥٨ استولى التتار على ميافارقين ، وقتلوا ملكها السلطان الملك الكامل محمد بن المظفّر غازي بن العادل ، وقطعوا رأسه ، وحملوه على رمح ، وطيف به البلاد ، ومرّوا به على حلب وحماة ، ووصلوا به إلى دمشق ، فطافوا به بالمغاني والطبول ، وعلّق الرأس في شبكة بسور باب الفراديس ، إلى أن عادت دمشق إلى المسلمين ، فدفن بمشهد الحسين (تاريخ ابي الفدا ٢٠٣/٣) .

ورفع أحمد بن بقا الشربدار الواسطي ، على الصاحب علاء الدين ، فحبسه ، ثم أشهره ، وفي آخر النهار قطع رأسه ، ووضع مكانه رأس معز بلحيته ، وطيف به ، وأحرق العوام جثّته ، ورفع رأسه على خشبة ، وطيف به (الحوادث الجامعة ٤٠١) .

وفي السنة ٦٦٢ قبض ببغداد على نجم الدين أحمد بن عمران الباجسري ، وأخرج مكتوفاً راجلاً إلى ظاهر بغداد ، حيث حوكم في خيمة هناك ، وقتل ، وأخذ ابن الدواتدار مرارته ، وطيف برأسه على خشبة ، ونهبت داره (تاريخ العراق للعزاوي ٢٤٧/١) .

وكان مجد الملك ، قد رفع على الصاحب علاء الدين صاحب الديوان ، ثم تغيّر الحال بموت السلطان ، فاعتقل مجد الملك ، وسلّم إلى الصاحب علاء الدين ، فتولّى ابن أخيه شرف الدين هارون قتله ، وحملت أطرافه إلى البلاد ، وسلخ رأسه وحمل إلى بغداد ، وشوي الخربنديّة لحمه ، وأكلوا منه ، وشربوا الخمر في قحف رأسه (الحوادث الجامعة ٤١٩) .

وفي السنة ٦٨٦ دخلت العرب في يوم جمعة إلى الجامع بالمحوّل ، فأخذوا ثياب كل من كان فيه ، ثم قصدوا ناحية الحارثية وكبسوها ليلاً ، وأخذوا ما قدروا عليه ، وقتلوا جماعة من أهلها ، فلم يزل شحنة بغداد يفحص عنهم ، حتى ظفر بأكثرهم ، وضرب أعناقهم ، وبنى رؤوسهم في قبّة الجسر ، وجعل وجوههم ظاهرة ، ليعتبر بها كلّ مفسد (الحوادث الجامعة ٤٥٢) .

وفي السنة ٦٩٣ ، في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، حصلت بالقاهرة ، فتنة بين الأمراء ، وانتهت بقتل الأمير علم الدين سنجر الشجاعي ، وطيف برأسه في القاهرة ومصر ، وكان الرأس على رمح ، وطاف به المشاعلية ، وجبوا عليه القاهرة ، ومصر ، والشوارع ، والأزقّة ، والطرقات ، ويقال أنّ بعض أهل مصر ، دفع إلى المشاعلية جملة فضّة ، حتى أخذ منهم الرأس ، ودخل به إلى بيته ، وضربه بالمداس ، وبعض الناس صفعوا الرأس في الطرقات ، وفعل الناس به ما أرادوا من ضرب وصفع وسبّ ، وكان مع المشاعلية برنية لتحصيل ما يجبي من الناس على رأس الشجاعي ، وأنّ البرنية ملئت ثلاث مرّات ، وكان سبب كره الناس للشجاعي ، لسوء أفعاله ، وظلمه ، ومصادراته ، وعسفه (تاريخ ابن الفرات ٨/١٨٢ و١٨٣) .

وفي السنة ٦٩٣ توجّه شمس الدين محمد السكورجي ، إلى السلطان كيخاتو ، وأخبره بمظالم الأمير بايدو ، فغضب على بايدو وأمر بحبسه ، ثم كلّم فيه فأطلقه ، وفي السنة ٦٩٤ قتل كيخاتو ، وتسلطن بايدو فكان أوّل ما فعله أن بعث أميراً إلى بغداد فقبض عى محمد السكورجي ، وأبيه ، وأخيه ، وعمّه ، وجميع أهل بيته وأصحابه ، ونهب أموالهم وجميع ما في دورهم ، وحمل محمداً إلى بايدو ، حيث قتل ، وقطّعت أعضاؤه ، وحمل رأسه ألى بغداد ، مع يديه ، وعلّقت على الجسر (تاريخ العراق للعزاوي ١/٣٥٧ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥) .

وفي السنة ٦٩٤ قتل فخر الدين مظفّر بن الطراح ، من رجال العصر المغولي في العراق ، كان صدر واسط والبصرة ، ثم صدر الحلّة والكوفة والسيب ، ثم قبض عليه ، وحبس في بغداد ، وقتل ، وطيف برأسه في شوارع واسط ، وعلّق على جسرها . (الاعلام ١٦٣/٨) .

وفي السنة ٧٠٢ كانت معركة بين جيش التاتار ، وجيش السلطان محمد بن قلاوون ، صاحب مصر والشام ، وانكسر التاتار ، وقتل منهم كثير ، وجيء بالأسرى إلى القاهرة ، وعددهم ألف وستمائة أسير، وقد علّق في عنق كلّ واحد منهم ، رأس أحد القتلى من التتار ، كما حمل أمامهم ألف رأس على ألف رمح ، وكانت طبولهم أمامهم مخرّقة (النجوم الزاهرة ١٦٧/٨) .

وفي السنة ٧١٦ اتّهم الوزير رشيد الدولة فضل الله ، وزير السلطان خربندا بأنّه أساء تطبيب السلطان ، فأدّى ذلك إلى موته ، فقتل الوزير ، وفصلت أعضاؤه ، وبعثوا إلى كلّ بلد بعضو ، وأحرقوا بقية جسده ، وحمل رأسه إلى تبريز ، ونودي عليه : هذا رأس اليهودي الملحد (الدرر الكامنة ٣١٥/٣) .

وولّى السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، غياث الدين بهادور ، على بورة ، وشرط عليه أن يصرف إليه ولده رهينة عنده ، فلم يبعث ولده ، فبعث إليه جيشاً ، فقتلوه وسلخوا جلده ، وحشوه بالتبن ، وطافوا به في البلاد . (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/٩٦) .

ولما قبض السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، على الأمير بهاء الدين كشت آسب ، وهو إبن أخت السلطان تغلق ، والد محمد ، قتله ، وأمر فحشي جلده بالتبن ، وطيف به في البلاد . (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/٩٧ و٩٨) .

وفي السنة ٧٤٨ توفّي الأمير شجاع آغرلو ، من أمراء المماليك بمصر ،

وكـان ظالماً، حتى إنّـه قتل في مـدّة أربعين يـومـاً ، واحـداً وثـلاثين أميـراً ، فاعتقل ، وقتل ، وقام الحرافيش في القاهـرة ومصر ، بنبش قبـره ، وأخرجـوا جثّتـه ، ومثّلوا بهـا ، ونـوّعـوا بـه المثلة والنكـال ، فغضب السلطان ، وأمـر الأوشاقية ، فقتلوا منهم ، وقطعوا ، فكان الأمير آغرلو مشؤوماً في حياتـه وبعد مماته (الوافي بالوفيات ٩/٢٩٥ و٢٩٦) .

وفي السنة ٧٦٣ قتل السلطان أبو عبد الله محمـد بن اسماعيـل بن فرج النصري ، صاحب غرناطة ، وكان قـد لجأ إلى صـاحب قشتالة ، فقتله ، وقتل أصحـابه الثلثمـائة ، وقـطع رؤوسهم ، وبعث بها إلى غـرناطـة ، حيث نصبت على سور قلعة الحمراء (الاحاطة ٤٠٦ ـ ٤١٢ و٥٣١ ـ ٥٤٠) .

وفي السنة ٧٧٦ مثّل بجثة الوزير الأديب الأريب الشاعر لسان الـدين بن الخطيب ، إذ تآمر عليه خصـومه في غـرناطـة ، ووافقهم صاحب المغـرب ، فحبس ، وخنق في حبسه ، ثم أخذت جثّته من الغد ، فـأضرمت فيهـا النار ، فآحترق شعره وبشرته ، راجع التفصيل في هذا الكتاب في الباب الثاني عشر : القتل بكتم النفس ، الفصل الأول : القتل خنقاً .

وفي السنة ٨٦١ دخل شخص إلى خيمة المولى علي المشعشـع ، وحزّ رأسـه ، وأخـذت جثّتــه ، فسلخت ، وحشيت تبنـاً ، وأرسلت إلى بغــداد ، وحمل الرأس إلى جهان شاه (تاريخ العراق للعزاوي ٣/١٥٠) .

وفي السنة ٨٠٣ أرسل تيمورلنك إلى أمير حلب ، رسولاً ، وكان الأمير سودون نائب السلطنة بدمشق ، موجوداً هنـاك ، فعمد إلى الـرسول فقتله قبـل أن يدلي برسـالته ، وضـرب رأسه على رؤوس الأشهـاد ، فلما بلغ تيمــور أنّ رسـوله قـد قتل ، هـاجم حلب ، وآستولى عليهـا ، وآسـرف جيشـه في قتـل الـرجـال والنسـاء ، ولجـأ كثيـر إلى المسـاجـد ، فقتلوا فيهـا ، حتى صـارت المسـاجد كـالمجازر من كثرة القتلى ، وصارت الأرض لا تـوطأ إلاّ على جثّـة

إنسان ، وبنى من رؤوس القتلى عشرة مآذن ، دور كل مأذنة عشرون ذراعاً ، وصعودها في الهواء مثل ذلك ، وجعلوا الوجوه فيها بارزة ، وتركوا أشلاء القتلى تنهشها الكلاب ، وكان عدّة من قتل من أهل حلب ، نحواً من عشرين ألف إنسان ، هذا فضلاً عمّن هلك تحت الأرجل عند آقتحام أبواب المدينة ، أو من هلك من الجوع والعطش (اعلام النبلاء ٢/٤٩٤ - ٤٩٨) .

وفي السنة ٨٣٩ قتل الأمير عثمان بن قطلوبك التركماني ، صاحب دياربكر وآمد وماردين ، ويعرف بقرايلوك ، وكان قتله أثناء آشتباكه في معركة مع الأمير اسكندر بن قرايوسف ، وكانت المعركة خارج أرز الروم (أرضروم) فألقى قرايلوك بنفسه إلى الخندق ، فوقع على حجر شدخ دماغه فمات ، فعمد إسكندر إلى رأس قرايلوك ورأسي ولديه ، ورؤوس ثلاثة من امرائه ، فقطعها ، وبعث بها إلى السلطان الاشرف ، فطيف بها في القاهرة ، وعلقت على باب زويلة ثلاثة أيام (الضوء اللامع ٥/١٣٦) .

وفي السنة ٨٦٦ عقد لحمزة بن غيث مجلس في بيت الدوادار ، حضره القضاة ونظروافي التهم الموجّهة إليه وهي أخذ الأموال ، وآرتكاب المحّرمات وضرب الفضّة الزغل ، فحكم القاضي المالكي بقتله ، وأنفذ بقية القضاة الحكم ، وآودع المقشرة ، وسلخ جلده ، وحشي تبناً ، وطيف به من الغد على جمل بشوارع القاهرة ، وحمل إلى بلاد الريف ، وطيف به في القرى والبلاد (الضوء اللامع ٣/١٦٦) .

وفي السنة ٨٧٢ قتل جهان شاه بن قرايوسف ، وخلفه ولده حسن علي ، فظلم الناس ، وأساء التصرّف ، وقبض على زوجة أبيه فعلّقها من ثدييها حتى ماتت ، فقصده حسن بيك ، واشتبك معه في معركة ، فأنفل جيش حسن علي ، وفر إلى باكو ، ثم عثر عليه في جبال الوند بهمذان ، وآعتقله أصحاب حسن بيك ، وأحس بما ينتظره فآنتحر بأن ذبح نفسه بموسى ، وعندئذ « قطعوا رأسه ، وقطعوا ذكره ، وحطّوه في فمه » وجاءوا

بـرأسه إلى حسن بيـك ، وقطعـوا جسده أربـع قطع ، وعلّقـوهـا على ابـواب همذان ، على كل باب قطعة (تاريخ الغياثي ٣٨٠ و٣٨١) .

وفي السنة ٩٢٦ عصـــر الأميـــر جـــان بـــردي الغـــزالي ، والي دمـشق للعثمـانيين ، على السلطان ، فجهز السلطان سليمـان إليه جيشـاً حاربـه بباب دمشق ، وانكسر جان بردي وقتل ، فجهـز القائـد التركي فـرهاد بـاشا ، رأس الغـــزالي ، ومعـــه الف اذن من آذان القـتلى إلـى السـلطان (خـــطط الشـــام ٢/٣٣٤) .

وفي الشدة ٩٨٦ كان العثمانيون قـد آستولـوا على تونس ، وتـوغلوا في المغرب ، فآستنجد المتوكّل أبو عبد الله محمد السعدي ، صاحب المغرب ، بالبرتغال ، ونشبت معركة بين العثمانيين من جهة ، وسلطان المغرب والبرتغال من جهـة ، فـآنتصـر العثمـانيـون إنتصـاراً مؤزراً ، وغـرق المتـوكّـل صـاحب المغـرب ، وسباستيـان عظيم البـرتغال ، في نهـر وادي المخـازن ، فـأخـرج المتوكلّ من المـاء ، وسلخ جلده وحشي تبناً ، وطيف بـه في بلاد المغـرب ، ولهذا لقبته العامّة : المسلوخ (الاعلام ٧/١١٧) .

وفي السنـة ٩٩٧ قتـل بخـاري ، شهـاب الـــدين عبـد الله بن محمـــود الخراساني الفقيه الامامي وجرى قتله على التشيّع ، وأحرق جسده في ميدانها (الاعلام ٤/٢٧٩) .

وفي السنة ١١٥١ وقعت معركة بين الجند العثماني بقيادة أحمد باشـا ، والي بغـداد ، وبين عشيرة المنتفق بقيـادة سعدون أميـر المنتفق ، فقبض على سعدون ، وقتل ، وقـطع رأسه ، وحشي تبنـاً ، ووضع في صنـدوق ، وأرسل إلى اسطنبول (تاريخ العراق للعزاوي ٥/٢٥٨) .

وفي السنة ١٢٠٦ هجم أهل حلب ، على بـطّال أغـا نـوري ، ومحمد اغـا ، وعلى عسكره ، فـانهـزم إلى خـــارج حلب ، وحصـر عينتـاب خمسـة

أشهر ، وآل أمره إلى أن قتل ، وحمل رأسه ورؤوس أربعة وعشرين من العصاة إلى اصطنبول (خطط السام ٣/٩) .

وفي السنة ١٢١٩ علّقوا بالقاهرة ثلاثة رؤوس ، بباب زويلة ، لا يدري أحد من هم (الجبرتي ٣/٤١) .

وفي السنة ١٢٢٢ لما قتل جماعة من الجيش الإنكليزي ، بمدينة رشيد في الديار المصرية ، قطعوا آذان القتلى ، ودبغوها ، وملّحوها ، ووضعوها في صندوق ، وسيّروها إلى اصطنبول على طريق الشام (الجبرتي ٣/١٩٧ و١٩٨) .

وفي السنة ١٢٤٧ ثار أهل دمشق ، على واليها محمد سليم باشا ، وحصروه في القلعة ، وقتلوه ، وقتلوا معه حاشيته ومنهم خاله ، وكخيته ، والسلحدار ، والقابجي ، والخزندار ، والمهردار ، وعرّوا جثثهم ، وحملوها إلى باب القلعة ، وألقوها على الأرض ، ليراها الناس ، ثم قطعوا رأس الوالي ورأس خاله ، وداروا بهما ، ليعرضوهما على الناس ويربحوا الدراهم ، فحطّوا رأس الوزير على درجة باب الكنيسة ، ولم يرفعوه حتى حضر شيخ حارة النصارى ، وأعطاهم دراهم ، فحملوه ، ووضعوه على باب الدير الكبير ، وأخذوا منهم دراهم ، وهكذا لمّوا دراهم من حارات كثيرة (مذكرات تاريخية ٣١ و٣٢) .

وفي السنة ١٢٥٠ انتقضت طرابلس (الشام) على حكم ابراهيم باشا ، ثم أخضعها ، وأمر فقتل من أعيانها ثلاثة عشر شخصاً ، وتركت جثثهم في الشوارع ثلاثة أيّام (مذكرات تاريخية ١٤) .

وفي السنة ١٣٠١ (١٨٨٤ م) قتل أبو الاحرار مدحت باشا ، من العظماء المصلحين في العالم ، قتل خنقاً في سجنه بالطائف ، وقطع رأسه ، ووضع في صندوق وحمل إلى السلطان عبد الحميد الثاني ، سلطان تركيا (مشاهير الشرق ١/٤٨٠) .

الفصل الثاني

المثلة بسحب الجثّث

ومن ألــوان المثلة ، سحب جثث القتلى والمـوتى ، والبغــداديّــون ، يسمونه : السحل .

وأوّل ما ظهرت هذه المثلة القبيحة بدمشق ، ثم انتقلت منها إلى بغداد .

وممـــا يبعث على الأسى ، إنّ هـذا اللون من المثلة ، مـــازال قسم من عامة بغداد يمارسونها .

وأوّل ما بلغنا عن هذا اللون من المثلة، ما صنع بيوسف بن عمر ، الذي كـان أمير العـراقين للوليد بن يـزيـد ، فلمـا قتـل الـوليـد ، هـرب يـوسف من العراق ، وورد البلقاء فاستخفى بها ، ولبس زيّ النساء ، وجلس بين نسائـه ، وبلغ يزيد بن الوليد خبره ، فبعث اليه من وجده بهذا الزيّ بين نسائه ، فأخذ ، وحبس ، بـدمشق ، ولمـا ظهــر أمـر مــروان بن الأمـويّ ، الملقّب بمــروان الحمار ، عمد يزيد بن خالد القسري إلى السجن ، فأخرج يوسف بن عمـر ، وقتله إنتقاماً لأبيه خالد الذي قتله يـوسف ، ولما قـطعت عنق يوسف ، شـدّوا في رجله حبـلاً طويـلاً ، وجعل الصبيـان يجرّونـه في شارع دمشق، فتمـرّ بـه المرأة ، فترى جسداً صغيراً ، وكان قصير القامة جداً ، فتقول : في أيّ شيء قتل هذا الصبي المسكين .

وقال بعضهم : رأيت يوسف بن عمـر ، وفي مذاكيـره حبل ، وهـو يجرّ

في دمشق ، ثم رأيت بعد ذلك ، يزيد بن خالد القسري ، قاتله ، وفي مذاكيره حبل ، وهو يجرّ في ذلك الموضع (وفيات الاعيان ١١١/٧ و١١٢) .

ولما قتل الأمين ببغداد ، في السنة ١٩٨ ، قطع رأسه ، وعلّق على حائط بستان ، وسحبت جثّته ببغداد ، وهي مربوطة بحبل (تاريخ الخلفاء ٣٠٠) ، فقال في ذلك ابراهيم بن المهدي : (الطبري ٤٩٨/٨) .

لم يكفه أن حزّ أوداجه　　ذبح الهدايا بمدى الجازر
حتى أتى يسحب أوصاله　　في شطن يفني مدى السائر

وفي السنة ٢٠١ قتل محمد بن أبي خالد ، في معركة بينه وبين جيش المأمون ، وكان زهير بن المسيّب ، أحد قوّاد المأمون ، محبوساً عند جعفر بن محمد بن أبي خالد ، فأخرج زهير من الحبس ، وذبح ، وطيف برأسه ، ثم أخذ جسده ، وربط في رجليه بحبل ، وطيف به في بغداد ، ومرّوا به على دوره ودور أهل بيته عند باب الكوفة ، وطيف به في الكرخ ، ثم طرحوه ليلاً في دجلة . (الطبري ٥٤٨/٨) .

ولما بويع المستضيء ، في السنة ٥٦٦ ، استدعي ابن البلدي ، الذي كان وزيراً للمستنجد ، ليبايع ، فلما حضر ، عدل به إلى مكان ضربت فيه عنقه ، وأخرج ، فرمي على مزبلة بباب المراتب ، ثم سُحب وألقي في دجلة (الفخري ٣١٨ وابن الاثير ٣٦٢/١١) .

وفي السنة ٥٧٦قبض على ظهير الدين بن العطّار ، وزيرالخليفة ، ووكّل به في داره ، ثم نقل إلى التاج ، ووكّل به ، وطولب ، ثم أخرج ميتاً على رأس حمّال ، فغمز به بعض الناس ، فثار به العامّة ، فألقوه عن رأس الحمّال ، وكشفوا سوءته ، وشدّوا فيها حبلاً ، وسحبوه في البلد ، وكانوا يضعون في يده مغرفة ، يعني أنها قلم ، وقد غمسوها في العذرة ، ويقولون :

وقّع لنا يا مولانا ، ألى غير هذا من الأفعال الشنيعة (ابن الأثير ٤٥٩/١١ و٤٦٠) .

وأضاف ابن الأثير إلى ما تقدّم قوله : هذا فعلهم به مع حسن سيرته فيهم ، وكفّه عن أموالهم وأعراضهم .

وفي السنة ٥٩٧ وثب أهل باب البصرة على حامي محلّتهم المعروف بابن الضراب ، فقتلوه ، وقتلوا معه أربعة نفر ، وسحبوهم ، ثم ألقوهم في دجلة ، فقبض حاجب باب النوبي الشريف أبو جعفر بن الناعم ، على جماعة من أهل المحلة ، وعاقبهم، وألزمهم بمال قرره عليهم . (الجامع المختصر ٤٦).

وفي السنة ٦٠٠ هلك ببغداد ، نائب الشرطة ، بباب النوبي ، بدار الخلافة ، واسمه ابو منصور بن الطحّان ، وكان ظالماً ، فلما صلّي عليه بالمدرسة النظامية ، اجتمع خلق كثير ، واعلنوا بلعنه ، وهمّوا بسحبه . (الجامع المختصر ١٣٢).

وفي السنة ٦٠٤ قتل ابو الغنائم ، نصر بن ساوا النصراني ، الناظر في أعمال دجيل ، وقطعت أطرافه ، وصلب ، ثم أنزل وسحبت جثّته في محلّات بغداد ، ثم أحرق . (الجامع المختصر ٢١٩- ٢٢٠).

وفي السنة ٦٨١ أحضر ببغداد ، عبد يشوع ، ويعقوب ، وكانا قد رفعا على الصاحب علاء الدين ، صاحب الديوان ، فطيف بهما في بغداد ، عريانين، والعوّام يصفعونهم ، ويضربونهم بالآجر ، ثم قتلا بقيّة اليوم ، وجرّ العوام جثّتيهما ، وأحرقوهما بباب قلاية النصارى (الحوادث الجامعة ٤٢٢).

وفي السنة ٦٩٠ قبض ببغداد ، على مهذّب الدولة ، أخي سعد الدولة الماشعيري ، وطولب بالأموال ، وضرب ، ثم طعن بالسكاكين والسيوف ، وكان في الديوان نجّار ، فضربه بفأس ، عدّة ضربات، ثم قطع إرباً إرباً ،

وتناهبه العوّام ، وتعمّم نفّاط بمصرانه ، وطافوا به في شوارع بغداد ودروبها ، ثم أحرق بباب جامع الخليفة (جامع سوق الغزل ، وبابه من جهة المنارة التي ما زالت قائمة الى الآن)، وسلخ رأسه ، وحشي تبناً ، وطيف به في جانبي بغداد ، وحمل إلى واسط ، وعلّق على جسرها . (تاريخ العراق للعزاوي ١/ ٣٥٠).

وفي السنة ٦٩٠ قتل من اليهود ، شاب يعرف بابن فلالة ، وقطعت أعضاؤه ، وشدّ العوام في سوءته حبلاً ، وطافوا به سحباً في دروب بغداد . (الحوادث الجامعة ٤٦٥).

وكان الأمير بهادر ، أحد مماليك الملك المنصور قلاوون ، واشترك في قتل ولده الملك الأشرف خليل سنة ٦٩٣، فقتله مماليك الأشرف، هو والأمير جمال الدين آقوش ، ثم ربط في رجل كلّ واحد منهما حبل ، وجرّا من دار النيابة بالقلعة الى المجارير بالكيمان . (خطط القريزي ٢/ ٦٧).

ولما عاد السلطان أبو العباس المريني ، في السنة ٧٨٩ إلى سرير ملكه ، قبض على ابن أبي عامر ، وكان يحقد عليه تصرّفات أجراها معه ، بعد خلعه ، وكلمات صدرت عنه في حقّه ، فاعتقله ، وامتحنه بالضرب بالسياط ، إلى أن مات تحت الضرب ، ولما حمل إلى داره ميتاً ، وأخذ أهله في تجهيزه ليدفن ، أمر السلطان بأن يسحب في نواحي البلد ، فحمل من نعشه ، وربط في رجله حبل ، وسحب في سائر المدينة، ثم ألقي على بعض المزابل (ابن خلدون ٥/ ٣٦٠).

وشكا الدمشقيون ، إلى الباب العالي (السلطان العثماني) ، من مظالم الدفتر دار فتحي افندي ، فأمر السلطان، فأحضر إلى اصطنبول ، فأخذ يمنح المنائح ، حتى أدخلوا على السلطان شخصاً آخر بدلاً منه ، فأمر السلطان بقتله ، فقتل ، أما فتحي افندي فأعادوه إلى دمشق ، فعاد إلى ظلمه ، فعاودوا

الشكوى ، فورد الأمر بقطع رأسه ، فقطع رأسه ، وجرّت جثّته في شوارع المدينة ، وترك للكلاب تنهشه ، ومثّل ببعض أعوانه ، وصودرت أمواله (خطط الشام ٢/٢٩٨) .

وفي السنة ١٢٥٠ هرب من سجن القلعة بدمشق ، شخص اسمه عبد المحسن ، وأخذ يقطع الطريق . فنصبوا عليه الأرصاد ، وحصروه في داره ، فراماهم، حتى أصيب، فأخرجوه جريحاً من الدار ، وذبحوه، ثم ربطوا في رجله حبلاً ، وسحبوه، حتى رموه أمام باب السراي ، وظلّ مطروحاً يومين (مذكرات تاريخية ١٤٣) .

ولما قتل الأمير عبد الاله ، في بغداد ، في حادث السنة ١٩٥٨م قامت فئة من العامّة بتسلّم جثته ، وربطوها ، بالحبل ، وسحبوها ، ثم علّقت أمام وزارة الدفاع ، ثم احرقت . (أسرار مقتل العائلة الحاكمة في العراق ١٣٤ـ ١٣٦) .

وآخر ما بلغنا عن هذا اللون من المثلة ، ما صنعه بعض أفراد من العامة ، ببغداد ، بجثة نوري السعيد ، رئيس الوزراء بالعراق ، فإنّه لما حصل أنقلاب السنة ١٩٥٨ على يد عبد الكريم قاسم ، أحد الضباط ، استتر نوري ، وبلغه خبر مقتل ولده الوحيد وهو مستتر ، ولما أوشك أن يعتقل ، انتحر، فتصدّى قوم من العامّة ، وربطوا في جثّته حبلاً ، وسحبوها في شوارع بغداد .

الفصـل الثالث

المثلة بصلب الجثة

ومن ألـوان المثلة ، صلب جثة القتيـل بعـد قتله ، وهـذا اللون من المثلة ، يكـاد يكون عـامّـاً في جميـع الأوقـات ، وفي جميـع البلدان، وكـان المقصود بصلب الجثّة ، أن يطّلع الناس على أنّ المصلوب قد مات وانتهى ، لئلا تكثر بشأنه الأقاويل ، وتختلف في مصيره الآراء ، ذلك لأنّ العـامّة ، مـا دام لهم رأي في المقتول ، فهم يتصوّرون له مصيراً وفق أمانيهم ، كما حصل في موضوع الحلّاج ، فإنّـه قتل ، وصلب ، وأحـرق ، وذرّي رماده ، وحصـل ذلك أمام عشـرات الألوف من النـاس، ولكنّ كثيراً منهم ، استقـرّ في أذهانهم أنه لم يقتل ، وانّما قتل شخص آخر غيره يشبهه ، وأعجب من ذلك ، إنَّ عبد الكريم قاسم ، الضابط الذي قام بانقلاب السنة **١٩٥٨** في العـراق ، قتل في السنة **١٩٦٣** رمياً بالرصاص ، وعرضت جثّته على شاشة التلفزيون ، وبالـرغم من ذلك ، فإنَّ بعض العامّة من الناس في بغداد ، كانوا إلى أمد قريب، على قناعة تامّة ، بأنّه ما زال حيّاً ، وأنّـه شوهـد في الوقت الفـلاني ، في الموضـع الفلاني .

وعلى أنّ المثلة بصلب الجثث ، أمـر يدلّ على لؤم قـدرة ، وينبىء عن نقص في المروءة . فإنَّ بعض المتسلّطين القسـاة ، زادوا في الطنبـور نغمة ، وبالغوا في إظهار لؤم قدرتهم ، كما صنع الحجّاج ، بجثّة عبدالله بن الزبير ، فإنّه صلب مع جثّته جيفة كلب ، وكما صنـع مسلمة بن عبـد الملك بيزيـد بن

المهلّب ، فإنّه صلب مع جثّته جيفة خنزير ، وفاق هؤلاء جميعاً في التصرّف المخزي ، زياد بن أبيه ، فإنّه كان يقتل النساء ويصلبهنّ ولم يكتف بذلك ، فزاد بأن أخذ يصلبهنّ عاريات .

وكانت النساء تشترك في حروب الخوارج ، إلى أن قام زياد بصلب المرأة عارية بعد قتلها ، فلم تخرج النساء إلاّ بعد زياد ، وكنّ إذا طولبن بالخروج قلن : لولا التعرية لسارعنا (العقد الفريد ١/٢٢١-٢٢٢) .

وأسرت هذيل ، يوم الرجيع ، الأنصاريّين خبيب بن عديّ ، وابن الدثنة ، فصلبوهما بالتنعيم .

وصلب عبيد الله بن زياد ، بسوق الكوفة ، مسلم بن عقيل ، وهانىء بن عروة المرادي .

ولما استباح مسلم بن عقبة ، قائد الجيش الأموي ، المدينة ، وقتل رجالها ، خرج منها يريد مكّة ، فمات في الطريق ، ودفن ، فخرجت إليه زوجة أحد قتلاه ، فنبشت قبره ، واحرقت جثّته ، ومزّقت أكفانه ، وعلّقتها على شجرة هناك ، فكان كلّ من يمرّ بالأكفان ، يرجمها بالحجارة . (الامامة والسياسة ٢/٩) .

ولما قتل عبدالله بن الزبير ، بعث الحجّاج برأسه الى عبد الملك ، وصلب جثّته منكوسة ، وصل معه كلباً ميتاً (أنساب الأشراف ٥/٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧٤) .

وصلب يوسف بن عمر ، عامل هشام بن عبد الملك على العراق ، زيد بن علي بن الحسين ، وبقي معلّقاً أربعة أعوام ، ثم أنزل وأحرق .

ويحيى بن زيد بن علي ، صلب بالجوزجان ، في أيّام الوليد بن يزيد ، وأنزله أبو مسلم الخراساني ، وصلّى عليه ، وواراه ، وأخذ كلّ من خرج إلى قتاله ، فقتله .

وصلب مسلمة بن عبد الملك، يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، بجسر بابل ، وعلّق معه خنزيراً وسمكة وزقّ خمر (الغيث المسجم ٢/١٨٢).

ولما أخرج أبو محمد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية ، من السجن ، أمر بجثة عبد العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك بن مروان ، فصلبت منكوسة على باب الجابية بدمشق . (العقد الفريد ٤/٤٦٧).

وفي السنة ١٢٣ عبر بلج بجيش أمويّ ، إلى الأندلس ، فقبض على عبد الملك بن قطن الفهري ، أمير الأندلس ، وصلبه بقرطبة ، وصلب معه كلباً وخنزيراً ، ذلك لأنّه أراد الاستقلال بالأندلس ، وصلب زياد بن عمرو اللخمي بعد أن سمله ، وصلب عن يساره كلباً (نفح الطيب ٣/١٩-٢١).

ولما بويع مروان الحمار ، وقدم دمشق ، نبش قبر يزيد بن الوليد وأخرجه من قبره وصلبه (العقد الفريد ٤/٤٦٦).

وفي السنة ١٢٩ حارب نصر بن سيار أمير خراسان ، جديع بن علي الكرماني ، فقتل جديع في المعركة ، فأخذه نصر وصلبه وصلب الى جانبه سمكة ، يعني أنّ جديع أزدي ، والأزد يعيّرون بأنّهم ملّاحون . (الطبري ٧/٣٧٠) .

وصلب مروان الحمار الأموي ، يزيد بن خالد بن عبدالله القسري ، على باب الفراديس ، بدمشق (الغيث المسجم ٢/١٨٢).

وحمل صالح بن عبد القدوس إلى المهدي ، متّهماً بالزندقة ، وساءله فتبرّأ ممّا اتّهم به ، فاستنشده ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

والشيخ لا يترك اخلاقه حتى يواري في ثرى رمسه
إذا ارعوى عاد إلى غيّه كذى الضنى صار إلى نكسه

فقال : نحكم فيك بحكمك على نفسك ، فأنت لا تترك أخلاقك ، ثم

أمر به فقتل وصلب على الجسر . (وفيات الأعيان ٢/٤٩٢).

ولما قتل الرشيد جعفر بن يحيى البرمكي ، أمر برأسه فنصب على الجسر الأوسط ، وقطعت جثته إلى قطعتين ، صلب قطعة على الجسر الأعلى ، وقطعة على الجسر الأسفل . (الطبري ٨/٢٩٦).

أقول : كان في بغداد في ذلك العهد ، ثلاثة جسور ، الجسر الأعلى ، وهو جسر الشماسية ، يربط بين الشماسيّة (الصليخ) في الجانب الشرقي ، والقطيعة الزبيدية في الجانب الغربي ، والجسر الأوسط ، ويربط بين باب الطاق (الصرّافيّة) في الجانب الشرقي وبين محلّة البيمارستان العضدي (المنطقة) في الجانب الغربي ، وقد حلّ محلّه جسر الصرّافيّة الحديد ، والجسر الأسفل ، وهو الجسر الذي يربط بين سوق الثلاثاء بالجانب الشرقي (منطقة المدرسة المستنصرية) وبين الجانب الغربي وقد حلّ محلّه الآن جسر المأمون .

وفي السنة ١٩٨ حصلت وقعة الربض بقرطبة، حيث كره القرطبيون الحَكَم الأموي ، ، وثاروا عليه ، وحصروه في قصره ، فحاربهم ، فانهزموا ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسر منهم جماعة ، فاختار من الأسرى ثلثمائة من وجوههم، فقتلهم، وصلبهم منكّسين (ابن الأثير ٦/٢٩٩ـ ٣٠٠).

وفي السنة ٢٢١ أحضر امام المعتصم ، الثائر الفارسي بابك الخرمي ، فأمر به فقطعت أطرافه ، ثم قطع رأسه ، وصلبت جثّته على خشبة ، ثم أحرقت ، وسمّي الموضع الذي صلبت جثته فيه « خشبة بابك » ، وأخذ عبدالله ، أخو بابك الى بغداد حيث قتل مثل قتلة أخيه ، وصلب بدنه على الجسر ببغداد ، فقالت سكن ، جارية محمود الوراق : (المستطرف من أخبار الجواري ٣٣).

كبابك وأخيه إذ سما لهما ... بباتر للشوى في الجيد خلّاس
فذاك بالجسر نصب للعيون وذا ... بسرّ مرّا على سامي الذرى راسي

للتفصيل في مقتل بابك ، راجع نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ج ١ ص ١٤٧ـ ١٤٨ رقم القصة ٧٤).

وفي السنة ٢٢٤ أحضر أمام المعتصم الثائر الفارسي المازيار بن قارن ، صاحب طبرستان ، فضرب أربعمائة سوط ، فمات ، وصلب إلى جانب خشبة بابك (الطبري ٩/ ١٠٠ و١٠٤ وتجارب الأمم ٦/٥١٦) .

وفي السنة ٢٥٢ خرج بالإسكندرية من أرض مصر ، جابر بن الوليد المدلجي ، وجمع جمعاً ، ولحق به أبو حرملة فرج النوبي ، وكان رجلاً فاتكاً ، ثم أسر أبو حرملة ، وأدخل الفسطاط مع جماعة من الأسرى ، وحبس ، ومات في الحبس ، وأخرج فصلب بالمصلّى (الولاة للكندي ٢٠٦ـ ٢٠٩) .

وفي السنة ٣١٧ لما خلع المقتدر ، ونصب أخوه القاهر ، انتقض امر القاهر بهجوم الرجّالة على الصحن التسعيني بدار الخلافة ، فصلبوا نازوك وعجيباً خادمه على خشب الستارة . (التكملة ٦٠) .

وفي السنة ٣٦٧ بعث عضد الدولة ، إلى بختيار ، يطالبه بتسليم ابن بقيّة ، فسمله بختيار ، ثم بعث به إلى عضد الدولة ، وسمل معه صاحبه المعروف بابن الراعي (تجارب الأمم ٢/٣٧٧) وحمل ابن بقيّة مسمولاً إلى عضد الدولة عند نزوله بالزعفرانية ، فأشهر في العسكر على جمل ، ثم طرح إلى الفيلة ، وأضريت عليه ، فقتلته شرّ قتلة ، وصلب على شاطىء دجلة ، على رأس الجسر بالجانب الشرقي ثم نقل إلى الجانب الغربي . (ابن الأثير ٨/٦٨٩ وتجارب الأمم ٢/ ٣٨٠) .

وفي السنة ٣٦٨ حصر جيش عضد الدولة مدينة مبافارقين ، وفتحها بالأمان ، واستثني من الأمان قاضي البلدة وغلاماً يعرف بابن الطبري ، كانا أثناء الحصار يسرفان في شتم عضد الدولة ، فلما أخذا ، ضربت رقبتاهما وصلبا على البرج الذي كانا يظهران عليه ويشتمان (تجارب الأمم ٢/ ٣٩٠) .

وفي السنة ٣٨١ حدثت ببغداد فتنة بين أهل الكرخ ، وباب البصرة ، واستظهر أهل باب البصرة ، وخرقوا أعلام السلطان ، فقتل يومئذٍ جماعة اتّهموا بفعل ذلك ، وصلبوا على القنطرة . (المنتظم ١٦٣/٧- ١٦٤) .

وفي السنة ٤٢٠ ورد رئيس العيّارين أبو يعلى بن الموصلي ، وكانت داره بدرب رياح ، ومعه جماعة من العيّارين ، الى الكرخ ، وأظهروا أنهم جاءوا لخدمة السلطان ، فثار بهم أهل الكرخ ، فقتلوا ، وصلبوا (المنتظم ٤٥/٨) .

وفي السنة ٤٤٣ ظهر عيّار يعرف بالطقطقي من أهل درزيجان ، حضر ديوان الخلافة ، واستتيب وجرى منه في معاملة أهل الكرخ ، وتتبعّهم في المحالّ وقتلهم على الأتصال ، ما عظمت به البلوى ، فقطع رجلين وصلبهما على حائط باب القلّائين ، وقتل قبلهما ثلاثة وقطع رؤوسهم ، ورمى بها إلى أهل الكرخ ، وقال : تغدّوا برؤوس (باجة) ، ومضى إلى درب الزعفراني وطالب أهله بمائة ألف دينار (المنتظم ١٥٠/٨) . وفي السنة ٤٤٤ كبس الطقطقي طاق الحراني ، وهو من محلّات الكرخ ، وقتل رجلين ، وقطع رأسيهما ، وحملهما إلى القلّائين ، فنصبهما على حائط المسجد المستجدّ (المنتظم ١٥٤/٨) .

وفي السنة ٤٤٨ تقدّم رئيس الرؤساء ابن المسلمة ، وكان شديداً على الشيعة ، إلى صاحب المعونة ببغداد ابن النسوي ، بقتل أبي عبدالله بن الجلّاب ، شيخ البزّازين بباب الطاق ، بتهمة التظاهر بالرفض (أي التشيّع) فقتله ، وصلبه على باب دكانه (المنتظم ١٧٢/٨ - ١٧٣) .

وفي السنة ٥٢١ قبض الآمر الفاطمي ، بمصر ، على وزيره الملقب بالمأمون وقتله وصلبه بظاهر القاهرة مع خمسة من أخوته . (وفيات الأعيان ٢٩٩/٥) .

وفي السنة ٥٣٠ قبض الراشد العباسي على ابن الهاروني ، وتقدم إلى

أبي الكرم الوالي بقتله ، فقتل في الرحبة ، وصلب على خشبة قصيرة، ومثّل به العوام . (المنتظم ١٠/٥٦).

ولما قتل أبو الغنائم نصر بن ساوا النصراني، الناظر في اعمال دجيل ، في السنة ٦٠٤ بعد أن قطعت أطرافه، صلب أوّلاً ، وطيف به في محالّ بغداد مسحوباً، ثم أحرق . وكان سبب قتله أتّهامه بأنّه توصل في قتل الأمير تنامش بالسمّ . (الجامع المختصر ٢١٩- ٢٢٠).

وفي السنة ٧٥٠ زوّر الأميران سيف الدين الجينبغا نائب السلطان في طرابلس الشام ، والأمير فخر الدين أياز ، أمراً من سلطان مصر ، باعتقال نائب الشام أرغون شاه ، واعتقلاه بمعاونة الأمراء وقتلاه ، ثم ورد كتاب من سلطان مصر بانكار ذلك ، ومعه أمر بالقبض على الأميرين الجينبغا وإياز وقتلهما توسيطاً ، فتجرّدت العساكر اليهما ، واعتقلا ، وأنزلا من القلعة ، إلى سوق الخيل ، ووسّطوهما ، وعلّقت اشلاؤهما على الخشب بالحبال في البكر ، على وادي بردا بسوق الخيل (الوافي بالوفيات ٩/٣٥٦- ٣٥٧).

وفي السنة ١٢٢٧ (١٨١٢م) ثار محمد باي ، بوهران ، على الحاج علي باشا ، أمير الجزائر ، فبعث اليه الأمير جيشاً بقيادة عمر اغا ، فقبض على محمد باي وعذّبه وقتله ، وسلخ جلدة رأسه ، وحشاها قطناً ، وبعث بالرأس إلى الأمير في الجزائر ، فأمر بأن ينصب الرأس على عمود يركز فوق باب البلد ، وظلّ هناك عدّة سنين (مذكرات الزهار ١٠٧).

ولما تولّى علي باشا ، إمارة الجزائر ، في السنة ١٢٣٢ ، تحرّك عليه العسكر فأخمد ثورتهم ، وقتل منهم جماعة ، ثم جعل له من بينهم جواسيس ، يتلقّطون له الأخبار ، وقتل منهم خلقاً كثيراً بيده ، ونفى بعضهم ، وأخرج منهم في يوم من الأيّام بعثاً ، وجعل فيه كلّ من رآه شيطاناً ، ثم بعث في أثرهم من قام بتصفيتهم ، فمنهم من قتلوه ، ومنهم من نفوه ، ثم تحرّك العسكر عليه مرة ثانية، ونادوا بخلعه ، وولّوا شاوش الحملة (القائد) مكانه ،

ولكن القـائد امتنـع ، فأجبـروه ، ونصبوا لـه وزراء ، فحـاربهم علي بـاشـا ، وانتصر عليهم ، فتفرّقوا، وهربوا ، فمنهم من لحقه أتباع علي باشـا ، وقتلوه، ومنهم من قبضوا عليه حيّاً ، وجاءوا به إلى علي باشـا ، فقتله بيده ، وكـان لا يخلع سلاحه أبداً ، ويحمل في وسـطه سيفاً معلقـاً ومسدّسين ، فـإذا جيء له بتركي ، قتله بالمسدس ، وفي بعض الأحيان يجهـز عليه بـالسيف ، ثم يجرّه الزبانية لموضع البناء ، فيبنون عليه بالجدار (مذكرات الزهار ١٣٦ـ ١٣٧) .

وفي السنة ١٢٤٢ (١٨٢٦م) ثار السيـد محمد التيجني ، في ضـواحي وهران ، وجمع حـوله العـرب ، وأراد أن ينزع الملك من التـرك ، فجرّد اليـه والي وهران جيشاً ، وقتل التيجني وأتباعه في المعركـة ، وبعثوا بـرأسه وسيفـه إلى أمير الجزائر حسين باشا ، فأمر بأن يجعـل الرأس على عمـود يركـز قبالـة الباب الجديد (مذكرات الزهار ١٥٩ـ ١٦٠) .

وفي السنـة ١٣٦٥ (١٩٤٥م) قتل في إيـطاليا بنيتـو مـوسـوليني الملقب بـالدوجي ، حكم ايـطاليا اربعـاً وعشـرين سنـة، من ١٩٢٢ إلى ١٩٤٥ وعلّق قتلته جثّته منكّسة من الرجلين .

الباب التاسع عشر

المرأة

جاء الإسلام بالعدل والرحمة ، والسلام والمودّة ، وبرعاية خاصّة للمرأة ، إذ منع من التعرّض لها بأي لون من ألوان الأذى ، وكنى النبي صلوات الله عليه ، عن النساء ، فقال : رفقاً بالقوارير ، ومن أقواله : خيركم خيركم للنساء ، استوصوا بالنساء خيراً ، ما أكرم النساء إلّا كريم ، وما أهانهنّ إلا لئيم .

وكان صلوات الله عليه ، إذا دخلت عليه آبنته فاطمة ، أخذ بيدها ورحّب بها ، وأجلسها في مجلسه ، وإذا دخل عليها، قامت إليه ، ورحّبت به ،وأخذت يده فقبّلتها (العقد الفريد ٣/٢٣١) .

وكانت وصيّته صلوات الله عليه ، لكل سريّة يبعث بها إلى الحرب : لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا آمرأة ولا وليداً (العقد الفريد ١/١٢٨) .

ولما جيء إلى النبي صلوات الله عليه ، بسفانة بنت حاتم الطائي ، قالت له : يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الرافد ، فإن رأيت أن تخلّي عنّي ، ولا تشمت بي أحياء العرب ، فإنّ أبي سيّد قومه ، كان يفكّ العاني ، ويحمي الذمار ، ويفرّج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ، ولم يطلب إليه طالبٌ قطّ حاجةً فردّه ، أنا ابنة حاتم طيء ، فقال النبيّ

صلوات الله عليه : يا جارية ، هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك إسلاميّاً لترحّمنا عليه ، خلّوا عنها ، فإنّ أباها كان يحبّ مكارم الأخلاق (خزانة الادب ١/٤٩٤) .

وخلفه أبو بكر الصدّيق ، فكان يوصي أمراء جيوشه : لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا آمرأة (الطبري ٣/٢٢٧) .

وخلفه عمر الفاروق، فكان إذا عقد لأحد من قوّاده ، لواءً ، أوصاه قائلاً : لا تعتدوا ، ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا هرماً ، ولا آمرأة ، ولا وليداً . (العقد الفريد ١/١٢٨) .

وكان الإمام علي بن طالب يوصي قوّاده في كل موطن يلقون فيه عدوّاً ، فيقول : لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم ، فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثّلوا بقتيل ، فإذا وصلتم ألى رحال القوم ، فلا تهتكوا ستراً ، ولا تدخلوا داراً إلّا بإذن ، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتموه في معسكرهم ، ولا تهيجوا امرأة بأذى ، وإن شتمن اعراضكم ، وسببن امراءكم وصلحاءكم (اسماء المغتالين ١٦٢ والامامة والسياسة ١/١٣٨) .

ولما انتهت وقعة الجمل ، في السنة ٣٦ ، أنزل الإمام علي ، عائشة ، في دار عبد الله بن خلف الخزاعي ، أعظم دار بالبصرة ، ثم دخل عليها يزورها ، فرأته صفية ابنة الحارث زوجة عبد الله بن خلف ، وكان زوجها قد قتل في الوقعة مع عائشة ، وقتل أخوه عثمان مع عليّ ، فواجهته صفّية مختمرة تبكي ، وقالت له : يا عليّ ، يا قاتل الأحبّة ، يا مفرّق الجمع ، أيتم الله بنيك منك ، فلم يردّ عليها شيئاً سوى أنّه قال لعائشة ، لما جلس عندها : جبهتنا صفيّة ، أما أنّي لم أرها منذ كانت جارية حتى اليوم .

وسمع الإمام علّي ، أحد أصحابه وهو يتوعّد صفّية ، فغضب ، وقال : صه ، لا تهتكنّ ستراً ، ولا تدخلنّ داراً ، ولا تهيجنّ امرأة بأذى ، وإن شتمن أعراضكم ، وسفّهن أمراءكم ، وصلحاءكم ، فإنّهنّ ضعاف ، ولقد كنّا نؤمر بالكفّ عنهنّ ، وإنّهن لمشركات ، فكيف إذن وهنّ مسلمات ، وإنّ الرجل ليكافىء المرأة ، ويتناولها بالضرب ، فيعيّر بذلك عقبه من بعده ، فلا يبلغني عن أحمد أنّه عرض لامرأة ، فأنكّل به (الطبري ٤/٥٣٤ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، وابن الأثير ٣/٢٥٦و٢٥٧) .

وتعرّض اثنان من الأزد للسيدة عائشة ، بعد انتهاء حرب الجمل ، فقال لها أحدهما : جزيت عنّا أمّنا عقوقاً ، وقال الثاني : يا أمّنا توبي لقد أخطأت ، فبلغ ذلك الإمام علّياً ، فضرب كلّ واحد منهما مائة سوط (الطبري ٤/٥٤٠ وابن الاثير ٣/٢٥٧) .

لما قتل ابراهيم بن الاشتر، عبيدالله بن زياد، واحتوى على ما في عسكره ، بعثت إليه هند بنت أسماء بن خارجة الفزاري ، امرأة عبيد الله بن زياد ، وشكت أليه انتهاب ما كان معها من مالها ، فقال لها : كم ذهب لك ؟ قالت : خمسون ألف درهم ، فأمر لها بمائة ألف درهم ، ووجّه معها مائة فارس من عشيرتها يبذرقونها ، حتى أوصلوها إلى أبيها بالبصرة . (الأخبار الطوال ٢٩٦) .

ودخلت بنت أسامة بن زيد ، على الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فقام لها ، ومشى إليها ، ثم أجلسها في مجلسه ، وجلس بين يديها ، وما ترك لها حاجة إلّا قضاها . (تاريخ الخلفاء ٢٣٩) .

ولما أسر الإفشين بابك الخرمي ، أطلق من أسره كثيراً من الصبيان المسلمين ، والنساء المسلمات ، ولما نزل بابك أسيراً ، رآه هؤلاء الاسرى ، فلطموا على وجوههم ، وصاحوا ، وبكوا ، حتى آرتفعت أصواتهم ، فقال

لهم الإفشين : أنتم بالأمس تقولون أسرنا ، واليوم تبكـون عليه ، عليكم لعنـة الله ، فقالوا : إنّه كان يحسن إلينا (الطبري ٩/ ٥٠) .

ولما فتح البساسيري بغداد في السنة ٤٥٠ وأسر الخليفة القـائم ، كتبت والدة الخليفة ، إلى البساسيري من مكان كانت مستترةً فيه ، رقعة تشرح فيهـا ما لحقها من الأذى ، والضرر ، والفقر ، حتى أنّ القـوت يتعذّر عليهـا ، وهي جارية أرمنيّة ، قد ناهزت التسعين ، وآحدودبت ، فأحضـرها ، وأفـرد لها داراً في الحريم الطاهري ، وأعطاها جاريتين تخدمانها ، وأجرى عليها في كلّ يوم أثنى عشر رطلاً خبزاً ، وأربعة أرطال لحماً . (المنتظم ٨/ ٢٠١) .

هذه صفحة رائعة ، من مكارم الاخلاق ، تقابلها صفحة مـرّوعة مخـزية من تصرفات أوذيت فيها المرأة ، قتلاً ، أو تعذيباً ، أو إهانة ، أورد منها على سبيل المثال ، ثلاث صور ، الأولى : ما صنعه عبيد الله بن زياد ، فـإنّه أخـذ عروة بن أديّة ، أحد العبّاد الزهّاد ، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ، ثم صلبه ، ثم قطع رأسه وبعث به الى ابنته ، فجاءت الفتاة وجثّة أبيها مطروحة بين يـدي ابن زياد ، لتأخذها فتدفنها ، فقال لها ابن زياد : أنت على دينه ؟ فقالت له : كيف لا أكون على دينه ، وما رأيت قطّ خيراً منه ، فأمر بها ابن زياد فقتلت مع أبيها (انساب الاشراف ٤/ ٢/ ٨٨ و٨٩) ، والثانية ما صنعه شمر بن الجوشن في موقعة الطفّ التي قتل فيها الإمام أبو عبد الله الحسين وأنصاره ، وكان من أنصـاره رجل من كلب ، خـاض المعركـة دفاعـاً عن الحسين ، فسقط قتيلاً ، فخرجت امرأتهُ تمشي ، حتى جلست عند رأسه ، تمسح عن وجهـه التراب ، وتقـول : هنيئاً لـك الجنّة ، فقـال شمر بن ذي الجـوشن لغلام يسمّى رستم : اضـرب رأسها بـالعمود ، فضـربها بـه فمـاتت مكـانهـا (الـطبـري ٥/ ٤٣٨) والثـالثة : مـا صنعـه المصعب بن الـزبيـر ، لمـا انتصـر على المختـار الثقفي وقتله ، فـإنّـه أحضـر زوجـة المختـار ، وهي عمـرة بنت النعمـان بن بشيـر الأنصاري ، وطالبها بأن تبرأ من زوجها ، فـأبت ، وقالت متعجّبـة : كيف تبرأ

الحرّة من زوجها ؟ فأمر بها فقتلت (الاغاني ٢٢٨/٩) ، وأنا لا أعلّق على ما صنعه عبيد الله بن زياد وشمر بن ذي الجوشن ، فإنّهما كلبان من الكلاب ، وما صنعاه غير مستغرب لما جبلت عليه طينتهما الخبيثة وأصلهما الخسيس ، ولكنّي أعجب لما صنعه المصعب ، وقد كان من جبلة غير جبلة ذينك اللئيمين .

ولعبيد الله بن زياد ، مع المرأة ، موقف آخر يبعث على التقزّز والغثيان ، فإنّه بعد أن قتل الحسين وأولاده ، وأهل بيته ، ومن كان معه ، وجيء إليه برؤوسهم ، وبنساء الحسين وبناته وأطفاله سبايا ، وأدخلن عليه ، تحرّكت فيه جبلته الدنسة ، وطبيعته اللئيمة ، وخاطب النساء والاطفال قائلاً لهم : الحمد لله الذي فضحكم ، وقتلكم ، وأكذب أحدوثتكم ، ثم وجّه كلامه ألى إحدى الفتيات الأسيرات ، فقال لها : كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك ؟ قد شفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك ، فبكت ، وقالت له : لعمري ، لقد قتلت كهلي ، وأبرت أهلي ، وقطعت فرعي ، واجتثثت أصلي ، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت (الطبري ٤٥٧/٥) .

أقول : رحم الله الرصافي حيث قال :

دع الاناسيّ وانسبني لغيرهم إن شئت للشاء أو إن شئت للبقر
فإنّ في البشر الزاهي بخلقته من قد أنفت به أنّي من البشر

وقد أورد لنا المؤرخون تفصيل ما صنعه مصعب بن الزبير ، بعمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري ، زوجة المختار ، فإنّه بعد أن قتل زوجها ، أحضرها ، وقال لها : ما تقولين في المختار ؟ .

فقالت : ما علمته إلّا مسلماً .

فحبسها ، وكتب إلى أخيه عبدالله ، فأمره بقتلها ، فأخرجها إلى ما بين الحيرة والكوفة ، وأمر رجلاً من الشرط ، اسمه مطر ، فضربها بالسيف ،

ثلاث ضربات ، وهي تصيح : يا أبتاه ، يا أهلاه ، يا عشيرتاه .

فرفع رجل يده ولطم مطر ، وقال له : يا اين الزانية ، عذّبتها ، فقطعت نَفَسها . وتشحّطت عمرة ، وماتت . (أنساب الاشراف ٥/٢٦٣ و٢٦٤ ، والطبري ٦/١١٢ والاخبار الطوال ٣٠٩ والاغاني ٩/٢٢٨ وتاريخ الكوفة ٣٠٧ و٣٠٨ وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٤) .

ولما قتل مصعب بن الزبير ، عمرة بنت النعمان بن بشير الانصاري ، زوجة المختار بن أبي عبيد ، أنكر الناس ذلك عليه ، وأعظموه ، لأنّه أتى بما نهى رسول الله صلوات الله عليه عنه في نساء المشركين ، فكيف بالمسلمة ، فقال عمر بن أبي ربيعة : (العقد الفريد ٦/١١٨) .

إنّ من أعظم الكبائر عندي ... قتل حسناء غادة عطبول
قتلت باطلاً على غير ذنب ... إنّ لله درّها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا ... وعلى الغانيات جرّ الذيول

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : (الطبري ٦/١١٣) .

أتى راكبٌ بالأمر ذي النبأ العجب ... بقتل ابنة النعمان ذي الدين والحسب
بقتل فتاةٍ ذات دلٍ ستيرة ... مهذّبة الأخلاق والخيم والنسب
فلا هنأت آل الزبير معيشة ... وذاقوا لباس الذلّ والخوف والحرب
كأنّهم إذ أبرزوها وقطّعت ... بأسيافهم فازوا بمملكة العرب

وقد أفردت الأخبار المتعلّقة بتعذيب المرأة في هذا الباب ، وقسمته إلى خمسة عشر فصلاً :

الفصل الأوّل : أوّل من عذّب النساء في الإسلام .

الفصل الثاني : قتل المرأة بالسيف .

الفصل الثالث : قتل المرأة خنقاً .

الفصل الرابع : قتل المرأة شنقاً .

الفصل الخامس : ألوان أخرى من القتل .

الفصل السادس : الخوارج والمرأة .

الفصل السابع : تعذيب المرأة بالنار .

الفصل الثامن : تعذيب المرأة بقطع الأطراف والتعرّض للجوارح .

الفصل التاسع : ألوان أخرى من العذاب .

الفصل العاشر : تعذيب المرأة بالتعرّض للعورة .

الفصل الحادي عشر : تعذيب المرأة بالاسترقاق .

الفصل الثاني عشر : تعذيب المرأة بالضرب .

الفصل الثالث عشر : تعذيب المرأة بالحبس .

الفصل الرابع عشر : إشهار النساء .

الفصل الخامس عشر : انتحار المرأة .

الفصل الأوّل

أوّل من عذّب النساء في الاسلام

وأوّل من عـذّب النساء في الإسـلام معاويـة بن أبي سفيان ، فـإنّـه لمـا صالح الحسن ، اشترط على نفسه أن لا يؤاخذ أحداً من أصحـاب عليّ ، بما كان منه قبـل المصالحـة ، فلما تمكّن ، واستتبّ لـه الأمر ، تتبّـع من كان من أنصـار عليّ ، ففـرّ منـه عمـرو بن الحمق الخـزاعي ، فـأذكى عليـه العيـون والأرصاد ، واعتقل امرأته ، وحبسهـا في سجن بدمشق ، ثم أمسـك بعمرو ، فقتله ، وقطع رأسه ، وأمر أحد أعوانه ، بأن يدخـل على المرأة في سجنهـا ، وأن يضـع رأس زوجها في حجـرهـا (بـلاغـات النسـاء ٦٤ والـديـارات ١٧٩ و١٨٠) .

وكان النعمان بن بشيـر الأنصاري ، على حمص ، وكـان قد بـايع لابن الـزبير ، فلمـا بلغه خبـر واقعة مـرج راهط ، خرج من حمص مـع أهله يـريد المـدينة ، وأصبـح أهل حمص ، فـطلبه أحـد الكـلاعيّين يقـال لـه عمـرو بن الخليّ ، ومعه غوغاء ، فلحقوه ، فقتلوه سنة ٦٥ وألقوا بـرأسه في حجـر ابنته أم أبـان بنت النعمان ، فقـالت نائلة زوجـة النعمان : ألقـوا الرأس إليّ ، فـأنا أحقّ به ، فألقي في حجرها (انساب الاشراف ١٤٧/٥) .

وسار هشام بن عبد الملك ، على سنّة معاوية بن أبي سفيان ، في وضع الرأس المقطوعة ، في حجر المـرأة المفجوعـة ، أذ أمر بـرأس الإمام زيـد بن

علي بن الحسين ، فوضع في حجر والدته ربطه بنت عبد الله بن محمد بن الحنفية .

فقابل عامر بن اسماعيل ، قائد الجيش العبّاسي ، ذلك ، بأن أمر أن يوضع رأس مروان الحمار ، آخر الحكّام الامويّين ، في حجر آبنته (بلاغات النساء ١٤٥) .

ولما قتل المستعين العبّاسي ، أمر المعتزّ فوضع رأسه ، بين يدي جاريته التي كان يتحظّاها(الديارات ١٧٠) .

وفي السنة ٤٥٩ قتل القائد الحبشي سعيد بن نجاح الأحول ، علي بن محمد الصليحي صاحب اليمن ، وأسر زوجته السيدة أسماء بنت شهاب الصليحيّة ، وعذّبها بأن أركبها في هودج ، وجعل أمام الهودج رأس زوجها ، ورأس أخ لزوجها قتل معه ، وبقيت الملكة أسماء في أسر الأحول سنة كاملة في زبيد ، ورأس زوجها ، ورأس أخيه ، معلّقان أمام طاقة دارها ، ثم أنقذها ولدها من الأسر . (أعلام النساء ١/٤٢١ و٤٢٢) .

وفي النساء ٥٤٣ قتل الحافظ الفاطمي ، وزيره رضوان ، وبعث برأسه إلى زوجة رضوان ، فوضع في حجرها ، فقالت : هكذا يكون الرجال (ابن الاثير ١١/٤٩) .

الفصل الثاني

قتل المرأة بالسيف

كان القتل بالسيف ، مقصوراً على الرجال ، ولـذلك ، فـإنّ مصعب بن الـزبير ، لمـا قتل عمـرة بنت النعمان بن بشيـر الأنصـاري ، بـالسيف ، أنكـر النـاس ذلـك وأعـظمـوه وآعتبـره عمـر بن أبي ربيعـة المخـزومي « من أكبـر الكبـائر » ، ولمـا قتلت جاريـة ببغداد ، في السنـة ٥٤٩ سيّـدتهـا ، ذكـر ابن الجوزي في المنتظم ١٠/١٥٩ أنّهـا أخرجت إلى الـرحبة ،وقتلت « كمـا يقتل الرجال » ، أي أنّ عنقها قطع بالسيف ، مما يـدلّ على أنّ قتل المـرأة بالسيف كان منكراً عند الناس .

إلا أنّ التـاريـخ سجّـل لنـا أسمـاء أشخـاص ، فـاضت فيهم القسـوة ، فمارسوا أعمال قتل النساء ، منهم زياد بن أبيه ، وابنه عبيد الله ، فحازا بذلك لعنة التاريخ على كرّ الزمان .

ويروي لنا التاريخ ، أنّ زياد بن أبيه ، قتل عدداً من النسـاء كالشجـاء ، وحمـادة الصفريـة (الحيوان للجـاحظ ٥/٥٨٩ و٥٩٠) أخذ الشجّـاء ، فقطع يـديها ورجليهـا ، ثم قتلها (الحيـوان ٥/٥٨٩) ، ولم يكتف بقطع الأطـراف والقتـل ، فـدفعتـه القسـوة إلى صلبهنّ عـاريـات (العقـد الفـريـد ١/٢٢١ و٢٢٢) . وكان يشتمهنّ ، عندما يباشر قتلهنّ ، فكنّ يجنبه إجابات جارحة .

قال زياد لامـرأة من الخوارج، وقـد أمر بقتلهـا: أما والله، لأحصـدنّكم حصداً ، ولأفنينّكم عدّاً ، فقالت له : كـلا ، والله ، إنّ القتل ليـزرعنا ، فلمـا

همّ بقتلها ، تسترت بثوبها ، فقال لها : أتتستّرين وقد هتك الله سترك ، وأهلك قومك ؟ فقالت : إي والله ، أتستّر ، ولكنّ الله أبدي عورة أمّك على لسانك ، أذ أقررتَ بأنّ أبا سفيان زنى بها ، ثم قتلت (بلاغات النساء ١٤٣) .

وولي بعد زياد ، ولده عبيد الله ، فكان مثلاً لوالده ، في القسوة والفسولة والبغي ، فقد أخذ عبيد الله بن زياد ، عروة بن أديّة ، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ، ثم أمر أن يصلب على باب داره ، فصلب ، ثم قطع رأسه ، وبعث به إلى ابنته ، فجاءت الإبنة وجثّة أبيها مطروحة بين يدي ابن زياد ، لتأخذها فتدفنها ، فقال لها ابن زياد : أنت على دينه ؟ فقالت : كيف لا أكون على دينه ، وما رأيت قطّ خيراً منه ،فأمر بها فقتلت مع أبيها . (انساب الاشراف ٨٨/٢/٤ و٨٩) .

وكان عبيد الله بن زياد ، يتلذّذ بتعذيب النساء ، وقطع أطرافهن بمحضر منه ، وقد جيء إليه بأمرأة ، فقطع رجلها ، وقال لها : كيف ترين ؟ فقالت : إنّ في الفكر في هول المطلع ، لشغلاً عن حديدتكم هذه ، ثم أمر فقطعت رجلها الأخرى ، وجذبت،فوضعت يدها على فرجها ، فقال :لتسترينه ، فقالت له : لكنّ سميّة أمّك ، لم تكن تستره (بلاغات النساء ١٣٤) .

وقتل عبيد الله بن زياد ، الدلجاء من بني حرام بن يربوع . وكانت من مجتهدات الخوارج ، فلما طلبها ليقتلها ، قيل لها :إنّ الله قد وسّع على المؤمنين في التقيّة ، فآستتري ، فأبت ، فوجّه إليها عبيد الله ، فأحضرها ، وقطع يديها ، ورجليها ، وطرحها في وسط السوق . (اعلام النساء ١١٩/١) .

وفي السنة ٧٢ بعث خالد بن عبد الله بن أسيد ، أمير البصرة لعبد الملك بن مروان ، أخاه عبد العزيز لقتال الخوارج ، فآلتحم جنده بجند

الخوارج يقودهم صالح بن مخراف ، وانفلّ جيش البصرة ، وقتل مقاتل بن مسمع ، وسبيت امرأة عبد العزيز إبنة المنذر بن الجارود ، وأقيمت عند الخوارج فيمن يزيد ، وكانت جميلة ، فبلغت مائة ألف درهم ، فغار رجل من قومها ، كان من رؤوس الخوارج ، يقال له أبو الحديد الشني ، فصاح بهم : تنحوا هكذا ، ما أرى هذه المشركة ، إلّا قد فتنتكم ، وضربها بسيفه ، فقطع عنقها ، فقال ابن قيس الرقيات : (الطبري ٦/١٦٨ - ١٧٣) .

عبد العزيز فضحت جيشك كلّهم ... وتركتهم صرعى بكلّ سبيل
من بين ذي عطش يجود بنفسه ... وملّحب بين الرجال قتيل
هلا صبرت مع الشهيد مقاتل ... إذ رحت منتهك القوي بأصيل
وتركت جيشك لا أمير عليهم ... فارجع بعارٍ في الحياة طويل
ونسيت عرسك أذ تقادسيّة ... تبكي العيون برنّةٍ وعويل

وفي السنة ٧٤ سار حسان بن النعمان ، عامل إفريقية لعبد الملك بن مروان ، فقصد ملكة البربر بجبال أوراس، وتسمّى الكاهنة ، فالتقى الجيشان في معركة ضارية ، وكثر القتل حتى ظنّ الناس إنّه الفناء ، ثم آنتصر المسلمون ، وآنهزم البربر ، وقتلوا قتلاً ذريعاً ، وانهزمت الكاهنة ، ثم أدركت فقتلت (ابن الأثير ٤/٣٧٢) .

وفي السنة ١٠٥ نشبت معركة بين مسعود بن أبي زينب العبدي ، وكان قد استولى على البحرين واليمامة ،وبين سفيان بن عمر العقيلي أمير اليمامة ، فقتل مسعود ، وقتلت أخته زينب في المعركة . (ابن الاثير ٥/١١٩) .

ولما قتل الإمام زيد بن علي بن الحسين ، بالكوفة ، قتل يوسف بن عمر امرأة زيد بالحيرة . (مروج الذهب ٢/١٩٥) .

وفي السنة ١١٩ وقعت معركة بين خاقان ملك الترك ، وأسد بن عبد الله القسري عامل خراسان ، في منطقة الجوزجان ، فانكسر خاقان ،

وفـرّ ، وأراد الخصيّ أن يحمل امـرأة خاقـان ، فأعجلوه عن ذلـك ، فـطعنهـا بخنجر ، فوجدها جند المسلمين وهي تتحرك . (الطبري ٧/١٢٤) .

وكان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، شديد القسـوة ، غضب على أحد أقاربه ، وهو عبد الله بن المسور بن عون بن جعفر بن أبي طـالب ، فقتله ، ثم دعا بامرأة ابن المسور ، وكلّمها بشيء ، فراجعتـه ، فأمـر بقتلها ، فقتلت(مقاتل الطالبيين ١٦٠) .

وكـانت عبدة بنت عبـدالله بن يزيـد بن معـاويـة، تحت هشـام بن عبـد الملك ، وأسرها عبـدالله بن علي العباسي ، وكـان معها من الجـوهر ، مـا لا يدرى ما هو ، ومعها درع من اليواقيت والجوهر منسوج بـالذهب ، وهـو بدنـة عبدة المشهورة التي وصلت إلى زبيدة ، فألبستها بوران في عـرس المأمـون ، وكان عبدالله بن علي قد أطلقها بعـدما أخـذ ما معهـا من الجوهـر ، فقال لـه أصحـابـه : مـا صنعت ؟ أدنى ما يكـون ، أن يبعث إليهـا أبـو جعفـر (أي المنصور)، فتخبره بما أخذت منها ، فيأخذه منك ، اقتلها، فبعث في أثرها ، فلحقها الرسول ، فقالت له : مه ؟ فقـال : أمرنـا بقتلك ، قالت : هـذا أهون عليّ ، ونزلت فشدّت درعها ، من تحت قدميهـا ، وكمّيها ، وذبحت (مصـارع العشاق ٢/١٥١ـ ١٥٢).

أقول : عبدة ، هذه ، زوجة هشام بن عبد الملك ، قتلها العباسّيـون ، لما اجتاحوا الشام ، وهي صـاحبة بـدنة عبـدة المشهورة التي أهـداها الـرشيد لزوجته ابنة عمّه زبيدة لما بنى بها ، وأهدتهـا أمّ جعفر زبيـدة ، لبوران ، لمـا بنى بها المأمون ، والبدنة ثوب كـالمعطف ، مغـطّى باللؤلؤ والجـواهر ، على اختلاف اشكالها ، وقد أبصـرت عدّة منهـا في طهران في معـرض الجواهـر ، مـطرّزة باللؤلؤ ، في قبـو البنك المـركزي الإيـراني ، راجـع الـديـارات ١٥٦ وتاريخ بغداد لابن طيفور ١١٤ .

وسألت أمينة بنت خضير : ما فعل محمد ؟ (تريد محمد بن عبدالله النفس الزكية) فقيل لها : قتل .

قالت : فما فعل ابن خضير ؟ (تريد أخاها إبراهيم) .

فقيل لها ؛ قتل ، فخرّت ساجدة .

فقال لها زوجها : أتسجدين، وقد قتل أخوك ؟

قالت : نعم ، أليس لم يفرّ ، ولم يؤسر (الطبري ٦٠٥/٧) .

أقول : إبراهيم بن خضير ، هو إبراهيم بن مصعب بن مصعب بن الزبير ، كان من أقوى انصار محمد بن عبدالله النفس الزكية ، لما خرج على المنصور ، وكان ابراهيم صاحب شرطة محمد ، وكان شجاعاً ذا نكاية ، وقتل في المعركة (العيون والحدائق ٢٤٤/٣) .

وروى عليّ بن يقطين ، أنّ موسى الهادي، كان جالساً ذات ليلة ، فجاء خادم فساره بشيء ، فنهض ، ثم جاء وهو يتنفّس ، ومعه خادم يحمل طبقاً مغطّى بمنديل ، فقال للخادم أرفع المنديل ، وإذا على الطبق رأسا جاريتين لم ير أحسن منهما وجهاً وشعراً فاعظم الحاضرون ذلك ، فقال : بلغني أنّهما تحابّا ، فوكلّت بهما هذا الخادم ليرفع إليّ أخبارهما ، فجاءني ، فأخبرني بأنهما قد اجتمعتا فوجدتهما كذلك ، نائمتين في لحاف واحد ، فقتلتهما ، ثم قال : يا غلام ارفع ، ورجع إلى حديثه كأن لم يصنع شيئاً . (الطبري : ٢٢١/٨ـ ٢٢٢ تحفة المجالس ٩٣ـ ٩٤) .

وقتل الشاعر ديك الجنّ ، عبد السلام بن رغبان (١٦١ـ ٢٣٥) . حبيبته وردة ، لما اتّهمها ، فضربها بالسيف ، فقتلها ، ثم علم من بعد ذلك أنّه اتّهمها ظلماً ، فقض باقي حياته يرثيها ، ومن جملة أقواله لما ندم :

يا طلعة طلع الحمام عليها ... وجنى لها ثمر الردى بيديها
روّيت من دمها الثرى ولطالما ... روّى الهوى شفتيّ من شفتيها
قد بات سيفي في مجال وشاحها ... ومدامعي تجري على خديها

فو حقّ نعليها ، وما وطىء الحصى شيء أعزّ عليّ من نعليها
ما كان قتليها لأنّي لم أكن أبكي إذا سقط الذباب عليها
لكن ضننت على العيون بحسنها وأنفت من نظر الحسود اليها

راجع القصّة مفصلة في الأغاني ١٤/٥٥-٥٦ .

وفي السنة ٢٥٢ أمر المعتز ، بقتل المستعين ، فقتله سعيد بن صالح ، قيل أنّه شدّ في رجله حجراً ، وألقاه في الماء ، وقيل انّهم قتلوه ، وقتلوا دايته معه ، لأنّها كانت في رفقته، فلما علوه بالسيف ، صاحت ، فقتلوها معه (الطبري ٩/٣٦٣- ٣٦٤).

ودعا عبد العزيز بن أبي دلف بجارية كان يرى الدنيا بعينها ، فضرب عنقها ، فقيل له : لم فعلت ذلك ؟ فقال : مخافة أن أموت في حبّها فتبقى هي بعدي تحت غيري (البصائر والذخائر ١/١٠٩).

وفي السنة ٢٦٩ رمى أحد غلمان إبراهيم الخليجي امرأة بسهم ، فقتلها ، فهاج العامّة ببغداد ، ووثبوا عليه ونهبوا منزله ودوابه ، وأخذوا غلمانه ، أمّا هو ففرّ (الطبري ٩/٦١٣).

وفي السنة ٢٨٠ استبدّ أمية بن عبد الغافر ، بمدينة إشبيلية ، وكان يليها للأمير عبدالله المرواني ، فثار عليه الإشبيليّون ، وحاربوه، فاستمات ، وقتل حرمه ، وعقر دوابه ، وأحرق موجوده ، وقاتل حتى قتل (ابن خلدون ٩/٣٨١).

وفي السنة ٢٨٣ وثب الجند البربر والمغاربة على أمير مصر جيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون ، وطلبوا منه أن يتنازل عن الإمارة ، لكي يتولّى عمّه مكانه ، فعمد جيش إلى عمّه الذي أرادوا تأميره، فقتله وقتل عمّاً له آخر معه ، ورمى برأسيهما اليهم ، فهجم الجند على جيش وقتلوه وقتلوا أمّه ،

وانتهبوا داره ومدينة مصر وأحرقوها ، وأمّروا عليهم هارون بن خمارويه . (الطبري ١٠/٤٥-٤٦).

وقتل إبراهيم بن أحمد بن الأغلب (ت ٢٨٩)، كثيراً من أصحابه ، وكتابه ، وحجابه ، واثنين من أبنائه، وثمانية من أخوته، وقتل سائر نسائه، وجميع بناته فعزله المعتضد عن إفريقية، فرحل إلى صقلية، ومات بها. (الإعلام ١/٢٢).

وفي السنة ٣٣٤ قبض على امرأة قبضت على صبي ، وشوته في التنور ، وهو حيّ ، وأكلت بعضه ، وأقرّت بذلك ، وذكرت أنّ شدّة الجوع حملها على ذلك ، فحبست، ثم أخرجت ، وضربت عنقها ، ووجدت امرأة اخرى قد اخذت صبيّة فشقّتها نصفين وطبخت نصفها سكباجاً ، والنصف الآخر بماء وملح ، فدخل الديلم وذبحوها، ثم وجدت ثالثة قد شوت صبيّاً وأكلت بعضه ، فقتلت. (المنتظم ٦/٣٤٤).

وكان محمد بن مسافر ، صاحب قلعة سميران ، قبيح السيرة ، شريراً، ظالماً ، أوحش حتى أولاده ، ففرّ منه ولده وهسوذان ، إلى أخيه المرزبان بقلعة الطرم ، وأراد الأب محمد أن يفرّق بين الأخوين ، فلم يتمكّن ، ولما استولى المرزبان على أذربيجان استدعى في السنة ٣٣٩ أباه محمد بن مسافر ، وأخاه وهسوذان ، وصدّرا أباهما ، ووقفا بين يديه ، ثم قصد المرزبان الريّ ، وحارب ركن الدولة البويهي ، فانكسر جيش المرزبان وأسر ، وعاد فلّ عسكره إلى محمد بن مسافر ، فعقدوا له الرياسة ، فعاد إلى قبيح سيرته ، فوثب عليه الجند ، فالتجأ إلى ولده وهسوذان ، فأخذ وهسوذان أباه ، واعتقله في قلعة شيسجان ، وضيّق عليه حتى مات ، ثم تخلّص المرزبان من الحبس ، وعاد إلى حكم اذربيجان، ومات في السنة ٣٤٦ فحكم بعده ولده جستان ، فأخذ وهسوذان في التضريب بين أولاد أخيه ، وتفريق كلمتهم ، وفي السنة ٣٤٩ التجأ جستان وناصر ، ومعهما أمّ جستان،

إلى عمّهما وهسوذان ، بعد أن توثّقوا منه بالأيمان الغليظة والعهود ، فلما حصلوا في قبضته نكث ، وحبسهم، ثم قتلهما ، وقتل أمّ جستان أيضاً ، كما قتل جميع حاشيتهما ، ومن يقرب منهما ، ففرّ أخوهما إبراهيم بن المرزبان ، والتجأ الى ركن الدولة الذي بعث معه جيشاً أعاده إلى حكم أذربيجان (تجارب الأمم ٢/٣١- ٣٢- ١٣٥- ١٦٧- ٢١٩- ٢٢٠ وابن الأثير ٨/٥٣١).

وقبض الوزير أبو الفضل الشيرازي ، وزير بختيار البويهي ، على ابي طاهر الحسين بن الحسن ، عامل البصرة ، وسلّمه إلى مستخرج كان أبو طاهر قد وتره فنالته منه مكاره عظيمة حتى قتله ، وقتل أخاه، وأقاربه، وزوجته (تجارب الأمم ٢/٢٩٥).

وفي السنة ٣٨٨ قتل أبو نصر بن بختيار ، صمصام الدولة بن عضد الدولة وقال : هذه سنّة سنّها أبوك ، يشير إلى أنّ أباه عضد الدولة قتل أبن عمّه بختيار والد أبي نصر.

وسلّمت والدة صمصام الدولة إلى قائد ديلمي اسمه لشكرستان كور فقتلها ، وبنى عليها دكّة في داره ، فلما ملك بهاء الدولة فارس ، أخرجها ودفنها في تربة بني بويه . (ابن الأثير ٩/١٤٣ ذيل تجارب الأمم ٣/٣١٥).

وفي السنة ٤٠٦ تحرّك على الأمير باديس بن المنصور بن بلكّين، عمّه حماد بن بلكّين ، فبعث اليه أخا حمّاد ، واسمه إبراهيم بن بلكّين ، لكي يصلح امره ، فاتّفق حمّاد وإبراهيم ، وجاهرا باديس بالخلاف ، وسفكا الدماء ، وقتلا الأطفال، وأحرقا الزروع والمساكن ، وسبيا النساء ، وحدث أن فرّ إلى باديس جماعة من جند قلعة حمّاد ، وكان فيها أخوه إبراهيم ، فأخذ إبراهيم أبناءهم ، وذبحهم على صدور أمّهاتهم ، فقيل إنّه ذبح منهم بيده ستّين طفلاً ، فلما فرغ من الأطفال ، ذبح الأمّهات (ابن الأثير ٩/٢٥٤).

وفي السنة ٤٠٧ غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين ، الهند ، وحصر

قلعة كلجند ، وكلجند من أعيان الهنود وشياطينهم ، فاقتتلا ، فانفلّ جيش كلجند ، وقتل منهم قريباً من خمسين ألفاً ، فعمـد كلجند إلى زوجتـه فقتلها ، ثم قتـل إنفسه بعدها (ابن الأثير ٩/٢٦٦).

وفي السنة ٤٦٧ قتل السلطان ملكشاه السلجوقي ، عمّته كوهـرخاتـون ، اتهمها بالتحريض عليه . (اعلام النساء ٤/٢٦٧).

وفي السنة ٤٧٥ وجدت امرأة مقتولة ملقاة في درب الـدوابّ ، وظهر أن قاتلها رجل أعرج ، أقرّ بأنّه في تلك الليلة جمع بين هذه المرأة وبين رجـل ، وأنّها أخذت من الرجل قراريط ، وأنّ الأعرج طالبها بأجره ، فقـالت : خذ مـا تريد ، فوقع عليها ، ثم قتلها ، وأخذ ما معها من الحلي والدنانير ، فحبس ثم قتل . (المنتظم ٩/٣).

ولمـا مات السلطان ملكشـاه ، استفحل أمـر الباطنيـة بأصبهـان ، وفتش الناس مواضع بحثاً عن أشخاص مفقودين فـوجدوا امـرأة في دار لا تبرح فـوق حصيـر ، فأزالـوها ، فـوجـدوا تحت الحصيـر أربعين قتيـلاً ، فقتلوا المـرأة ، وأخربوا الدار والمحلّة . (المنتظم ٩/١٢٠ـ ١٢١).

وفي السنة ٤٩٥ قتل غـلام امرأة سيّـده لفرط هـواه لها وغيـرته عليهـا ، وأمكنه أن يهرب ، فلم يفعل ، وأخذ يصيح : يا معشر الناس ، أمـا فيكم من يقتلني ، فحمل إلى باب النوبي ، ثم أحضر زوج المرأة معه إلى رحبة الجامع ، وأعـطي سيفاً ، فضـرب به رأس القـاتـل ، وأبـانـه أذرعـاً في ضـربـة واحـدة (المنتظم ٩/١٣٢).

وفي السنـة ٥٠٠ قتلت أميـرة زوجـة عيسى بن تغلب ، قتلهـا ابن أبي هشـام ، وسبب ذلـك إنّ قلعـة تكـريت كـانت بيـد رافـع بن الحسين بن مقن العقيلي ، ولما توفّي خلفه ابن أخيه خميس بن مقن ، ولما توفّي خميس خلفه ولده أبـو غشام ، وفي السنـة ٤٤٤ وثب عيسى بن خميس بن مقن ، على ابن أخيه

أبي غشام ، فحبسه ، وملك القلعة ، وتوفّي عيسى ، فخافت زوجته أميـرة أن يعود أبو غشام فيملك القلعة ، فقتلته ، واستنابت في القلعة رجلاً سلّمهـا إلى رجـال السلطان ، وخرجت أميـرة الى الموصـل ، فقتلها ابن أبي غشـام بـأبيـه (ابن الأثير ١٠/٤١٩- ٤٢٠).

وفي السنـة ٥٠٤ في أيّام الأمـر الفاطمي ، قصـد بردويـل الإفـرنجي ، صـاحب القـدس ، مصـراً ، فـدخـل الفـرمـا وأحـرقهـا ، وأحـرق جـامعهـا ومساجدها ، وقتل بهـا رجلاً مقعـداً ، وذبح ابنتـه على صدره، ثم رحـل وهو مريض ، فهلك في طريقه قبل وصـوله إلى العـريش ، فشقّ أصحابـه بطنـه ، ورموا حشوته هناك فهي ترجم الى اليوم (وفيات الأعيان ٥/٣٠١).

وفي السنة ٥٠٩ قصد جند السلطان محمد السلجوقي مدينة كفرطـاب ، وكانت في يد الفرنج ، فلما اشتدّ الحصار على الفرنج ، ورأوا الهلاك ، قتلوا أولادهم ونسـاءهم ، وأحـرقـوا أمـوالهم ، ودخـل جنـد السلطان البلد عنـوة ، وأسروا صاحبها وقتلوه (ابن الأثير ١٠/ ٥١٠).

وفي السنـة ٥٣٦ هاجم الخـطا من سكان مـا وراء النهـر السلطان سنجر ، وسبب ذلك إنَّ السلطان سنجر ، كان قـد هاجم خـوارزم ، وفتحها ، وقتـل احد أولاد خـوارزم شاه اتسـز بن محمد ، فـأراد خـوارزم شـاه أن ينتقم منه ، فراسل الخطا ، وتزوّج منهم ، وأغراهم بقصد مملكة السلطان سنجـر ، فقصدوا السلطان ، وحصلت معركة ، فانهزم السلطان سنجر ، وقتل من جيشه مـائة ألف قتيـل ، منهم أحد عشـر ألفاً كلّهم صـاحب عمامـة ، وأربعـة الآف امرأة. (ابن الأثير ١١/٨١).

وفي السنة ٥٤٩ قتلت جارية امرأةٍ ، سيّـدتها ، فـأخرجت الجـارية إلى الـرحبة ، وقتلهـا زوج المرأة بحضـرة الناس ، كمـا يقتل الـرجـال (المنتـظم ١٠/١٥٩).

وفي السنة ٥٥٦ أقيمت البيّنة على خواجكي صاحب مدينة شارستان ، أنّه قتل زوجته ظلماً وعدواناً وأخذ مالها ، فقتل بها . (ابن الأثير ٢٧٨/١١) .

وفي السنة ٥٥٦ قتل الملك الصالح طلائع بن رزّيك ، وزير العاضد الفاطمي ، تصدّى له قوم بالسكاكين في دهليز القصر ، واتّهم الصالح ، عمّة العاضد ، بأنّها المحرّضة على قتله ، فطلبها من العاضد ، فبعث بها إليه ، فقتلها (ابن الأثير ٢٧٤/١١) .

وفي السنة ٥٦٨ توفّي خوارزم شاه أرسلان ، فخلفه ولده سلطان شاه محمود ، فحاربه أخوه الأكبر علاء الدين تكش ، وانتصر عليه ، فهرب سلطان شاه ، وأخذت أمّه ، فقتلها علاء الدين تكش . (ابن الأثير ٣٧٧/١١-٣٧٨) .

وفي السنة ٦٥٦ لما فتح هولاكو بغداد ، وقبض على الخليفة المستعصم وأولاده ، وجميع أفراد السلالة العباسية ، قرر هولاكو أن يقرض النسل العباسي ، فأمر الخليفة أن يفرز من نساء دار الخلافة ، جميع النساء اللواتي باشرهن هو وبنوه ، وأن يعزلهن عن غيرهنّ ، ففعل ، فكنّ سبعمائة امرأة ، فأخرجهنّ ومعهنّ ثلثمائة خادم (خصي)، وقال الدكتور مصطفى جواد رحمه الله تعليقاً على هذا الخبر : المفهوم أنّ هولاكو أمر بقتل جميع الجواري اللواتي باشرهنّ رجال بني العباس من الأسرة المالكة ، لئلا يكنّ - كلاً أو بعضاً - حوامل بأبناء يصلحون للخلافة ، وهو يريد قرضها بالكليّة (موسوعة العتبات المقدسة ، قسم الكاظمين ج ٢ ص ٣٤٢) أقول : أنا في شكّ من صحة عدد النسوة اللواتي قتلن ، وإن كنت على يقين من وقوع القتل ، وكذلك جرى الحال فيما يتعلّق بالأمراء العباسيين ، من أعدام الخليفة وانسبائه ، وكانوا في دارين من دار الخلافة ، دار الصخر ، ودار الشجرة ، فكان اتباع هولاكو يخرجونهم واحداً واحداً ، فيخرج بأولاده وجواريه ، فيحمل إلى مقبرة الخلاّل (الشيخ الخلاني) وقتلوا جميعاً عن آخرهم (موسوعة

العتبات المقدسة ، قسم الكاظمين ج ٢ ص ٣٣٦).

وفي السنة ٦٦٦ قتلت ببغداد امرأة تسمى عروس خاتون ، كانت زوجة بعض أصحاب توكال بخشي ، شحنة بغداد ، اسمه حسين اغا ، وسبب ذلك أنّها هويت غلاماً أمرد مليحاً ، فلما عرف بذلك ، أراد قتله ، فأبى الشحنة ذلك ، وقال : يقتلان جميعاً ، أو يستبقيان بعد أخذ الحدّ منهما ، فأخرج الغلام الى ظاهر السور ، وضرب له وتد في الأرض فأقعد عليه فمات ، ثم قدّم المرأة ، وقتلها بيده ، وهو يبكي أسفاً عليها (الحوادث الجامعة ٣٦١).

ووصف ابن بطوطة في رحلته ٢/٢٢٣- ٢٢٤ قسوة السلطان غياث الدين الدامغاني ، سلطان بلاد المعبر ، ووحشيته ، فإنه كان يأمر بالأسرى ، فيركّزون على أعواد قائمة ، فتخترق أجسادهم ، ثم يأمر بذبح نسائهم ، وتعلّق رؤوسهنّ على الأعواد التي تحمل أزواجهنّ ، ثم يأمر بذبح أولادهنّ في حجورهنّ .

وفي السنة ٧٣٦ توفّي السلطان أبو سعيد ، سلطان العراق، عن بضع وثلاثين سنة ، واتّهمت زوجته بغداد خاتون بنت الأمير جويان ، بأنّها سمّته في منديل الجماع ، أي أنّها اتهمت بأنّها وضعت له سمّاً في المنديل الذي تمسّح به بعد الجماع ، فقتلت .

وفي السنة ٧٨١ رسم السلطان بضرب اعناق جماعة من النصارى ، رجال ونساء ، لأنّهم اسلموا ثم ارتدّوا ،فضربت اعناقهم تحت شباك المدرسة الصالحية بالقاهرة ، فانكر الناس ما فعلوه من ضرب اعناق النساء بين الرجال . (بدائع الزهور ١/٢/ ٢٥٠).

وفي السنة ٨٠٢ لما فتح تيمورلنك حلب ، لجأ النساء والأطفال إلى الجوامع والمساجد ، فلم يجدهم ذلك ، كما قتل كثير من الأطفال تحت حوافر الخيل ، وفي الطرقات ، ولما استولى على دمشق، صنع بها أعظم مما صنع بحلب (الضوء اللامع ٣/٤٦- ٤٨).

وفي السنة ٨٠٣ لما فتح تيمورلنك بغداد ، فرض على كلّ واحد من عسكره أن يحضر له رأسين ، فكان الواحد منهم إذا عجز عن احضار رأسين ، يقطع رأس امرأة ، ويزيل شعرها ، ويقدّم الرأس (تاريخ الغياثي ١٢٥-١٢٧).

وفي السنة ٨١٤ اتّهم السلطان الملك الناصر بن برقوق ، زوجته خوند بنت صرق ، بأنّ لها علاقة بأحمد بن الطبلاوي ، فقطع عنقها ووضعه تحت طبق مغطّى وأحضر ابن الطبلاوي ، وأجلسه ثم كشف له عن الرأس ، وقال له : هل تعرف هذه ؟ ثم قام إليه ، وضرب عنقه بيده ، وأمر أن يدفنا في قبر واحد . (بدائع الزهور ١/٢/ ٨١٥).

وفي السنة ٨٦١ قتل داروغة يزد ، واسمه قنبر الخزرجي ، من اتباع جهان شاه ، زوجته وابنته وابنه ، بأن قطع رؤوسهم ، وأخذها في مخلاة ، ووضعها أمام جهان شاه ، وقال له : هذا جزاء من يواظب في خدمتك ، وسبب ذلك أنّ بيربوداق بن جهان شاه ، لما دخل مدينة يزد ، عيّن فيها محصلاً اسمه ساتلمش الشيرجي ، فعسف أهلها ، وكان قنبر داروغة يزد في خدمة جهان شاه والدبيربوداق ، ففسق الشيرجي بزوجة قنبر وبابنه وابنته ، فلما حضر قنبر الى يزد بلغه الخبر ، فعمد إلى امرأته وابنه وابنته ، فقطع رؤوسهم ، ووضعها في مخلاة ، وأخذها إلى جهان شاه ووضع الرؤوس أمامه ، وحدّثه بالقصّة، فغضب جهان شاه ، وطلب من ولده بيربوداق أن يبعث إليه بساتلمش، فأبى ، فكان ذلك من الأسباب التي أدّت بجهان شاه إلى أن حصر ولده بيربوداق ببغداد ، ثم قتله (التاريخ الغياثي ٢٩٠- ٢٩١ و ٣١٥).

وفي السنة ٨٧٣ قتل حسن علي بن جهان شاه ، زوجة أبيه، في تبريز ، بأن علّقها من ثدييها ، فظلّت ثلاثة أيّام ، ثم ماتت ، وبلغ ذلك أوزون حسن بك ، وكان يحاصر بغداد ، فترك حصارها ، وقصد حسن علي في تبريز ،

وحصره فيها ، وفي اثناء الحصار ، فرّ قائدان من قوّاده ، إلى أوزون حسن بك ، فقبض حسن علي على أولادهما ونسائهما وقتلهم جميعاً ، كما قتل كلّ من له علاقة بالقائدين المذكورين (التاريخ الغياثي ٣٢٦- ٣٣١).

وقتل السلطان أبو سعيد بن محمد بن ميران شاه بن تيمورلنك ، الأميرة كوهرشاد بيكم أغا ، زوجة شاه رخ وجدّة يادكارميرزا (اعلام النساء ٤/ ٢٦٨).

أقول : وفي السنة ٨٧٣ أسر حسن الطويل (أوزون حسن)، السلطان أبا سعيد بن محمد بن ميران شاه بن تيمورلنك ، فأسلمه إلى يادكار ميرزا ، فقتله قصاصاً عن جدته كوهر شاد (تاريخ العراق للعزاوي ٢٣٣٣).

وفي السنة ٩٨٥ مات الشاه اسماعيل الثاني بن طهماسب ، فاتّهمت اُخته الأميرة بري جان خانم بأنّها دسّت له السمّ ، فقتلت (تراجم الأعيان ٢/ ٥٩).

وفي السنة ١٠٠٠ (١٥٩١ م)، طلب اكبر شاه ، سلطان الهند ، من حكومات الدكن ، أن تعترف له بالسيادة ، فرفضوا طلبه ، فسيّر اليهم جيشاً بقيادة ولده مراد وقائده خان الخانات ابن بيرام ، فحاصرا مدينة أحمد ناجور ، وقامت بأمر الدفاع عن المدينة ، الأميرة المسلمة ، شاندي بيبي ، إحدى أميرات بيجابور ، وأبدت شجاعة ومهارة عظيمة ، وانتهت الحملة بالمصالحة ، وتنازلت الأميرة عن الحكم ، لأخيها الصغير ، الأمير بهادر نظام شاه ، ثم انتقض الصلح ، ونشبت في السنة ١٠٠٦ (١٥٩٧ م) معركة جديدة ، أسر فيها الأمير بهادر ، فعادت الأميرة المسلمة شاندي بيبي للدفاع عن أحمد ناجور ، ولكنّها اتّهمت بالخيانة ، فاعدمت ، وعندئذٍ لم تثبت المدينة على الدفاع ، فسقط في أيدي المغول . (الإسلام والدول اللإسلامية في الهند ٨٣- ٨٤).

وذكر منديليس ، أحد السيّاح الأوروبّيين ، عن والي أحمد آباد ، إنَّه كان من القسوة بحيث إنَّه دعا راقصتين ، لترقصان في حفلة أقامها ، فتأخّرتا ، فأحضرهما قسراً ، وقطع رأسيهما أمام أضيافه ، وكان هذا الوالي القاسي ، يلي ولاية احمد آباد بالهند ، للشاه جهان ، مدة حكمه ١٠٣٨- ١٠٦٩ (١٦٢٨- ١٦٥٨ م) . (الإسلام والدول الإسلامية في الهند ١٠٣- ١٠٤) .

وفي السنة ١١٦٨ (١٧٥٤م) قتل المير مهنا ، أباه الميرناصر ، حاكم بندرريق ، وهي بليدة تقع شمالي مدينة أبو شهر ، لكي يحل محلّه ، ولما عنّفته أمّه على قتل أبيه ، أمر بقتلها ، فقتلت (رحلة نيبور ٢/١٤٧) .

وفي السنة ١٢٠١ وقعت بالقاهرة حادثة لشخص من الأجناد اسمه اسماعيل كاشف أبو الشراميط ، وكان هذا الرجل يسيء معاملة مماليكه ، فتآمروا عليه ، وقام اثنان من مماليكه بقتله ، فصرخت زوجته، ونزلت اليهم ، فقتلاها ، وقتلا جاريتها معها ، واجتمع الناس وحضر الوالي ، فأطلقا عليه الرصاص ، ثم فرّا ، فتعقّبهما الوالي ، وقبض عليهما ، وقتلهما على رأس العطفة التي تقع فيها الدار التي حصلت فيها الجريمة (الجبرتي ٢/١١) .

وفي السنة ١٢١٤ لما استعرت الحرب بين الجيش الأفرنسي ، والمماليك وأهل القاهرة ، كان رجل مغربيّ يلقب بالجيلاني ، له اتباع مغاربة ، فعل أفعالاً قبيحة ، إذ كان يكبس البيوت مع جماعة من العوّام فيقتلون من يجدون فيها ، وينهبون الدار ، ويسبون النساء ويسلبونهنّ ما عليهنّ من الحلي والثياب ، ومنهم من يقطع رأس البنيّة الصغيرة طمعاً فيما على رأسها وشعرها من الذهب (الجبرتي ٢/٣٢٧) .

الفصل الثالث

قتل المرأة خنقاً

اتّهم ابن الدمينة (ت ١٣٠) امرأته ، فطرح على وجهها قطيفة ، وجلس عليها حتى قتلها (الاغاني ١٧/٩٦) .

وذكر أبو الأزهر المهلّب بن عيسى ، إنّه خنق جارية عبد الله بن علي العباسي ، عمّ المنصور ، وكان المنصور قد حبس عمّه عند أبي الأزهر هذا ، ثم أمره بقتله ، فدخل عليه ومعه جارية له ، فبدأ بعبد الله فخنقه حتى مات ، ثم مدّه على الفراش ، وأخذ الجارية ليخنقها ، فقالت : يا عبد الله ، قتلة غير هذه ، فكان أبو الأزهر يقول : ما رحمت أحداً قتلته غيرها ، فصرفت وجهي عنها ، وأمرت بها فخنقت ، ووضعتها معه على الفراش ، وأدخلت يدها تحت جنبه ، ويده تحت جنبها ، كالمتعانقين ، ثم أمرت بالبيت فهدم عليهما . (مروج الذهب ٢/٢٤١) .

وفي السنة ٤٩٣ نشبت معركة ضارية بين السلطان بركياروق ، وأخيه السلطان محمد ، فانكسر وزيره مؤيّد الملك عبيد الله بن نظام الملك وأحضر عند السلطان بركياروق ، وكان مؤيّد الملك ، لما ورد صحبة السلطان محمد إلى الريّ ، وجد فيها زبيدة خاتون ، والدة السلطان بركياروق ، قد تخلّفت بعد آبنها فأخذها ، وسجنها ، ورفعها ألى القلعة ، وأمر بها فخنقت ، فلما أسره السلطان بركياروق ، قتله بيده ، وظلّ ملقى على الأرض عدّة أيّام ،

حتى أذن في دفنه ، فحمل إلى تربة أبيه بأصبهان ، فدفن معه . (ابن الاثير ١٠/٢٨٨ و٣٠٤) .

وفي السنة ٦٦١ أقرّ زوجان ، بأنّهما كانا يحتالان على النساء ويخنقانهنّ ، من أجل حليهنّ ، فخنقت المرأة ، وجعلت في جوالق ، وسمرّ زوجها في خشبة ، وفي اليوم الثاني خنق بحبل (الذيل على الروضتين ٢٢٢) .

وفي السنة ٨٠١ قصد تيمورلنك بغداد ، فتشّوش السلطان أحمد بن أويس ملك العراق ، فأخذ في قتل أمرائه وقوّاده ورجاله ، حتى قتل أكثر الخدم ، والحرم الذين كانوا عنده ، قتلهم بيده وألقاهم في دجلة ، وكانت خالته وفا خاتون ، وهي بمثابة أمّه ، لأنّها هي التي ربّته ، فتشوّش منها أيضاً وقتلها بأن وضعها وبعض الحريم في قارب ، بحجّة إرسالهم إلى واسط ، وأغرق القارب في وسط دجلة ، فغرقوا بأجمعهم (التاريخ الغياثي ١٢١) .

وفي السنة ٨٤١ بلغ الأمير أصبهان ، سلطان العراق ، أنّ ميرزا علي ، ابن أخي قرايوسف ، وزاهد ، وقطلوبك ، قد تآمروا عليه ، فقبض عليهم ، وأمر بقتلهم ، وقتل ميرزا علي ، وأولاده جميعاً ، حتى الأطفال الذين في المهد ، وكانت بلقيس باشا ، بنت ميرزا علي ، تحت أصبهان ، فلما قتلوا بكت ، وصاحت ، فأمر بخنقها ، فخنقت (تاريخ العراق للعزاوي ٣/٩٩) .

وفي السنة ٨٦٩ بعث جهان شاه ، إلى ولده بير بوداق صاحب بغداد ، أن يعني بزوجته ، فآستاء من هذه الوصيّة ، ولما تقدّم جهان شاه لحصار بغدد ، أمر بير بوداق بخنق زوجته ، وكانت طول نهارها وليلها مشغولة بتلاوة القرآن والصلاة ، فخنقت ، ولما قتل بير بوداق زوجته ، قام كلّ امرائه والمقرّبين منه ، فقتل كلّ منهم نساءه تأسّيا بسيّدهم . (التاريخ الغياثي ٣١٩ ، ٣٢٠) .

وفي السنة ١٢١٦ لما رحل الإفرنسيون عن مصر ، وعادت السلطة للعثمانيين ، طلبت ابنة الشيخ البكري وكانت ممن تبرّج مع الفرنسيس ، بمعينين من طرف الوزير ، فحضروا إلى دار أمّها بالجودرية بعد المغرب ، وأحضروها ووالدها ، فسألوها عما كانت تفعله ، فقالت : إنّي تبت من ذلك ، فقالوا لوالدها : ما تقول أنت ؟ فقال : أقول إنّي بريء منها ، فكسروا رقبتها ، وكذلك المرأة التي تسمى « هوى » التي كانت تزوّجت نقولا القبطان ، ثم أقامت بالقلعة ، وهربت بمتاعها ، وطلبها الفرنساوية ، وفتّش عليها عبد العال ، فلما دخل المسلمون (العثمانية) وحضر زوجها مع من حضر ، وهو اسماعيل كاشف ، المعروف بالشامي ، أمّنها ، وطمّنها ، وأقامت معه أيّاماً ، فآستأذن الوزير في قتلها ، فأذن له ، فخنقها في ذلك اليوم أيضاً ، ومعها جاريته البيضاء أمّ ولده ، وقتلوا أيضاً آمرأتين من أشباههنّ (الجبرتي ٢/٤٨٦) .

وفي السنة ١٢٣٥ مات ابن ابراهيم باشا نجل محمد علي باشا ، صاحب الديار المصرية ، وكان الابن في سن السادسة ، ذكروا إنّه كان في حجر دادته وهي جارية سوداء ، فشاجرتها جارية بيضاء ، ورفصتها برجلها ، فأصابت الغلام ، فمات ، فقبض ابراهيم باشا على الجواري بما فيهن الدادة ، وكن ستّاً ، فخنقهن ، ورمى بهنّ في البحر (الجبرتي ٣/٦٠٨) .

وفي السنة ١٢٦٤ قتلت الداعية البهائية الشهيرة ، الملقّبة بقرّة العين ، وكانت قد ربط شعر رأسها بذنب بغل ، وجيء بها مسحوبة ، ثم خنقت ، وأحرقت . (اعلام النساء ٤/٢٠١) .

الفصل الرابع

قتل المرأة شنقاً

وفي السنة ٦٩٤ لما قبض على صدر واسط ابن الطرّاح واصحابه ، قبض على امرأة قيل إنّ أحد أصحاب ابن الطرّاح أودع عندها وديعة ، فصلبت بادية العورة (الحوادث الجامعة ٤٨٤ ـ ٤٨٧) .

وفي السنة ٧٧٥ رسم سلطان مصر ، بالقاهرة ، بشنق امرأة يقال لها : الخنّاقة ، فشنقت هي وزوجها ، وكانت تسكن في تربة في الصحراء ، وتأخذ ، هي وزوجها ، أولاد الناس الصغار ، وتخنقهم ، وتأخذ ما عليهم من الثياب ، فلما أخذت ، وجد عندها أثواب الصغار الذين خنقتهم ، وشنقت هي وزوجها بباب النصر ، وكان يوماً مشهوداً في اجتماع الناس عليهما للفرجة ، لما شنقا (بدائع الزهور ١/٢/١٢٨) .

وفي السنة ١١٧٨ صلبت « المرأة الفاحشة » فاطمة ، الشهيرة بعزّة قاش ، لأمور يطول شرحها (إعلام النبلاء ٣/٣٤٥) .

أقول : ليته ذكر السبب بآختصار إذا لم يرد أن يطيل في الشرح .

وفي السنة ١٢١٣ أحضر الأغا رجلاً « رمى عنقه » عند باب زويلة ، وأحضر امرأة شنقها على شبّاك السبيل تجاه الباب ، وكان الرجل خادماً عند الضابط الفرنسي حاكم خطّ الخليفة ، والمرأة راقصة خليلة الرجل ، فكانا يغريان الضابط بمصادرة الناس ، وعلم كبير الفرنسيس الذي يقال له شيخ

البلد بذلك أحضر الضابط وحبسه ، أمّا خادمه وخليلتـه فتسلّمها الأغـا وقتلهما (الجبرتي ٢/٢٥٨) .

وفي السنـة ١٢١٦ قبض بالقـاهرة على امـرأة سرقت أمتعـة من حمّام ، فأعدمت شنقاً عند باب زويلة (الجبرتي ٢/٥١٨) .

الفصل الخامس

ألوان أخرى من القتل

وفي السنة ١١ قتلت في المعركة ، أمّ زمل سلمى بنت مالك بن حذيفة بن بدر الفزارية ، وكانت قد سبيت في صدر الاسلام ، فأعتقتها عائشة ، فعادت الى قومها ، ودعت إلى الردّة عن الإسلام ، وجمعت حولها جموعاً ، وعظمت شوكتها ، فقاتلها خالد بن الوليد مع جيش إسلاميّ ، ونشبت معركة عظيمة ، وهي على جمل واقفة ، وقتل حول جملها نحو مائة رجل ، واجتمع على الجمل ، جماعة ، فعقروه ، وقتلوها . (الاعلام ٣/١٧٤) .

وفي معركة الطفّ ، في السنة ٦١ كان من انصار الحسين عليه السلام ، رجل من كلب ، فحمل عليه اثنان من رجال الجند الأموي ، فقتلاه ، فخرجت امرأته تمشي إلى زوجها ، حتى جلست عند رأسه تمسح عنه التراب ، وتقول : هنيئاً لك الجنة ، فقال شمر بن ذي الجوشن ، لغلام يسمى رستم : اضرب رأسها بالعمود ، فضربها به ، فماتت (الطبري ٥/٤٣٨) .

ولما استعرت الخصومة بين قيس وتغلب في السنة ٧٠ كان المستعلي منهم لا يكتفي بقتل الرجال ، وإنما يبقر بطون النساء ، ففي يوم الثرثار الأوّل ، وكان لتغلب على قيس ، بقرت تغلب بطون ثلاثين آمرأة ، وقابلهم القيسيّون في يوم البليخ ، فبقروا بطون نساء من تغلب ، وفي معركة

الكحيل ، وكانت لقيس على تغلب ، عاود القيسيّون بقربطون النساء ، وهدأت الخصومة حيناً ،ثم عاود الجحّاف بن حكيم السلمي هذا اللون من العذاب بأن أغار مع أصحاب له على تغلب فقتلهم ، وبقر بطون الحوامل ، وقتل من لم تكن حاملاً ، وكان سبب ذلك أنه لما قتلت بنو تغلب ، قرب تكريت ، عمير بن الحباب واصحابه ، ثم هدأت الفتن ، وتكافت قيس وتغلب ، وتقاربوا للصلح ، أثار أحد السفهاء وهو الاخطل الشاعر نار الفتنة من جديد إذ أنشد في مجلس عبد الملك بن مروان مخاطباً الجحّاف معيّراً له ، بقوله :

ألا سائل الجحّاف هل هو ثائر ... بقتلى أصيبت من تميم وعامر

فوثب الجحّاف يجرّ مطرفه وما يعقل من الغضب ، ثم افتعل عهداً من عبد الملك على صدقات تغلب ، وصحبه من قومه ألف فارس ، وأغاروا على بني تغلب ليلاً فقتلوهم ، وبقروا بطون الحبالى ، ومن كانت غير حامل قتلوها ، ثم لحق بالروم ، ولما سكن غضب عبد الملك كلّم فيه فأمّنه ، فعاد ، وأحسّ بمقدار جريمته، فحجّ فيمن شهد المذبحة معه ، وقد لبسوا الصوف وأحرموا ، وأبروا انوفهم ، أي خزموها وجعلوا فيها البُرَى ، ومشوا إلى مكة ، وتعلق الجحّاف بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم آغفر لي وما أراك تفعل ، فقال له محمد بن الحنفية : يا عبد الله قنوطك من عفو الله أعظم من ذنبك (الاغاني ١٢/٢٠١ ـ ٢٠٤) .

أقول : لما أوقع الجحّاف ببني تغلب ، عاد مؤرّث الفتنة الاخطل الشاعر ، فأنشد عبد الملك قصيدة يستعديه فيه على الجحّاف ، منها :

لقد أوقع الجحّاف بالبشر وقعة ... إلى الله منها المشتكي والمعوّل
فأن لم تداركها قريش بحزمها ... يكن عن قريش مستراد ومزحل

فغضب عبد الملك لقوله : يكن عن قريش مستراد ومزحل ، وقال له :

إلى أين يا ابن النصرانية ؟ فقال : إلى النار .

لما أوقع الجحّاف بن حكيم السلمي ، بالبشر ، وقعته بتغلب ، وقتل الرجال والنساء والأطفال ، قالت أحداهن له : قوّض الله عمادك ، وأطال سهادك ، وأقلّ رقادك، إن قتلت إلاّ نساءً أسافلهنّ دمى ، وأعاليهن ثدى، فقال الجحّاف لمن حوله : لولا أنّي أخشى أن تلد مثلها لخلّيت سبيلها ، ثم قتلها ، وبلغ ذلك الحسن البصري ، فقال : أمّا الجحاف فجذوة من نار جهنم . (الحيوان ١/٢٤ والمحاسن والاضداد ٢٦) .

وفي السنة ١٣٠ كتب مروان بن محمد ، إلى عبد الملك بن محمد بن عطية ، قائد جيشه في اليمن ، أن يبارحها ليحجّ بالناس ، فسار قاصداً الحجاز في اثني عشر رجلاً ، ونزل الجرف ، فأتاه آبنا جهانة المراديّان في جمع كثير ، وقالوا له ولأصحابه : أنتم لصوص ، فأراهم عهده ، على الحجّ ، فقالوا : هذا باطل ، فقاتلوه ، وقتلوه ، وخلفه ابن اخيه الوليد بن عروة بن محمد بن عطية ، فهاجم الذين قتلوه ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وبقربطون نسائهم ، وقتل الصبيان ، وحرّق بالنار من قدر عليهم منهم (ابن الاثير ٥/٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤٠٢) .

وذكر السيوطي ، في كتابه نزهة المجالس (ص ١٢٢ و١٢٣) إنّ الأمين أمر بجارية من جواريه ، فطرحت للسباع ، ففصّلت عضواً عضواً ، وخلاصة القصّة أنّ ابراهيم بن المهدي اشترى جارية بارعة الحسن ، كاملة الصفات ، بعشرة آلاف دينار ، وحملها إلى زبيدة ، فعوّضته عنها ثلاثين ألف دينار ، وبلغ الأمين خبرها ، فأمر بإحضارها ، واختبرها ، فأعجب بها ، وبسطها ، فآنبسطت ، وكايدت بحري الخادم، وكان أثيراً عند الأمين ، وعبثت به ، حتى بكى ، فغضب الأمين عليها ، وأمر بأن تطرح للسباع ، فطرحت للسبع ، ففصّلها عضواً عضواً .

أقول : أنا في شكّ من صحّة هذه القصّة ، وأحسبها من القصص التي سبكت بعد قتل الأمين ، وإلاّ فإنّ الأمين لم يكن مضيّعاً بالدرجة التي وصفه بها بعض المؤرخين ، ولكنّ الناس من يلق خيراً قالوا له ما يشتهي ولأمّ المخطىء الهبل .

وفي السنة ٢٦٩ رمى أحد غلمان ابراهيم الخليجي امرأة بسهم فقتلها ، واستعدي عليه السلطان ، فامتنع من تسليم الغلام ، ورمى غلمانه الناس ، فقتلوا جماعة ، منهم اثنين من أعوان السلطان ، فهاج العامّة ، ونهبوا منزله ، ودوابّه ، وأخذوا غلمانه ، أما هو ففرّ (الطبري ٦١٣/٩) .

وأغرق أحد الملاّحين ببغداد ، امرأة نزلت في سفينته ، لينقلها من مشرعة إلى أخرى ، فطمع فيما عليها من حلي وثياب ، فأغرقها ، وآعترف بما صنع ، فأمر به المعتضد ، فأغرق ، راجع القصّة مفصّلة في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف حـ ٤ ص ١٢٥ رقم القصة ٥٩ .

وفي إلسنة ٣٣٣ فتح أبو يزيد الخارجي بافريقية مدينة سوسة فأحرقها أصحابه ، وقتلوا الرجال ، وسبوا النساء ، وشقّوا فروج النساء ، وبقروا البطون (ابن الأثير ٤٢٦/٨) .

وقبض الابزاعجي ، صاحب الشرطة ببغداد ، في عهد معزّ الدولة البويهي ، ملاحاً أقرّ بأنّه راود آمرأة نزلت في سميريّته ، لينقلها من مشرعة إلى أخرى ، عن نفسها ، فلما امتنعت عليه ، أغرق آبنتين لها ، كانتا معها ، ثم آستسلمت له ، فلما قضى حاجته منها ، أغرقها ، راجع القصّة مفصّلة في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي، تحقيق المؤلف ، ج ٣ ص ٢١٤ - ٢٢٠ رقم القصة ١٤٢ وقد بسط التنوخي في القصّة إقرار المجرم بجريمته ، والعقاب الذي عاقبه به صاحب الشرطة ، وكيفية التحقيق الذي كان يجريه صاحب الشرطة في آستجواب المتّهمين .

وفي السنة ٤٥٨ نشبت معركة بين محمد بن خزرون ، من ملوك الطوائف بالأندلس ، والمعتضد بن عباد ، صاحب إشبيلية ، فآستمات بن خزرون وأمر أحد غلمانه بقتل زوجته ، وأمر آخر بقتل أخته ، فقتلتا ، ثم استقتل ، وتقدّم فقاتل حتى قتل . (الاعلام ٣٤٦/٦) .

وفي السنة ٥٣٦ انهزم السلطان سنجر ، من الترك الكفّار ، وسبب ذلك أنّ سنجر كان قد حارب خوارزم شاه ، وأسر أحد أولاده ، فقتله ، فراسل خوارزم شاه الخطا ، وهم بما وراء النهر ، وحثّهم على قصد مملكة السلطان سنجر ، فالتقوا بما وراء النهر ، واقتتلوا أشد قتّال ، وانهزم سنجر ، وقتل من أتباعه مائة ألف قتيل ، منهم أحد عشر ألفاً كلّهم صاحب عمامة ، وأربعة آلاف امرأة ، وأسرت زوجة السلطان سنجر . (ابن الاثير ٨١/١١) .

وفي السنة ٥٥٥ لما توفي المقتفي ، وخلف ولده المستنجد ، اتهم المستنجد أخاه أبا علي وأمّه ، بالسعي في قتله ،وإنّهما آستعانا بالجواري ، فأمر بالجواري ، فقتل بعضهنّ ، وغرّق البعض الآخر . (ابن الأثير ٢٥٧/١١) .

وكان قتل النساء وسبيهنّ ، من الأمور المتعارفة الإعتيادية في القرن السادس ، بحيث إنّ الأمر إذا جرى على ما يخالف ذلك ، كان يسجّل ، فإنّ الأمير المؤيّد أي أبه ، لما فتح مدينة شارستان في السنة ٥٥٦ ، ذكر ابن الاثير (ج ١١ ص ٢٧٨)أنّ عسكره نهب المدينة « إلّا أنّهم لم يقتلوا آمرأة ولا سبوها » ، ونزل أمراء المدينة بالأمان ، ولكنّ أحدهم واسمه خواجكي ، حوكم بتهمة قتله زوجته ظلماً ، وأخذ مالها ، فثبتت عليه التهمة ، وقتل .

وفي السنة ٥٦٨ توفّي خوارزم شاه أرسلان بن أتسز ، وخلفه ولده سلطان شاه محمود ، فأنف أخوه الأكبر علاء الدين تكش ، من سلطنة أخيه الأصغر ، وآستعان بملك الخطا ، ونشبت بين الأخوين معركة ، كان النصر فيها

لتكش ، وفرّ سلطان شاه ، وظفر تكش بأم سلطان شاه فقتلها . (ابن الاثير ١١/٣٧٧ و٣٧٨) .

وفي السنة ٦٣٣ اختلف أهل إصبهان ، الشافعية والحنفية ، وجرت بينهم حروب متصّلة ، فخرج قوم من الشافعية ، إلى التتار ، وطلبوا منهم أن يقصدوا إصبهان لتسلّمها منهم ، على أن يعينوهم في قتل الحنفية ، فقصدوا البلد، وفتح الشافعية لهم أبوابها ، فلما دخلوها بدأوا بالشافعية فقتلوهم قتلاً ذريعاً ، ثم ثنّوا بالحنفية ، وثلثّوا بسائر الناس ، وسبوا النساء ، وشقوا بطون الحبالى ، ونهبوا الأموال ، ثم أضرموا النار في إصبهان ، فأصبحت تلالاً من الرماد (شرح نهج البلاغة ٨/٢٣٧ و٢٣٨) .

وفي السنة ٦٥٤ هلك أتدخان ، أحد ملوك التتار ، فاتّهمت امرأته بأنّها سحرته ، وقتلت (مجلة لغة العرب البغدادية ج ١٠ سنة ٧) .

وفي السنة ٦٥٥ قتلت ملكة مصر ، عصمة الدين ، ملكة المسلمين ، والدة الملك المنصور خليل أمير المؤمنين ، شجرة الدر ، بالقاهرة ، ضرباً بالقباقيب ، لأنّها اتّهمت بأنّها قتلت زوجها عزّ الدين ايبك خنقاً في الحمّام . (الاعلام ٣/٢٣١).

أقول : شجرة الدرّ أمّ خليل ، جارية الملك الصالح ، جارية تركية ، ذات شهامة ، وإقدام ، وجرأة ، وذكاء ، وعقل ، ودهاء ، بارعة الحسن ، وكان الملك الصالح مغرماً بها ، فلما مات في أشدّ الأوقات حراجة ، وجيشه مقابل جيش الإفرنج في مصر ، أخفت شجرة الدرّ خبر موته ، وأخذت تعلّم بخطّها مثل علامته ، ونالت من السعادة أعلى الرتب ، بحيث أنّها خطب لها على المنابر ، وملّكوها عليهم أيّاماً ، ثم بلغها اعتراض الخلافة ببغداد على تمليك امرأة ، فاختارت عزّ الدين أيبك ، وسلطنته ، وتزوّج بها ، وكان الأمر إليها ، ثم بلغها إنّه خطب ابنة صاحب الموصل ، فعظم ذلك عليها ، وعزمت

على الفتك به ، وجاء أيبك تعبان من ملعب الكرة ، ودخل الحمّام، فأمرت خدمها ، فاقتحموا عليه الحمّام وقتلوه خنقاً وهو عريان، وتسلطن ولده علي من بعده وهو ابن ١٥ سنة ، وكان أوّل ما صنعه أن أمر خدمه بقتل شجرة الدر ، فقتلت ، وألقيت مسلوبة تحت قلعة مصر ، دفنت في تربتها (شذرات الذهب ٥/٢٦٧-٢٦٨) .

وفي السنة ٦٥٨ حصر هولاكو قلعة حارم ، وطلب تسليمها إليه ، ولهم الأمان ، فلم يطمئن أهلها إلى أمانه ، وطلبوا رجلاً مسلماً يحلف لهم بالطلاق والمصحف على أن لا يدنو لأحد منهم بسوء ، واختاروا فخر الدين الوالي بقلعة حلب ، فأحضره ، وحلف لهم على ما أرادوا ، ففتحوا الأبواب واستسلموا ، وعندئذٍ أمر هولاكو بقتل الوالي فخر الدين ، ثم قتل جميع من في القلعة من الرجال والنساء حتى الأطفال الذين في المهد (اعلام النبلاء ٢/٢٨٧) .

وفي السنة ٦٦١ استولى على حكم فارس سلجوق شاه بن سلفرشاه بن سعد بن زنكي ، فقتل تركان خاتون أمّ عمّه السلطان محمد بن سعد وزوجة جدّه السلطان سعد بن زنكي (معجم انساب الأسر الحاكمة ٣٥٠) .

أقول : لم يمتد حكم سلجوق هذا ، إذ قتله المغول في السنة ٦٦٣ .

وفي السنة ٧٣٠ وقعت فتنة بين أمير مكّة الشريف عطيفة وبين آيدمور أمير جندار الناصري ، أمير الحاج المصري ، وسبب ذلك إنّ تجّاراً من اليمن سرقت منهم أموال ، فشكوا ذلك إلى الأمير آيدمور ، فقال آيدمور لمبارك بن الأمير عطيفة : أحضر لي هؤلاء السرّاق ، فقال له : لا أعرفهم ، فكيف آتي بهم ، ثم إنَّ أهل اليمن تحت حكمنا، ولا حكم لك عليهم ، فإن سرق لأهل الشام ومصر شيء فاطلبني به ، فشتمه آيدمور ، وضربه على صدره ، فسقطت عمامته عن رأسه ، وغضب له عبيده، فقتلوا آيدمور وقتلوا معه ولده ، واشتبك

رجال امير مكّة ، مع الجند المصريين ، وقتلت امـ ـأة بالنّشاب، قالوا إنّها كانت تحرّض أهل مكة على القتال (مهذّب رحلة ابن بطوطة ١/١٨٥) .

ولما توفّي السلطان أبو سعيد في السنة ٧٣٧ اتّهمت زوجته بغداد خاتون، بأنّها دسّت له السمّ في منديل ، فهجم عليها الخواجة لؤلؤ الرومي ، وهي في الحمّام ، فضربها بدبوسه وقتلها ، وطرحت مستورة العورة بقطعة تليس (تاريخ العراق للعزاوي ١/٤٩٣) .

وفي السنة ٨٤٥ هلك الأشرف اسماعيل بن الأفضل يحيى ملك اليمن ، وكان ظالماً قتل إخوته وأقاربه ، وقتل عمّته أخت أبيه ، وقتل بيده امرأة أخرى لاتّهامه إيّاها بمصاحبتها ، وقطع يد امرأة أخرى تضرب بالرمل ، كلّ ذلك لتخوفه أنّهم يسعون في تمليك غيره (الضوء اللامع ٢/٣٠٨) .

وفي السنة ٨٧٣ كان حسن بيك يحاصر بغداد ، فكتبت إليه امرأة جهان شاه بيكم خاتون ، من قلعة النجق ، تحثّه على المجيء إلى تبريز لتسلّمه القلعة والخزائن ، فرحل عن بغداد ، قاصداً تبريز ، وقبل وصوله ، قصد حسن علي بن جهان شاه قلعة النجق ، وحصر زوجة أبيه ، وقال للموكّلين بالقلعة : أنا حسن علي بن جهان شاه ، جلست على التخت ، وملكت الدنيا وما فيها ، وأنتم تعصون عليّ لأجل امرأة ، فخافوا منه ، وفتحوا له أبواب القلعة ، فاستولى عليها ، وأخذ زوجة أبيه (أمّ بيربوداق) إلى تبريز ، وصلبها من ثدييها حتى ماتت ، وقصد حسن بيك ، حسن علي بن جهان شاه ، واشتبك معه في معركة حامية ، فانفلّ عسكر حسن علي ، وفرّ هو إلى باكو ، ثم إلى جبال ألوند بهمذان، حيث اعتقله هناك ثلاثة من أتباع حسن بيك ، وكان حسن علي يدرك ما له عند حسن بيك، فأزمع أن ينتحر ، وطلب منهم موسى ليحلق عانته ، فذبح بالموسى نفسه ، وعندئذٍ قطعوا رأسه ، وقطعوا ذكره وحطّوه في فمه ، وجاءوا برأسه إلى حسن بيك ، وقطعوا جسده أربع قطع ،

وعلّقوها على أبواب همذان على كلّ باب قطعة (تاريخ الغياثي ٣٨٠-٣٨١) .

وفي السنة ٨٩٥ مات بالسمّ السلطان يعقوب بن السلطان حسن الطويل ، وأخوه أبو يوسف ، وأمّهما سلجوق بيكم (تاريخ العراق للعزاوي ٢٧٥/٣) .

وفي السنة ٩٠٢ قُتل القاضي شمس الدين بن المزلق ، قتلته سريتاه بتحريض من الدوادار وأمير آخور ، واستادار الحاجب تمربغا ، فأمسكوا الجميع وخوزقوا، خلا الجارية الصغرى ، فإنّها غرّقت ، لأنّها كانت حبلى (قضاة دمشق ١٨٢) .

وفي السنة ٩٢٥ اتّهمت صبيّة مصريّة ، بأنّها كانت مع نصراني ، فأمر بها ملك الأمراء بمصر ، نائب السلطان العثماني ، فعرّيت من أثوابها ، وكتّفت ، وربطت من رجليها إلى ذنب إكديش ، وسحبت على وجهها ، فماتت في الطريق . (بدائع الزهور ٥/٢٩٠) .

وفي السنة ١٠٩٨ كان والي حماة ، إذا غضب على رجل أمر به فأعدم بإقعاده على الخازوق ، وإذا غضب على امرأة، وضعها في كيس مع شيء من الكلس ، وألقاها في نهر العاصي (خطط الشام ٢/٢٧٧) .

ومما يؤثر عن جان بولاد ، أمير لواء أكراد حلب ، إنّه غضب على زوجته، أم ولده حسين باشا فقتلها (اعلام النبلاء ٦/٨٨) .

وفي السنة ١٢١٦ أي بعد خروج الإفرنسيين من مصر ، أحضرت إبنة الشيخ البكري ، وكانت قد خالطت الإفرنسيين ، فكسرت رقبتها . (الجبرتي ٢/٤٨٦) .

وممن حاز قصب السبق في هذا المورد الذميم ، مخلوق اسمه المير مهنا ، حاكم بندر ريق ، وهي بليدة تقع شمالي مدينة بو شهر ، على الساحل

الشرقي لخليج البصرة ، فإنَّ هـذا المير مهنـا ، بدأ جـرائمه في السنـة ١١٦٨ (١٧٥٤ م) باعتقال أبيه المير نـاصر ، حـاكم البليدة، وأمـر به فقتـل بمحضر منه ، ثم قتل من بعـد ذلك أخـاه وستّة عشـر شخصاً من أفـراد عائلتـه ، ولما عنّفته أمّه على جرائمه ، أمر بها ، فقتلت ، وأغـرق أختين له ، لأنَّ أميـراً من جيرانه خطب إحداهنّ للزواج بهـا ، وكان يئـد (يدفن بـالحياة) كـافة البنـات اللاتي يولدن له ، أمـا ما كـان يمارسـه في رعيته من أسـاليب العذاب بجـدع الأنوف وصلم الآذان ، فلا يحصى لكثرته (رحلة نيبور ٢/١٤٦ـ ١٤٩) .

وفي السنـة ١٢٠١ نـودي بـالقـاهـرة على النسـاء بمنـع خـروجهن إلى الأسواق ، وسبب ذلك وقائعهنّ مع العسكر ، منها إنّهم وجدوا في بيت يوسف بـك سكن حمّامجي اوغلي نحـو سبعين امرأة مقتـولة ومـدفونـة بالإصـطبلات (الجبرتي ٢/٢٠) .

ولما اشتعلت نيران الثورة الفرنسية في السنة ١٢٠٤ (١٧٨٩ م) وأقيمت المقصـلات ، ونشطت حـركة الإعـدام كان الجـلّاد يلقي بجثث الضحايـا في أوضاع يثير بها ضحك المتفـرّجين ، وكان (كـاريه) يحمـل ضحايـاه على أن يحفروا قبورهم بأيديهم ، ليـدفنهم فيها أحيـاء ، أمّا النسـاء والأطفال ، فكـان يأمر بإغراقهم (قصة الأضطهاد الديني ٢٦ـ ٢٧) .

وفي السنـــة ١٢١٣ قبض الإفـرنسيــون على خمسـة أنفــار من اليهـود وامرأتين، فألقوا الجميع في بحر النيل (الجبرتي ٢/٢٤٦) .

وفي السنة ١٢١٧ مر أربعـة أنفار من العسكـر ، وأخذوا غـلاماً لـرجل حلّاق بخطّ بين السورين عند القنطرة الجديدة بـالقاهـرة ، فعارضهم الأسـطى الحلّاق في أخذ الغلام ، فضربوا الحلّاق وقتلوه ، ثم ذهبوا بالغلام إلى دارهم بالخطة ، فقامت في الناس كرشة وضجّة ، وحضر أغات التبديـل ، فطلبهم ، فكرنكوا بالدار ، وضربوا عليه بالبنـادق من الطيقـان ، وقتلوا من أتباعـه ثمانيـة

أنفار ، ولم يزالوا على ذلك إلى ثاني يوم ، فركب الباشا في التبديل ، ومرّ من هناك ، وأمر بالقبض عليهم ، فنقضوا عليهم من خلف الدار ، وقبضوا عليهم بعدما قتلوا وجرحوا آخرين ، فشنقوهم ، ووجدوا بالدار مكاناً خرباً أخرجوا منه زيادة عن ستّين امرأة مقتولة وفيهنّ من وجدوها وطفلها مذبوح معها في حضنها (الجبرتي ٢/٥٥٥) .

وفي السنة ١٢١٩ عند الاحتفال في القاهرة بكسر الخليج ، حضر الباشا (الوالي) والقاضي ، ومحمد علي باشا وجميع العسكر ، وضرب الجميع بنادقهم ، ومات في ذلك اليوم عدّة اشخاص نساء ورجالاً ، أصيبوا من البنادق ، ومما وقع إنّ احدهم نظر إلى أعلى بيوت الخليج ، فرأى امرأة جالسة في الطاقة ، فضربها برصاصة أصابتها في دماغها ، وماتت من ساعتها (الجبرتي ٣/٢٧) .

وفي السنة ١٢٢٣ أحسّ الإنكشارية بأنّ السلطان محمود العثماني ، يرغب في الحدّ من سلطانهم يعاونه في ذلك وزيره مصطفى باشا البيرقدار ، فحصروا مصطفى باشا في قصره ، وأحرقوه هو وزوجته ، وجميع من في القصر (أعيان القرن الثالث عشر ١٠٢) .

وفي السنة ١٢٢٥ قتل شخص من الأجناد الألفية ، قطعوا رأسه بباب الخرق ، بسبب أنّه قتل زوجته من غير جرم يوجب قتلها (الجبرتي ٣/٣١٤) .

الفصل السادس

الخوارج والمرأة

للخوارج الذين خرجوا بالعراق، تاريخ مظلم في الإعتداء على النساء والأطفال ، فبقروا بطون النساء ، وقتلوهنّ بالسيوف ، وألقوا الأطفال في القدور وهي تفور .

وكان أوّل ما ظهر منهم ، أنّهم لاقوا عبدالله بن خباب ، صاحب رسول الله صلوات الله عليه ، ومعه امرأته وهي حبلى قد أركبها على حمار ، وهو يسوقه ، فلما عرفوه ، سألوه عن الخلفاء الراشدين فأثنى عليهم جميعاً ، فأضجعوه وذبحوه ، ثم أخذوا امرأته فبقروا بطنها ، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء ، وقتلوا أمّ سنان الصيداوية، فلما بلغ الإمام علي ذلك ، سار إليهم ، وبعث إليهم برسول يطلب منهم تسليم القتلة لكي يعاقبهم على جرائمهم فقالوا : كلّنا قتلتهم ، وكلّنا نستحلّ دماءكم ودماءهم ، (الطبري ٧٢/٥-٩٢).

وفي أيّام عبيدالله بن زياد ، خرج رجل وامرأة اسمها جزعة ، ومعهما سيفان فحكّما في مسجد البصرة ،وأخذ الرجل نحو رحبة بني تميم ، وأخذت المرأة نحو بني سليم ، فلما رآها قد بعدت عنه ، ناداها : يا جزعة أقربي منّي ، فقالت : إنَّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فقتلا . (أنساب الأشراف ٤/ ٢/ ٩٣).

وقاتل مع عبدالله بن الزبير ، لما عاذ بالكعبة ، أربعون امرأة ، فقتلت منهنّ امرأة يقال لها الشعثاء ، فقال رجل من أهل الشام : (أنساب الاشراف ١٨٩/٥).

كانت لشعثا في القتال بصيرة ... بل كان بغية أهلها بالأردن

ومن جملة النساء الخوارج ، امرأة اسمها سلمى ، كانت تقاتل مع ابن الزبير ، قال فيها أحد الشاميّين : (أنساب الأشراف ٤/ ٢/ ٥٠).

إنّي لم أنس إلاّ ريث أذكره ... أيّام تطردنا سلمى وتنضينا

ولما استولى أبو حمزة الخارجي ، المختار بن عوف ، على مكّة والمدينة ، حشد له الأمويّون، وقاتلوه ، فقتل في معركة بأسفل مكّة ، وقتلت معه امرأته، وهي تقول :

أنا ابنة الشيخ الكريم الأعلم ... من سال عن إسمي فإسمي مريم
بعتُ سواريّ بسيف مخذم

وفي السنة ٦٨ بارح الأزارقة ، وعليهم الزبير بن الماحوز ، فارس، إلى العراق ، ودخلوا المدائن، فقتلوا أمّ ولد لربيعة بن ماجد ، وقتلوا بنانة ابنة أبي يزيد بن عاصم الأزدي ، وكانت من أجمل الناس ، قرأت القرآن ، فلما غشوها بالسيوف ، قالت : ويحكم ، هل سمعتم أنّ الرجال كانوا يقتلون النساء ؟ ويحكم تقتلون من لا يبسط إليكم يداً ، ولا يريد بكم ضرّاً ، أتقتلون من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين ؟ فقتلوها، فصاحت ربطة بنت يزيد : سبحان الله ، تقتلون النساء والصبيان ومن لم يذنب إليكم ذنباً؟ ثم انصرفت وهي تحمل طفلة في يدها ، فهجموا عليها وضربوها والطفلة بالسيف . (الطبري ١٢١/٦).

وفي السنة ٦٨ لما دخل الأزارقة المدائن ، أخذوا رجلاً اسمه سماك بن يزيد واخذوا معه ابنته ، وقدّموها ليقتلوها، فصاحت بهم : أهل الإسلام ، إنّ

أبي مصاب فلا تقتلوه ، وإنّما أنا جارية ، والله ما أتيت فاحشة قط ولا آذيت جارة لي ، ولا تشرفت، ولا تطلّعت، فلما قُدّمت لتقتل، أخذت تصيح : ما ذنبي ، ما ذنبي ، فقطعوها بأسيافهم . (الطبري ٦/١٢٤) .

وسبق لنا أن أوردنا في الفصل الثاني من هذا الباب ، تحت عنوان ، « قتل المرأة بالسيف » ما صنعه أحد الخوارج من عبد القيس ، وهو أبو الحديد الشني العبدي ، لما ظفر الأزارقة ، بجيش البصرة ، في معركة بداربجرد وسبوا أمّ حفص بنت المنذر بن الجارود العبدي ، زوجة عبد العزيز بن عبدالله ، قائد جيش البصرة ، فإنّ الأزارقة أقاموا أمّ حفص ، في السوق ، حاسرة ، بادية المحاسن ، وكانت من اكمل الناس حسناً وكمالاً ، فتزايد فيها الناس حتى بلغت تسعين ألفاً (على قول صاحب العقد الفريد ، ومائة ألف على قول الطبري وابن الأثير) فأقبل ابو الحديد أحد رؤساء الخوارج من خلفها بالسيف ، وضرب عنقها ، فرفعوه إلى رأسهم قطري بن الفجاءة ، وقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنّ هذا استهلك تسعين الفاً من بيت المال ، وقتل أمة من إماء المؤمنين ، فقال له : ما تقول ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، رأيتهم تنازعوا عليها ، حتى ارتفعت الأصوات ، واحمّرت الحدق ، ولم يبق إلاّ الخبط بالسيوف ، فرأيت أن تسعين ألفاً هيّنة في جنب ما خشيت من الفتنة بين المسلمين ، فقال قطري : خلّوا عنه ، عين من عيون الله أصابتها ، قالوا : فأقد منها ، قال : لا أقيد من وزعة الله ، ثم قدم هذا العبدي بعد ذلك البصرة ، واتى آل المنذر ، فقالوا له : والله ، ما ندري انحمدك أم نذمّك ، فقال : ما فعلته إلاّ غيرة وحميّة ، وذكر صاحب العقد الفريد إنّهم وصلوه (الطبري ٦/١٦٩)والعقد الفريد ٣/٤١٤ـ ٤١٥) .

وخرج شبيب الخارجي ، بالموصل ، فبعث إليه الحجّاج خمسة قوّاد ، فقتلهم واحداً بعد واحد ، ثم خرج من الموصل يريد الكوفة ، وتحصّن الحجّاج منه في دار الإمارة بالكوفة ، ودخل إليها شبيب ، ومعه أمّه جهيزة ،

وزوجته غزالة ، وكانت غزالة من الشجاعة والفروسية ، بالموضع العظيم ، وكانت تقاتل في الحروب بنفسها ، وكان الحجّاج ، هرب في بعض الوقائع من غزالة ، فقال فيه الشاعر :

أسد عليّ وفي الحروب نعامة　　فتخاء تفزع من صفير الصافر
هلّا برزت إلى غزالة في الوغى　　بل كان قلبك في جناحي طائر

وكانت جهيزة أم شبيب شجاعة ، أيضاً تشهد الحروب ، واستعان الحجّاج بجنود الشام ، وفي إحدى المعارك قتلت غزالة ، وقتلت جهيزة ، ونجا شبيب في فوارس من أصحابه إلى الأهواز ، فغرق هناك سنة ٧٧ (وفيات الأعيان ٢/٤٥٥) .

وذكر الطبري في أخبار السنة ٧٧ ، أنّ غزالة زوجة شبيب ، قتلت في المعركة ، قتلها فروة بن الدفان الكلبي ، ومرّ برأسها إلى الحجّاج ، فرآه شبيب ، فأمر علوان ، فشدّ على فروة فقتله ، وجاء بالرأس ، فأمر به شبيب ، فغسل ، ودفن (الطبري ٦/٢٧١) .

أقول : كانت غزالة امرأة شبيب ، قد نذرت أن تصلّي في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما سورتي البقرة وآل عمران ، فأخذها زوجها شبيب إلى الكوفة ، وكان الحجّاج فيها ، فلما سمع الحجّاج بقدومه ، تحصّن في القصر ، وأغلق عليه الباب ، فجاء شبيب فوقف على باب القصر ، وضرب الباب بعمود في يده ، وصاح بالحجّاج : أخرج الينا يا ابن أبي رغال ، وذهبت غزالة إلى المسجد حيث وفت بنذرها .

وقول شبيب للحجّاج : يا ابن أبي رغال . كلمة شتيمة ، لأنّ أبا رغال الثقفي جدّ الحجّاج ، كان دليل الحبشة لما غزو الكعبة ، وهلك فيمن هلك منهم ، فدفن بين مكّة والطائف ، ومرّ النبي صلوات الله عليه بقبره ، فأمر

برجمه ، فرجم ، وأصبح رجمه سنّة (الأغاني ٤/٣٠٣- ١٨/١١٦ واليعقوبي ٤/٢٧٤ والطبري ٦/٢٧١- ٢٧٥) .

وفي السنة ٧٧ توجّه قطري الخارجي ، يريد طبرستان ، فوجّه له الحجّاج جيشاً بقيادة سفيان بن الأبرد ، فلحقوا بقطري في طبرستان، وقتلوه ، وذكر معاوية بن محصن الكندي إنّه وجد في عسكر قطري خمس عشرة امرأة عربيّة ، على جانب عظيم من الجمال وحسن الهيئة ، ومعهنّ عجوز ، فلما دنا منهنّ انتحت له العجوز بسيف مسلول، فضربته به على عنقه ، فقطعت المغفر ، وقطعت جلدة من حلقه ، فسلّ سيفه وضربها به فأطار قحف رأسها ، وأخذ الفتيات إلى سفيان بن الأبرد ، فقال له سفيان : ما أردت إلى قتل العجوز أخزاها الله ، فاعتذر إليه بأنّها أرادت أن تقتله، فاضطرّ لقتلها (الطبري ٦/٣٠٩).

وفي إحدى المعارك بين المهلّب والخوارج ، قرب اصطخر ، حمل يزيد بن المهلّب على الخوارج ، وتصدّى له منهم فارسان ، فقال يزيد لقيس الخشني ، وهو من كماة اصحابه : من لهذين ؟ قال : أنا ، وحمل عليهم ، فطعن أوّلهما فصرعه ، وحمل عليه الآخر ، فتعانقا ، وسقطا جميعاً إلى الأرض ، فصاح قيس الخشني : اقتلونا جميعاً، فحملت خيل هؤلاء ، وخيل هؤلاء، فحجزوا بينهما ، فإذا معانق قيس امرأة ، فقام قيس مستحيياً ، فقال له يزيد : يا أبا بشر ، إنّك بارزتها على أنّها رجل ، فقال : أرأيت لو قتلت ، أما كان يقال : قتلته امرأة (شرح نهج البلاغة ٤/٢٠٠) .

ومن النساء المحاربات ، من نساء الخوارج ، أمّ حكيم ، كانت من أشجع الناس ، وأجملهم وجهاً ، وكانت تحارب مع قطري بن الفجاءة (ت ٧٨)، وكانت تدخل المعارك وهي ترتجز :

أحمل رأساً قد سئمت حمله وقد مللت دهنه وغسله
ألا فتى يحمل عنّي ثقله

وخطبها جماعة من أشراف الخوارج ، فردّتهم، وقالت : (الأغاني ٦/ ١٥٠ وشرح مقامات الحريري ١/ ٩١ـ ٩٢).

ألا أنّ وجهاً حسّن الله خلقه لأجدر أن يلفى به الحسن جامعاً
وأكرم هذا الجرم عن أن يناله تورّك فحل همّه أن يجامعا

أقول : لم تكن الفروسية مقصورة على نساء الخوارج ، وإنّما هي فيهن أظهر ، وقد كان في نساء الصليبيّين محاربات ، وذكر ابن الأثير في تاريخه الكامل ١٢/ ٣٩ أنّه في السنة ٥٨٥ وقعت معركة عظيمة بين صلاح الدين الأيّوبي والصليبيّين على عكّار، فانتصر صلاح الدين ، وقتل من الصليبيّين نحو عشرة آلاف ، أكثرهم من فرسان الإفرنج ، وكان من جملة الأسرى ثلاث نسوة إفرنجيّات ، كنّ يقاتلن فارسات على الخيل ، فلما أسرن ، وألقي عنهنّ السلاح ، تبيّن أنّهنّ نساء ، وذكر أيضاً أنّ السلطان صلاح الدين حصر قلعة برزية ، ونصب حولها المجانيق ، ونصب أهل القلعة منجنيقاً أبطل مجانيق المسلمين ، وذكر ابن الأثير (١٢/ ١٥) إنّه كان حاضراً الحصار ، وإنّه أبصر بعينه امرأة من الإفرنج ترمي بمنجنيق القلعة ، وهي التي ابطلت مجانيق المسلمين .

وأحضرت أمام الحجّاج ، أمرأة من الخوارج ، فجعل يكلّمها وهي لا تنظر إليه ، فقيل لها : الأمير يكلمك ، وأنت لا تنظرين إليه ، قالت : أني لأستحي أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه ، فأمر بها ، فقتلت . (العقد الفريد ٤/ ٢٦) .

وأتي عتاب بن ورقاء (ت ٧٧) بخوارج فيهم امرأة ، فقال لها : أي عدوّة الله ، ما دعاك إلى الخروج ؟ أما سمعتِ قول الله عزّ وجلّ :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جرّ الذيول

فقـالت : يا عدوّ الله ، إنّما أخـرجني حسن معرفتـك بكتـاب الله تعـالى (البصائر والذخائر ١/١٤٤) .

وخرج في أيّام هشام ، خوارج بنـاحية البصـرة ، فقتلوا ، وأسرت معهم امـرأة ، فأحضـرت أمام عـامـل البصـرة ، فقـالت لـه : يـا حسن الـوجـه أنّي خـدعت ، فبعث بها العامل إلى يـوسف بن عمـر الثقفي ، فقتلهـا . (العيـون والحدائق ٣/١٠٩) .

وفي امرة الوليد بن رفاعة ، على مصر ، لهشـام بن عبد الملك ، خـرج بمصرفي السنة ١١٧ وهيب اليحصبي شارياً ، فـأخذ ، وقتـل ، فكانت آمـرأته تطوف بالليـل على منازل القـرّاء تحرّضهم على الـطلب بدم زوجهـا ، وكانت آمرأة جزلة محلوقة الرأس . (الـولاة للكندي ٧٧ و٧٨) .

وكـان نساء الخـوارج يحار بـن مـع الرجـال في المعـارك ، ولمـا دخـل الضحّـاك بن قيس الكوفـة في السنة ١٢٧ ، وحـاربه أميرها في أهـل الشـام ، أصابوا من جنـد الضحّاك أربعـة عشر فـارساً وثـلاث عشرة امـرأة . (الطبـري ٧/٣١٨) .

وفي السنـة ١٢٧ وقعت معـركـة بين منصـور بن جمهـور ، أحـد قـوّاد الشام ، بالكوفة ، وبين جمـاعة الضحـاك بن قيس الخارج بـالكوفـة ، فأقبلت امـرأة من الخـوارج ، شـادّة ، حتى أخـذت بلجـام منصـور بن جمهـور ، فقالت : يا فاسق ، أجب أمير المؤمنين ـ تريد به الضحاك ـ فضرب عنان دابته بـالسيف فقطعـه في يدهـا ، ونجا ، ثم إنّ منصـور لحق بالضحّـاك وبـايعـه ، وقـال : مَنِ الفـارس الـذي أخـذ بعنـاني يـوم الـزاب ؟ فنـادوا : يـا أمّ العنبر ، فخرجت إليهم ، فإذا هي أجمل النـاس ، فقالت لـه : أنت منصور ؟ قال : نعم ، قالت : قبحّ الله سيفك ، أين مـا تذكـر منه ، فـوالله ، ما صنـع شيئاً ولا ترك ، تعني أنـه لم يقتلها يـوم أخذت بعنـانه فـدخلت الجنة ، فقـال

منصور للضّحاك : يا أمير المؤمنين ، زوّجنيها ، فقال : إنّ لها زوجاً ، وكانت تحت عبيدة بن سوّار العنبري . (الطبري ٧/٣٢٢ و٣٢٣) .

ولما خرج الوليد بن طريف الشيباني ، بالموصل ، بعث إليه الرشيد جيشاً أميره يزيد بن مزيد الشيباني ، فقاتله ، فقتله يزيد ، فلبست الفارعة ، أخت الوليد ، عدّة الحرب ، وحملت على جيش يزيد ، فقال يزيد : لا يعرض لها أحد ، ثم خرج إليها ، فضرب بالرمح فرسها ، وصاح بها ، أغربي ، غرب الله عينك ، فقد فضحت العشيرة ، فآستحيت وآنصرفت ، راجع تفصيل القصّة في ترجمة الوليد بن طريف في وفيات الأعيان ٦/٣١ - ٣٤ وراجع فيها رثاء الفارعة لأخيها ، مقطوعة من عيون الشعر ، مطلعها :

بتلّ نهاكى رسم قبر كأنّه   على جبل فوق الجبال منيف
تضمّن مجداً عدملياً وسؤدداً   وهمّة مقدامٍ ورأى حصيف
فيا شجر الخابور مالك مورقاً   كأنّك لم تجزع على ابن طريف

الفصل السابع

تعذيب المرأة بالنار

في السنة ٤٠٥ منع الحاكم الفاطمي النساء من الخروج من دورهن ، فاتّفق أنّ القاضي بمصر ، مرّ على دار امرأة ، فبكت أمامه وذكرت له أنّ لها أخاً في السياق ، وأنّها تريد أن تراه قبل موته ، فأمر بعض رجّالته أن يمضي معها إلى دار أخيها ، ثم تبيّن أنّ تلك المرأة إنّما ذهبت إلى دار عشيقها ، وجاء الزوج إلى القاضي ، فقال له : ما أعرف زوجتي إلاّ منك ، فركب القاضي إلى الحاكم ، وقصّ عليه القصّة ، وبكى أمامه ، فأمر الحاكم بإحضار المرأة والرجل ، فمضى الأعوان إليهما بغتة ، فوجدوهما نائمين متعانقين لا يعقلان من السكر ، فحملوهما إلى الحاكم فأمر بالمرأة فلفّت في بارية ، وأحرقت ، وضرب الرجل بالسياط ضرباً مبرحاً . (أخبار القضاة ٦٠٦ و٦٠٧) .

وفي السنة ٥٣٠ قبض على ابن كسبرة اليهودي ، وكبس بيته ، ووكّل به ، وأخرج ليلاً وقت ضرب الطبل (وقت الصلاة) ونصب له خشبة في الرحبة (رحبة جامع القصر) ، وأخذت معه امرأة مسلمة كان يتّهم بها ، وكانت مستحسنة ، فجيء بحلّة من قصب ، وجعلت المرأة فيها وضربها النّفاط بالنار ، فآحترقت الحلّة ، وخرجت المرأة هاربة عريانة فعفي عنها ، وقد نالها بعض الحريق، وقدّم هو ليقتل، فأسلم، فأمنوه. (المنتظم ١٠/٥٨) .

وفي السنة ٥٤٣ قصد سوري بن الحسين ، ملك الغور ، مدينة غـزنة ، فملكها ، وطرد ملكها بهرام شاه عنها ، ثم كرّ عليها بهرام شاه ، فاستعادهـا ، وأسر سوري ، فأشهره راكباً على بقرة ، وقد سوّد وجهه ، ثم صلبه .

وبلغ علاء الدين الغـوري ، ما تّم على أخيـه ، فهاجم غـزنة في السنـة ٥٥٠ وملكهـا ، ونهبهـا ، وأخـذ من أعـان على أخيـه ، فـألقـاهم من رؤوس الجبال ، وأخذ نساءً كنّ تغنّين بشعر فيه هجو لأخيه ، فأدخلهنّ حمّاماً ، وسدّه عليهنّ ، حتى متن فيه . (ابن الأثير ١١/١٣٥ - ١٦٥) .

وفي السنة ٦٠٥ هلك سنجر شـاه ، صاحب جـزيرة بن عمـر ، على يد ولـده غازي ، وكـان سنجر شـاه هذا ، مخلوقـاً شريـراً ، يؤذي الجميـع حتى أولاده ، وكان قد حبس ولده غازي في دار ووكّل به فيهـا ، فاحتال حتى تسلّل منهـا إلى دار أبيـه ، وآختفى عنـد بعض سـراريـه ، ثم قتله ، فخلفـه ولـده محمـود ، فقتل أخـاه غازي ، ثم أخـذ جواري أبيـه ، فأحـرق وجوههنّ ، ثم غرّقهنّ ،قال ابن الاثير ١٢/ ٢٨٠ حدّثني صديق لنا إنّـه رأى بدجلة في مقـدار غلوة سهم ، سبع جوار مغـرقات ، منهنّ ثـلاث قد أحـرقت وجوههنّ بـالنار ، فلم أعلم سبب ذلك ، حتى حدثتني جارية آشتريتها بـالمـوصـل من جـواريه ، إنّ محموداً كان يأخذ الجارية فيجعل وجهها في النار ، فإذا آحترقت ألقاها في دجلة .

وفي السنـة ٦٤١ أنهى للخليفة ببغـداد ، أنّ أحد زعمـاء إربـل ، كـوى آمـرأة في فرجهـا ، فتقدّم بـاعتماد الشـرع في ذلـك ، فسـطرت فتيـا ، وأفتى الفقهاء بأن تقدّر على أنّها أمة في حالة الصحة ، وتقـوّم بعد حصـول العيب ، فقّدر العيب بقدر الثلث ، فأخذ من الزعيم ، وأمر الخليفة بحبسه (الحـوادث الجامعة ١٨٥) .

وفي السنـة ٦٨٣ انتصر السلطان أرغـون التتـاري ، على عمّـه السلطان

أحمد تكدار ، وقتله ، وأرسل إلى والدة السلطان أحمد ، وآسمها قتوخاتون ، فأحرق قصرها وهي فيه (سيرة الملك المنصور ٦٣) .

وفي السنة ٨٣٢ جهّز الملك الاشرف برسباي ، سلطان مصر والشام ، عسكراً من القاهرة لاستعادة مدينة الرها من عثمان قرايلك ، فلما وصل عسكر القاهرة إلى حلب آنضمّ إليهم نوّاب السلطان في الشام ، ومضوا بأجمعهم إلى الرها فحصروها ، وكان عثمان قرايلك قد غادرها بعد أن حصّنها وترك فيها ولده هابيل ، فحارب هابيل حرباً ضارية ، وقتل جماعة من جنود السلطان ، وعلّق رؤوسهم على قلعة الرها ، ثم إنّ عسكر السلطان استولى على الرها ، وآفتتحها عنوة ، فما ترك العسكر قبيحاً إلا أتوه ، ولا أمراً مستبشعاً إلا فعلوه ، وحاصروا القلعة ، فطلب من فيها الأمان ، فأمّنهم نائب الشام ونائب حلب ، فركنوا الى أمانهم ، ونزل إليهم الأمير هابيل بن عثمان قرايلوك ومعه تسعة من أعيان دولته ، فغدر الأمراء بهم وآعتقلوهم ، وهجم مماليك السلطان على من في القلعة ، ونهبوا جميع ما كان فيها ، وقتلوا الرجال ، وأسروا النساء والصبيان ، وألقوا فيها النار ، فأحرقوها بأجمعها ، ثم عادوا إلى المدينة ، وألقوا فيها النار ، وقتلوا من وجدوه فيها ، حتى جاوزوا الحدّ ، ثم أخذ المماليك النساء ، وفجروا بهنّ ، فكانت الواحدة منهنّ ، إذا قامت من تحت الواحد منهم ، مضت هي وطفلها إلى موضع كان فيه تبن ، فتختبيء فيه ، فآجتمع بذلك الموضع نحو الثمانين امرأة مع أطفالهنّ ، وقد زنوا بهنّ جميعاً ، فأضرم المماليك النار عليهنّ ، فآشتعل التبن ، وآحترقن جميعاً ، وأخذوا النساء الباقيات إلى حلب ، فمات في الطريق جماعات منهن عطشاً ، وبيعت منهنّ بجلب وغيرها عدّة ، وكانت هذه الكائنة من مصيبات الدهر (حوليات دمشقية ١٤٥ ـ ١٤٧) .

وحجّ أحمد باشا الجزار ، أمير عكّا ، في إحدى السنين ، فلما عاد بلغه أنّ بعض مماليكه قد آتّهموا بنساء من حرمه ، فأمر بنار فأجّجت ، وأمر

الخصيان ، فأحضروا نساءه ، فكان يقبض على الواحدة منهنّ ، ويطرحها في النار على وجهها ، ويدوس على ظهرها ، ويضغط على رأسها ، حتى يتّم شيّها في النار وتهلك ، فيحضر غيرها ، وهكذا قتل سبعاً وثلاثين امرأة ، ولم تنج غير فتاة في الثامنة من عمرها (خطط الشام ٣/٢١) .

وفي السنة ١٢٤٧ عذّب الملاّ علي الخصي ، ومحمد الليلاني ببغداد ، زوجة رضوان اغا ، بكيّها بالسيخ المحمي (تاريخ العراق للعزاوي ٧/١٣) .

الفصل الثامن

تعذيب المرأة بقطع الاطراف والتعرض للجوارح

ويشتمل هذا الفصل على ما يتعلّق بتعذيب المرأة ، بقطع أطرافها ، وسمل عينيها وقطع لسانها وجدع أنفها .

في السنة **١٢** في معركة اليمامة ، التي قتل فيها مسيلمة ، في حرب الرّدة ، قاتلت أمّ عمارة نسيبة بنت كعب بن عوف الأنصارية ، قتال الأبطال ، فقطعت يدها ، وجرحت ، وكانت يوم أحد قد خاضت المعمعة ، وأبلت بلاء حسناً ، وجرحت اثنى عشر جرحاً ، بين طعنة رمح ، وضربة سيف ، وثبتت مع رسول الله صلوات الله عليه حين تراجع الناس، وقاتلت أشدّ قتال ، وكان رسول الله صلوات الله عليه إذا تحدث عن يوم أحد ، يقول : ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً ، إلاّ رأيت أمّ عمارة تقاتل دوني . (الاعلام ٨/٣٣٤) .

ولما خلع توزون المتقي وسمله ، بايع المستكفي ، في السنة **٣٣٣** ، وكان المتوسّط في ذلك امرأة آسمها : حُسْن الشيرازيّة ، فلما استخلف المستكفي ، غيّرت حسن إسمها ، وسمّت نفسها : عَلَم ، وأصبحت قهرمانة المستكفي ، وآستولت على أمره كلّه ، وآنبسطت يدها فصارت تكبس منازل الناس وتستولي على أموالهم ، فلما خلع المستكفي من السنة **٣٣٤** ، أخذت علم القهرمانة ، **وسملت عيناها** ، **ثم قطع لسانها** . (تجارب الأمم ٢/٧٣ - ٧٥ و٨٦ و١٠٠) .

وفي السنة **٣٩١** كبس العيّارون دار أبي الحسن علي بن طاهر الكاتب ،

بدرب المقيّر من سويقة غالب ، وعلوه بالسيوف ليقتلوه ، فقامت جارية من دونه ، للمدافعة عنه ، وضربوا يدها ضربة أبانتها ، ثم ضربوه عدّة ضربات ، فاضت منها نفسه ، وأخذوا ماله ورحله . (تاريخ الصابي ٣٩٨/٨) .

وفي السنة ٥٩٨ صلب مملوك تركي من مماليك الخليفة على رأس درب الباهقي ، وسبب ذلك إنّه اجتمع مع مملوك آخر ، في دار يشربان خمراً ، فسكر أحدهما وعندهما مغنّية ، فراودها عن نفسها ، فغار منه الآخر ، فضربه بسكّين فقتله ، فتقدم بصلب القاتل ، وجدع أنف المغنية . (الجامع المختصر ٨٢) .

وفي السنة ٦٨٣ وجد في رمضان ، عند كاتب نصراني بالقاهرة ، امرأة مسلمة ، وجماعة وهم يشربون الخمر ، فأمر نائب السلطنة بالنصراني فأحرق ، أمّا المرأة فجدع بعض أنفها (تاريخ ابن الفرات ٧/٨) .

وفي السنة ٧٤٧ حدث في حلب أنّ بنتاً بكراً من آل التيزيني ، كرهت أن تزفّ إلى زوج عقد قرانه عليها ، يقال له : ابن المقصوص ، فلقّنت كلمة الكفر ، لينفسخ نكاحها قبل الدخول ، فقالتها وهي لا تعلم معناها ، فأحضرها نائب حلب بيدمر البدري ، بدار العدل بحلب ، وأمر بها فقطعت أذناها وشعرها وعلّق ذلك في عنقها ، وشقّ أنفها ، وطيف بها على دابّة بحلب وتيزين ، وهي من أجمل البنات ، فشقّ ذلك على الناس ، وعمل النساء عليها عزاءً في كلّ ناحية بحلب، حتى نساء اليهود ، وأنكرت القلوب قبح ذلك ، وما أفلح البدري بعدها فإنّ السلطان عزله بعد شهرين من أجل ما صنعه « في حقّ البنت » وسافر الى مصر معزولاً (تاريخ ابي الفدا ١٤٦/٤ و١٤٧) ولما وصل الى غزّة ، قتل هناك (اعلام النبلاء ٤١٩/٢ ـ ٤٢٢) .

وفي السنة ١٢٢٦ لما قام محمد علي باشا ، بقتل المماليك بالديار المصرية ، هجم العسكر على بيوت الأمراء المماليك ، ونهبوا ما فيها ، وسلبوا النساء والأطفال ، حتى إنّ بعضهم قبض على يد امرأة ليأخذ منها السوار ، ولم يتمكّن من نزعه بسرعة ، فقطع يد المرأة (الجبرتي ٣٢٢/٢) .

الفصل التاسع

ألوان أخرى من العذاب

لما ولي سليمان بن عبد الملك الخلافة ، طلب آل أبي عقيل رهط الحجاج ، فأخذهم رجالاً ونساءً ، وأسلمهم إلى يزيد بن المهلّب ، فعذّبهم ، وبعث ابن المهلب إلى البلقاء ، وبها خزائن الحّجاج وعياله ، فنقلهم وما معهم إليه ، وكان فيمن أتي به ، أخت لزوجة يزيد بن عبد الملك ، وهي أمّ الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي ، فعذّبها معهم ، فجاء إليه يزيد بن عبد الملك ، فشفع فيها ، فلم يشفعه ، فقال له : الذي قررتم عليها من المال أناأحمله ، فلم يقبل منه ، فقال لابن المهلّب : أما والله ، لئن وليت من الأمر شيئاً ، لأقطعن منك طابقاً ، فقال له يزيد : لئن كان ذلك ، لأرمينّك - والله - بمائة ألف سيف ، وحمل يزيد ما ألزمت تلك المرأة بأدائه ، ومقداره مائة ألف دينار ، وقيل أكثر من ذلك (ابن الاثير ٤/٥٧ و٥٨) .

وروى صاحب عذاب أبي جعفر المنصور ،إنه أحضر جارية صفراء ، ودعا لها بأنواع العذاب ، وكان يستنطقها عن أحوال النفس الزكيّة محمد بن عبد الله بن الحسن ، فأنكرت معرفتها بمكانه ، فدعا بالدهق ، وأمر به فوضع عليها ، فلما كادت نفسها أن تتلف ، أمر فأمسكوا عنها ، وتولّى بنفسه صبّ الماء البارد على وجهها حتى أفاقت (المحاسن والمساوىء ١/١١٤) .

وفي السنة ٣١٠ زوّجت أمّ موسى الهاشمية ، قهرمانة المقتدر ، إبنتها من أحد أحفاد المتوكلّ ، وأسرفت في الإحتفال بهذا الزواج ، فسعى عليها

أعداؤها بأنّها قد صاهرت هذا الأمير لكي ترشحه للخلافة ، فقبض المقتدر عليها وعلى أختها وأخيها ، وأسلموا ألى ثمل القهرمانة ، وكان قاسية القلب ، مسرفة في إنزال العذاب بمن يقع في يدها ، فآستخرجت ثمل من أمّ موسى وأختها وأخيها أموالاً عظيمة بلغت نحو ألف ألف دينار ، حتى اضطر الوزير علي بن عيسى إلى إنشاء ديوان خاص سمّاه : ديوان المقبوضات عن أمّ موسى وأسبابها . (تجارب الامم ١/٨٣ و٨٤) .

ولما استخلف القاهر ، عذّب امرأة أبيه ، السيّدة أمّ المقتدر ، وضربها بيده مائة مقرعة ، وعلّقها بثدييها ، ثم علّقها وهي منكّسة ، فكان بولها يجري على وجهها ، راجع التفصيل في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي في القصة المرقمة ٢/٣٣) .

وفي السنة ٣٦٠ هلك أبو طاهر الحسين بن الحسن ، عامل البصرة لبختيار البويهي ، حيث عذّب هو وزوجته وأخوه وأقاربه ونالتهم مكاره عظيمة ، كانت عاقبتها أن تلفوا بالعذاب ، بما فيهم الزوجة (تجارب الأمم ٢/٢٩٣ ـ ٢٩٥) .

وفي السنة ٦٧٩ غرّقت أمرأة ببغداد ، نسب إليها إنها قتلت زوجها ، وكان محبّاً لها ، محسناً إليها ، وقد أوصى إليها في ماله وأولاده ، فأحضرت من قتله ، فلما قرّرت آعترفت بذلك ، فغرّقت ، وأخذ القاتل وسمّر (الحوادث الجامعة ٤١٣) .

وفي السنة ٧٤٠ قبض السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، على ناظر الخاص النشو ، وهو شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله ، وعلى أمّه وأفراد عائلته ، وعرضوا على العذاب ، فماتت أمّه في العذاب ، وكذلك مات أخوه المخلص ، ومات النشو كذلك (الدرر الكامنة ٣/٣٣ و٣٤) .

وفي السنة ٧٥٣ قبض الأمير صرغتمس بالقاهرة على الوزير علم الدين ابن

زنبور ، وصادره ، ونهب أمواله ، وأخذ ابنه الصغير ، وضربه بمرأى من أمّه ، فأسمعته الأمّ كلاماً جافياً ، فأمر بها فعريّت وعصرت (النجوم الزاهرة ١٠/ ٢٨٤ وخطط المقريزي ٢/ ٦١ و٦٢) .

ولما اعتقل الوزير الصاحب شمس الدين موسى (ت ٧٧١) ، وعذّب عذبت معه زوجته وكانت ضعيفة حاملاً ، فولدت وهي تعصر بالمعصرة ، وعاش ولدها حتى كبر . (النجوم الزاهرة ١١/ ١١٠ - ١١٢) .

وفي السنة ٧٨١ قبض على سرّ النديم ، دادة السلطان بالقاهرة ، وعذّبت حتى أظهرت أشياء كثيرة من التحف ، منها قبع السلطان الذي كان قد صنعه له والده السلطان شعبان المقتول ، عند ختانه . (بدائع الزهور ١/ ٢/ ٢٤٩) .

وفي السنة ٧٨٩ أرسل الملك الظاهر برقوق ، صاحب مصر والشام ، الأمير جمال الدين محمود ، شاد الدواوين ، إلى الشام ، حيث أوقع الحوطة على الأمير بيدمر ملك الأمراء بدمشق ، وعلى أهله وأصحابه وحاشيته ، فقام بذلك ، واحتاط على موجود الأمير بيدمر ، وعصر ، وعصر جواريه ، وأصحابه وحاشيته (تاريخ ابن الفرات ٩/ ٣) .

ولما عاد الأمير جمال الدين محمود ، إلى القاهرة ، استقبل استقبال الأبطال ، ثم لاقى في السنة ٧٩٩ أسوأ مصير ، إذ قبض عليه الملك الظاهر ، وصادره ، واستأصله ، وأسرف في عذابه حتى مات في السجن (نزهة النفوس ٤٥٤) .

وفي السنة ٧٩٢ توجّه والي القاهرة حسين بن الكوراني ، إلى قاعة البيسرية بالقاهرة ، وكان إخوة الملك الظاهر برقوق مقيمين بها ، فقبض على بيبرس ابن أخت الملك الظاهر ، وصار ابن الكوراني يفحش من الذمّ على الظاهر ، « ويوشي » على حاشيته حتى أنّ النساء صرن يتخضّعن له فلم يلتفت

لفعلهنّ ، وأخرجهنّ حاسرات ، وهنّ مسحوبات في قوارع الطرقات (نزهة النفوس ٢٨٢) .

أقول : كانت عاقبة هذا الفعل من الكوراني ، أنّه لما عاد الظاهر إلى السلطنة ، اعتقله ، وقيّده ، وضربه وسحبه ، وعصره ، ثم خنقه (نزهة النفوس ٢٩٣ ، ٣٣٠ ، ٣٣٩) .

وفي السنة ٨٠٠ عزل الأمير علاء الدين بن الطبلاوي الحاجب ، وأخوه ناصر الدين محمد متولّي القاهرة ، ونقلا إلى بيت الأمير يلبغا ظهر النهار ، راكبين على الحمير ، في الباشات والجنازير ، وسلّما لمتولّي القاهرة الجديد ، ثم توجّهوا بابن الطبلاوي إلى بيته ، وعاقبوا أمّ إبنه وجواريه والخطيب ابن عمّه ، وأخذوا من الذهب تسعة عشر ألف دينار (نزهة النفوس ٤٦٥) .

وفي السنة ٨١٢ لما قبض السلطان الناصر على الأمير جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن احمد الاستادار ، قبض على امرأته سارة ، وهي ابنة الأمير بجاس ، وعذّبت وكانت حاملاً ، فوضعت على دست نار ، فاسقطت ، ورأت من الذلّ ما لا يوصف ، وماتت بعد ذلك قهراً (الضوء اللامع ١٠/٢٩٧) .

وفي السنة ٨٢٤ أمر السلطان المؤيّد ، سلطان مصر ، فقبض على الأمير الاستادار الحسن بن عبدالله ، البدر الطرابلسي ، فعصر ، وعذّب ، وعوقب أتباعه ، حتى إنَّ زوجته الشريفة ، عذّبت معه أيضاً (الضوء اللامع ٣/١٠٢) .

ولما قتل جهان شاه ، في السنة ٨٧٢ ، حكم بعده ولده حسن علي ميرزا ، فحاصر زوجة أبيه ، في قلعة النجا ، وقبض عليها ، وصلبها معلّقة بثدييها ، فظلّت معلقة ثلاثة أيّام ، حتى ماتت ، ولما دخل تبريز أمر بالقبض

على أخويها قاسم وحمزة ، وسائر اقاربها ، فقتلهم جميعاً ، بعد أن عـذّبهم ، وصلبهم . (تاريخ العراق للعزاوي ٣/١٨٥ـ ١٨٧ـ ١٨٩) .

وفي السنة ١٢٢٢ (١٨٠٧ م) بعد مقتل مصطفى باشا ، أمير الجزائـر ، اتّفق خلفه أحمد باشا ، وبقيّة الوزراء ، على القائد عبـدالله، باي قسنـطينة ، طمعـاً في أموالـه ، وقتلوه ، واعتقلوا امرأتـه الدايخـة بنت كانـة ، بنت شيـخ العـرب بقسنطينـة ، وكانت من أحسن نسـاء زمانهـا، ولها شجـاعة عـظيمـة ، فطالبوها بأن تظهر لهم أموال زوجها ، وعـذّبوهـا ، حتى ماتت تحت العـذاب (مذكرات الزهار ٨٧) .

وفي السنـة ١٣٣٥ (١٩١٧ م) هاجم الضـابط التركي عـاكف ، مـدينـة الحلة ، وقبض على مـائة وستـة وعشرين رجـلاً من رؤسائهـا، فقتلهم شنقاً ، وهـدم مسـاكنهم ، وأمـر بنسـائهم وأطفـالهم ، فنفـاهم إلى بـلاد الأنـاضـول (الشبيبي الكبير ٣٨) .

الفصل العاشر

تعذيب المرأة بالتعرض للعورة

أوّل ما بلغنا من الأخبار عن هذا العذاب ، ما صنعه أبو جهل بسمية بنت خباط ، والدة عمار بن ياسر ، أوّل شهيدة في الإسلام ، إذ كان مشركو قريش ، يخرجون عمّاراً ، وأباه ياسر ، وأمه سميّة ، إلى الأبطح ، إذا احميت الرمضاء ، يعذبونهم بحرّ الرمضاء ، فمات ياسر في العذاب ، أمّا سميّة أمّ عمّار فإنّ أبا جهل طعنها في قُبُلها بحربة ، فماتت. (ابن الأثير ٢/٦٧).

وكان أبو يزيد مخلد بن كيداد البربري ، الثائر ، بإفريقية ، والمقتول في السنة ٣٣٦ ، إذا فتح مدينة بإفريقية ، يقتل الرجال ، ويشقّ فروج النساء ، ويبقر بطونهن ، ويحرق البلد (ابن الأثير ٤٢٢- ٤٤١)

وفي السنة ٦٤١ كوى أحد زعماء إربل امرأة في فرجها (الحوادث الجامعة ١٨٥) .

وفي السنة ٨٠٢ لما اقترب تيمورلنك من حلب ، أرسل قصّاداً إلى نائب حلب ، فأمر نائب حلب بضرب اعناق رسل تيمورلنك ، فلما بلغ تيمورلنك الخبر بقتل قصّاده ، احاط بمدينة حلب ، واقتحمها بجنده ، وأسرف في القتل والسبي ، واحتمى النساء والأطفال بالمساجد ، فاقتحمها التتار عليهم ، وأخذوا يفتضون الأبكار في المساجد ، وصاروا يأخذون المرأة وهي تحمل ولدها الصغير ، فيلقونه من يدها ، ويفترشونها ، والتجأ كثير من النساء إلى الجوامع ، ولطخن وجوههنّ بالطين ، حتى لا ترى بشرتهن ، فكان

التتار يأخذون المرأة فيغسلون وجهها ، ويفترشونها في الجامع (خطط الشام ٢/١٧٣ـ ١٧٤) .

وفي السنة ٨٣٢ حصرت جيوش سلطان مصر ونواب الشام ، مدينة الرها ، فنزل من في القلعة على أمانهم ، فغدروا بهم ، واعتقلوهم ، وقتلوا الرجال ، ونهبوا الأموال ، واحرقوا المدينة والقلعة ، وفجروا بالنساء ، فكانت الواحدة منهن ، تقوم من تحت الواحد منهم ، وتأخذ طفلها فتختبىء في تبن هناك ، فلما أتمّوا فجورهم ، أشعلوا النار في التبن فاحترق النسوة وأطفالهنّ ، راجع القصة مفصلة في الفصل السابع من هذا الباب .

وفي السنة ٨٣٨ حصر اسكندر بن قرايوسف ، مدينة شماخي ، حاضرة بلاد شروان ، وقاتل صاحبها خليل بن إبراهيم شيخ الدربندي ، فلما كان في أحد الأيّام ، توجّه اسكندر من معسكره يتصيّد ، فهجم خليل في غيبته على معسكر اسكندر ، وقتل ، وأسر ابنة اسكندر وزوجته ، فوضعهما في إحدى الخرابات ، وأمر عسكره فارتكبوا معها الفاحشة ، فلما رجع اسكندر من الصيد ، وبلغه ما حصل ، الحّ في القتال حتى استولى على شماخي ، ودكّها دكّاً ، ونهب أموال أهلها ، وأفحش في قتلهم وسبيهم ، وظفر في شماخي بابنة خليل وامرأته ، فأمر بأن يزني بهما في كلّ يوم خمسون رجلاً « نكاية في خليل » (حوليات دمشقية ١٢٧) .

وكان الملك الناصر ، محمد بن قايتباي (قتل سنة ٩٠٤) مجنوناً ، وكان يعذّب النساء ، بأن يقطع حاشية « أعضائهنّ » ، وينظمها في خيط أعدّه لذلك ، وسلخ مرّة جلد جارية من جواريه ليظهر أستاذيته في السلخ (شذرات الذهب ٨/٢٣) .

وفي السنة ٩٠٢ قتل القاضي شمس الدين بن المزلق ، قتلته سريّتاه ، بتحريض من آخرين ، فأمسك الجميع ، ومنهم السريّتين ، فخوزقوا ، خلا الجارية الصغرى ، فإنّها غرّقت ، لأنّها كانت حبلى (قضاة دمشق ١٨٢) .

وكان أحمد باشا الجزار (١١٣٣- ١٢١٩) (١٧٢٠- ١٨٠٤ م)، والي ايالتي صيدا والشام وعكا ، عظيم القسوة ، وكان يعذّب النساء ، بوضع السنانير في سراويلاتهنّ . (مجلة العرفان م ٢٦ ج ١٠ ص ١١٩٧ ك ١/ ١٩٤).

وفي السنة ١٢٣٥ (١٨١٩ م) ثار الإغريق (اليونان) على السلطان محمود العثماني ، في الجزر وبلاد المورة ، وقتلوا المسلمين ، ومثّلوا بهم ، وسبوا النساء والذراري ، فلم يبق من المسلمين إلا القليل ، وقيل إنّهم كانوا يدخلون الخنجر ، في فرج المرأة ، ويقطعونها حتى صدرها ، وهي حيّة تنظر (مذكرات الزهار ١٤٧).

وجاءت امرأة ، إلى أبي العطوف القاضي ، برجل ، وقالت : هذا افتضّ ابنتي ، فقال للرجل : أفعلت ؟ قال : نعم ، قال : لم ؟ قال : لاعبتني آمرة مطاعة ، فقمرتني ، فأدخَلَتْ في استي مدقّة الهاون ، ولاعبتها، فقمرتها ، فافتضتها، فقال أبو العطوف : يا هذه ، إنّ الذي ادخلت ابنتك في أست هذا ، أشدّ ممّا أدخل هذا في حر ابنتك (البصائر والذخائر ٤/٢٣٣).

الفصـل الحادي عشـر

تعذيب المرأة بالاسترقاق

في السنـة ٦٥ قتـل عبيـدالله بن بشيـر بن المـاحـوز ، أحـد رؤسـاء الخوارج ، فوجّه المهلّب برأسه الى البصرة ، فلما صار الرسول بكربج ، لقيه أخـوة عبيدالله ، وهم حبيب وعبـد الملك وعلي بنو بشيـر ، فقـالـوا لـه : مـا الخبـر ؟ فقـال : قتـل الله ابن المـاحـوز المـارق وهـذا رأسـه معي ، وأراهم الـرأس ، فوثبـوا عليـه فقتلوه ، ودفنـوا رأس أخيهم ، فلمـا ولي الحجّـاج بن يوسف الثقفي ، دخل عليه عليّ بن بشير ، وكـان وسيماً جسيمـاً ، فقال : من هـذا ؟ فـأخبـروه ، فقتله، ووهب ابنـه الأزهـر وابنتـه لأهـل الـرسـول الأزدي المقتول ، وكانت زينب بنت بشيـر لهم مواصلة ، فـوهبوهمـا لها (شـرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ٤/١٥٨ـ ١٥٩) .

وفي السنـة ١٠٢ لما خـرج يزيـد بن المهلّب ، ومعه آل المهلب، على يـزيـد بن عبـد الملك ، وقتـل في معـركـة العقـر ، جمـع نسـاء آل المهلب وصبيانهم بالحيرة ، فأعلن مسلمة بن عبد الملك إنّه يريد أن يبيعهم، فقال لـه الجرّاح بن عبدالله : أنا أشتريهم منك لأبرّ يمينك ، واشتراهم منه بمائـة ألف درهم ، فقال له مسلمة : هاتها ، فقال له : إذا شئت فخذهـا، فلم يأخـذ منه شيئـاً ، وخلّى سبيلهم إلاّ تسعـة فتيـة احـداث من آل المهلّب، بعث بهم إلى يزيد بن عبد الملك ، فضرب رقابهم (الطبري ٦/٦٠٢).

وفي السنة ٢٥١ خرج بالكوفة علويّ اسمه الحسين بن محمد الطالبي ،

وبعث إليه المستعين جنداً قائدهم مزاحم بن خاقان أرطوج ، فانكسر جيش العلوي، وأسر ، ودخل مزاحم الكوفة ، فأحرق الف دار ، وحبس جميع من بالكوفة من العلويّين ، وحبس ابناء هاشم كافّة ، وأخذ جوارٍ للعلوي ، وفيهم امرأة حرّة مضمومة ، فأقامها على باب المسجد ونادى عليها (الطبري ٣٢٩/٩) .

وفي السنة ٢٦٧ فارق محمد بن الحارث العمّي ، أحد قوّاد صاحب الزنج ، صاحبه والتجأ إلى الموفق ، فاعتقل صاحب الزنج زوجة محمد ، وهي ابنة عمّه ، ثم أخرجها ، وباعها في السوق . (الطبري ٥٩٢/٩-٥٩٣) .

وكان صندل الزنجي ، أحد قوّاد صاحب الزنج ، يكشف وجوه الحرائر المسلمات الأسيرات ورؤوسهنّ ، ويقلّبهن تقليب الإماء ، فإن امتنعت منهنّ امرأة، لطم وجهها ، ودفعها إلى بعض علوج الزنج يواقعها ، ثم أخرجها إلى سوق الرقيق ، فباعها بأوكس الأثمان ، وفي إحدى الوقائع، وقع صندل الزنجي أسيراً في يدي أبي أحمد الموفّق ، فأمر فشدّ كتافاً ، ورمي بالسهام حتى هلك (شرح نهج البلاغة ١٨٧/٨) .

وفي السنة ٣٠٢ خرج أعراب على المنصرفين من مكّة ، فأخذوا ما معهم ،واسترقّوا مائتين وثمانين امرأة من الحرائر ، سوى من أخذوا من المماليك والأماء (الطبري ١٥١/١٠) .

وفي السنة ٨٣٢ حصرت جيوش سلطان مصر ونوّاب الشام مدينة الرها ، فنزل من في القلعة على أمانهم ، فغدروا بهم ، واعتقلوهم ، وقتلوا الرجال ، ونهبوا الأموال ، وأحرقوا المدينة والقلعة ، وفجروا بالنساء ، ثم أحرقوا قسماً منهن بأن أشعلوا التبن الذي كنّ قد لجأن اليه ، وأخذوا النساء الباقيات الى حلب ماشيات ، فمات جماعات منهنّ في الطريق عطشاً ،

وبيعت منهنّ بحلب وغيرها عدّة ، راجع التفصيل في الفصل السابع من هذا الباب .

وفي السنة١٠١٦ اشتبك الجيش العثماني بقيادة مراد باشا ، مع جيش الأمير علي جانبولاد ، وكان والياً على حلب ، وعصى على الدولة ، فانكسر الأمير علي ، واستولى مراد باشا على حلب ، وسحب عيال الأمير علي ، وباع نساءه بيد الدلّال ، وبيعت والدة الأمير على بثلاثين قرشاً (خطط الشام ٢/٢٥٤).

وفي السنة ١٢٠١ اعتدى الأعراب على قافلة الحاج المصري ، وقتلوا الرجال ونهبوا الأحمال وسبوا النساء واسترقوهن ، فاستغاث الحجّاج بأحمد باشا الجزّار أمير الحاج الشامي ، فتكلّم مع العرب في أمر النساء ، فأحضروهنّ عرايا ليس عليهنّ الا القمصان ، وأجلسوهن عرايا في مكان ، وخرج الناس أفواجاً ، فكلّ من وجد امرأته أو أخته أو أمّه أو ابنته ، اشتراها ممن هي في أسره ، وكذلك حصل في السنة ١٢٠٢ حيث اعتدى الأعراب على قافلة الحاجّ ونهبوها ، وسلبوا الحجّاج حتى ملابسهم التي على أبدانهم ، وسبوا النساء ، وأخذوا ما عليهنّ، ثم باعوهنّ لأصحابهن عرايا (الجبرتي ٢/١٢ و٥٥).

الفصل الثاني عشر

تعذيب المرأة بالضرب

ضرب الزبير بن العوام، زوجته أسماء بنت أبي بكر، ضرباً مبرّحاً، حتى خلّصها ابنه عبدالله بن الزبير، من يده (المحاسن والأضواء ١١٨).

وفي السنة ٢٥ ضرب يزيد بن نعيم الشيباني، جاريته جهيزة، على أن تسلم، فأبت، ثم أسلمت من بعد ذلك، وتفصيل القصّة إن يزيد بن نعيم، وهو والد شبيب زعيم الخوارج، حضر مبيعاً لسبي الروم، فعرضت جارية حمراء طويلة جميلة، تأخذها العين، فاشتراها، وسمّاها جهيزة، ولما أدخلها الكوفة، طالبها بأن تسلم، فأبت، فضربها، فازدادت عصياناً، فأبقاها على دينها، وحملت منه بشبيب، وأحبّت مولاها حبّاً شديداً، وقالت له: إن شئت أجبتك إلى ما سألتني من الإسلام، فقال لها: قد شئتُ، فأسلمت، وولدت شبيباً وهي مسلمة، ولما خرج شبيب على ظلم الأمويّين، كانت أمّه جهيزة، وامرأته غزالة، معه في معسكره، وكانتا معروفتين بالشجاعة، وفي إحدى معارك شبيب، مع جنود الشام الذين أحضرهم الحجّاج، قتلت جهيزة، وقتلت غزالة، وانحاز شبيب إلى الأهواز، حيث مات غرقاً في السنة ٧٧ (الطبري ٦/٢٨٢ ووفيات الأعيان ٢/٤٥٥).

أقول: أبو الضحاك شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني، أحد دهاة العالم، كان بطلاً من الأبطال، عاش ومات ثائراً على بني أميّة، وكان كما قال الجاحظ يصيح في جنبات الجيش إذا واجهه، فلا يلوي أحد على

أحد ، ووجّه إليه الحجّاج خمسة قوّاد ، على خمسة جيوش ، فقتلهم واحداً بعد واحد ، ومزّق جمعهم ، وبايعه الخوارج بالخلافة ، وخاطبوه بإمرة المؤمنين ، ومات غرقاً بالأهواز ، كان يعبر الجسر ، فنفر به فرسه ، وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفر ، فسقط في الماء ، فغاص، ثم ظهر وكان آخر ما قاله : ذلك تقدير العزيز العليم ، ثم غاص فغرق (الاعلام ٣/٢٢٩).

وفي السنة ٥٥٧ دخل ابن فضلان الفقيه ، على أخت له كان لها زوج فمات ، فتزوّجت قبل انقضاء عدّتها ، فدخل إليها ابن فضلان فضربها ، فتقدّمت امرأة في الدار لتخلّصها منه ، فرفسها برجله ، ولكمها بيده ، فماتت المرأة ، وشكاه أهل المرأة ، فأنكر، وحلف. (التنظيم ١٠/٢٠٣).

وفي السنة ٥٩٩ توفّي السلطان غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام الغوري ، صاحب غزنة وخراسان والهند ، فخلفه أخوه شهاب الدين أبو المظفر محمد بن سام الغوري ، فلم يحسن الخلافة على أفراد عائلة أخيه ، وكانت لغياث الدين زوجة كانت مغنيّة ، فهويها وتزوّجها ، فلما مات غياث الدين ، قبض شهاب الدين عليها وضربها ضرباً مبرّحاً ، وضرب ولدها بن غياث الدين ، وزوج أختها ، وأخذ أموالهم وأملاكهم ، وسيّرهم إلى بلاد الهند ، فكانوا في أقبح صورة ، وكانت قد بنت مدرسة ودفنت فيها أباها وأمّها وأخاها ، فهدم المدرسة ، ونبش قبور الموتى ، ورمى بعظامهم منها . (ابن الأثير ١٢/١٨١).

وفي السنة ٦٠٧ اتّهم شخص اسمه علي بن السلار ، ويعرف بابن الدخينة ، بحادث سرقة أموال ، فاعتقل ، وزوجته وابنه ، وبناته ، وعذّبوا، فماتت زوجته تحت الضرب. (الذيل على الروضتين ٧٦).

وضرب الأمير جمال الدين آقوش الأشرفي (ت ٧٣٦) جارية السلطان ، امرأة بكتمر الحاجب ، ستمائة عصا ، وسبب ذلك لأنّها اختلفت مع ضرّتها وهي ابنة آقوش ، من أجل الميراث (الوافي بالوفيات ٩/٣٣٩).

وكان أبو جعفر محمد بن أبي العباس السفاح ، يلي البصرة ، ثم استعفى منها ، وقدم بغداد فمات بها ، فصرخت امرأته البغوم بنت علي بن الربيع : واقتيلاه، فضربها رجل من الحرس بجلويز على عجيزتها ، فتعاوره خدم لمحمد ، فقتلوه، فطلّ دمه . (الطبري ٨/٢٥).

وكانت لبابة بنت جعفر بن أبي جعفر ، تحت الهادي ، فكلّمته يوماً بإدلال ، فوثب عليها وضربها ضرباً موجعاً . (المحاسن والأضداد ١١٨).

وفي السنة ١٩٦ لما وثب الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان بالأمين وحبسه في قصر أبي جعفر بالمدينة (مدينة المنصور) وثب العباس بن موسى بن عيسى بأمّ جعفر (زبيدة أمّ الأمين)، وأمرها بالخروج من قصرها إلى مدينة أبي جعفر فأبت ، فدعا لها بكرسي ، وأمرها بالجلوس فيه ، وقنّعها بالسوط ، فجلست فيه ، وأمر بها فأدخلت المدينة ، وضمّت إلى ولدها الأمين . (الطبري ٨/٤٢٩).

ودخل أحدهم على عنان ، وقد تناولها سيّدها بضرب شديد ، وهي تبكي، فقال : (المحاسن والأضداد ٩٧).

إنَّ عناناً أرسلت دمعها كالدرّ إذ ينسلّ من سمطه

فقالت عنان :

فليت من يضربها ظالماً تجفّ يمناه على سوطه

وهربت عريب المأمونية ، من صاحبها عبدالله بن إسماعيل المراكبي ، فبثّ عليها العيون ، حتى إذا أمسك بها ، ضربها مائة مقرعة . (الاغاني ٢١/٦٣).

وكانت شارية جارية إبراهيم بن المهدي ، إذا آضطربت في صوت ، عاقبها بأن أقامها على رجليها عندما تغنّيه ، فإن لم تبلغ الذي يريد ، ضُربت جاريته الثانية ريق . (الأغاني ١٦/١٠).

وثمة قصّة بالغة الطرافة ، جلدت فيها اميرة عباسية ، الحدّ ، وهي أم أبيها بنت هارون الرشيد ، جلدها أخوها أبو إسحاق (المعتصم) بأمر من أخيها (المأمون) لأنّها قذفت أخاها أبا علي بن الرشيد ، وقالت : إنّه لم يلده الرشيد ، وإنّما هو ابن فلان الفرّاش ، وتفصيل القصّة أنّ الرشيد اشترى في يوم واحد جاريتين هما : شكل ، وشذر ، فولدت شذر أمّ أبيها ، وولدت شكل ، أبا علي ، وتحاسدت شكل وشذر ، وبلغت بهما العداوة أمراً عظيماً ، وماتتا ، واستمرّت العداوة بين أمّ أبيها ، وأبي علي ، وأراد المأمون أن يصلح بينهما ، فجلس يوماً وعمّه إبراهيم وابنه العبّاس وأخوه ابو إسحاق (المعتصم) ، ووجّه فاحضر أمّ أبيها ، وعاتبها على عداوتها لأبي علي ، وهي مطرقة لا تردّ جواباً ، ولما دخل أبو علي إلى المجلس ، تنقبت أمّ أبيها ، فقال لها المأمون : كنت مسفرة، فلما حضر أخوك تنقّبت ؟، فقالت : والله يا أمير المؤمنين ما هو لي بأخ ، ولا للرشيد بابن ، وما هو إلّا ابن فلان الفرّاش ، فأمر المأمون، أخاه أبا إسحاق، فجلدها حدّاً، فقالت : سوءة يا أمير المؤمنين ، ان تحدّ أختك لابن الفرّاش ، وسننت على بنات الخلفاء الحدّ ، ونهضت فقال المأمون : قاتلها الله ، لو كانت رجلاً ، لكانت أقعد بالخلافة من كثير من الخلفاء . (الديارات ٣٥- ٣٧).

وكانت فريدة حظيّة الواثق العباسي ، فلما استخلف المتوكّل ، وكان عدوّاً لأخيه ، أحضر فريدة ، وأمرها أن تغنّي ، فأبت ، وفاءً للواثق ، فأقام على رأسها خادماً ، وأمره أن يضرب رأسها أبداً ، أو تغنّي (الأغاني ١١٥/٤).

وفي السنة ٢٢٧ خرج ابو حرب المبرقع بفلسطين ، وكان سبب خروجه أنّه كان غائباً ، وأراد أحد الجند أن ينزل في داره ، فمانعته إحدى محارمه في ذلك، فضربها بسوط كان معه ، فاتّقته بذراعها ، فأثّر فيه ، فلما رجع أبو حرب ، وعلم بما حصل ، أخذ سيفه ، وذهب الى الجندي ، فقتله ، وخرج

على السلطان ، وجمع مائة الف محارب . (الطبري ٩/١١٦-١١٨) .

وكان لابنة من بنات محمد بن راشد الخناق ، لحية وافرة ، فدخلت مع نساء متنقّبات إلى بعض الأعراس ، لترى العرس ، وجلوة العروس ، ففطنت لها امرأة ، فصاحت : رجل ، والله ، فأقبل الخدم والنساء عليها بالضرب ، فلم تكن لها حيلة ، إلاّ الكشف عن فرجها ، فنزعن عنها ، وقد كادت تموت . (الحيوان للجاحظ ١/١١٥) .

أقول : كان محمد بن راشد الخنّاق صديقاً لإسحاق بن إبراهيم المصعبي ، أمير بغداد ، خصيصاً به ، أثيراً عنده ، راجع بشأنه كتاب الديارات للشابشتي ٤١-٤٢ .

وذكر الجاحظ ، أنّ إسماعيل بن غزوان البصري ، شدّ جارية له ، على سلّم ، وضربها مائة سوط ، فقال له أبو إسحاق إبراهيم النظّام : أشهد بالله ، إنّك لضبع ، راجع تفصيل القصّة في كتاب الحيوان للجاحظ ٥/١١٧-١١٨) .

ولما عزل الوزير الفرلت عن الوزارة ، وقبض على ولده المحسّن ، قبض على دنانير ورهبان جاريتي زوجة المحسّن ، وضربهما ابن بعد شرّ ضرباً مبرّحاً ، فأقرتا على فرش وثياب صحاح ومقطوعة ، كانت مودعة عند بعض التجار بسوق العطش (الوزراء للصابي ٦٩) .

وكان أبو العباس الخصيبي في السنة ٣١٢ لما قُبِضَ على الوزير ابن الفرات على ديوان ضياع السيّدة أمّ المقتدر (تجارب الأمم ١/١٤٣) ، وكان قد وقف على مكان زوجة المحسن ، وهي بنت جعفر بن الفرات ، وأمّها حنزابة ، فسأل أن يولّى النظر في أمرها واستخراج مالها ، فاستخرج منها سبعمائة ألف دينار ، فتمّهدت له بذلك حال جليلة عند المقتدر ، ورشّح للوزارة (تجارب الامم ١/١٤١) ، فلما وقف أمر الخاقاني الوزير ، أشارت السيّدة والخالة (خالة المقتدر) باستيزار أبي العباس الخصيبي فوزّر (تجارب

الأمم ١٤٣/١) ، ثم وقف أمره ، فقبض عليه في السنة ٣١٤ وتقلّد الوزارة علي بن عبسى (تجارب الأمم ١٤٩/١) ، وظهر أنّ الخصيبي ضرب النساء والحرم بالمقارع ، وأسلم زوجة المحسّن إلى أفلح ، وهو شاب جميل الوجه فتزوّج بها وهي في الحبس ، وأنّه ضرب دولة أمّ ولد الوزير أبي الحسن بن الفرات بحضرته، كما ضرب ولدها الحسن بن أبي الحسن بن الفرات ، وقد عاب عليه علي بن عيسى هذه التصرّفات وقال له : كيف آستجزت في الدين والمروءة ضرب حرم المصادرين؟ ، فلم يحر جواباً (تجارب الامم ١٥٥/١ وابن الاثير ١٦٥/٨) .

وفي السنة ٣١٧ خلع المقتدر من الخلافة ، وبويع أخوه القاهر ، وبعد يومين أعيد المقتدر إلى الخلافة ، وأحضر القاهر أمامه يبكي ويتوسّل إليه أن يحفظ حياته ، فقال له المقتدر : لا يصل أحد إلى مكروهك وأنا حيّ ، ثم أسلمه إلى والدته ، فأحسنت إليه ، وأكرمته ووسّعت عليه في النفقة ، وآشترت له السراري والجواري ، وبالغت في إكرامه والإحسان إليه (ابن الأثير ٢٠٧/٨) ، فلما قتل المقتدر في السنة ٣٢٠ واستخلف القاهر ، أحضر والدة المقتدر ، وكانت مريضة ، قد أنهكها الحزن لفقد ولدها وسألها عن مالها ، فآعترفت له بما عندها من المصوغ والثياب ، فضربها أشدّ ما يكون من الضرب ، وعلّقها برجلها وضرب المواضع الغامضة من بدنها (ابن الاثير ٢٤٥/٨) ثم أخذها علي بن يلبق ، وهي شديدة العّلة لحزنها وللضرب الذي نالها من يد القاهر ، فأكرمها علّي ، وبقيت عند والدته مكرمة مرفهة ، أيّاماً وماتت (ابن الاثير ٢٥١/٨) .

وفي السنة ٣٧٨ ضرب شكر الخادم ، جاريته الحبشية ، فغضبت وأخبرت السلطات بمكانه ، وتفصيل ذلك إنّ شكر الخادم ، كان أخصّ الناس بعضد الدولة البويهي ، وأقربهم إليه ، وكان يرجع إليه في قوله ، ويعوّل عليه ، وكان شكر منحرفاً عن شرف الدولة في حياة أبيه ، فلما توفّي عضد

الدولة ، قام شكر بأمر صمصام الدولة ، فآزداد شرف الدولة حقداً عليه ، ولما انحلّ أمر صمصام الدولة ، اختفى شكر عند رجل بزّاز في رحبة خاقان ببغداد ، فلما مضت مدّة أحضر شكر جارية له حبشية ، كان يثق بها ، وطلب منها أن تتولّى خدمته ، وكانت هذه الجارية ، قد علق قلبها بهوى ، فكانت تغيب عن شكر في اكثر الأوقات الى حيث هواها ، وضجر شكر منها ، ومنعها من الخروج فلم تمتنع ، فضربها ، فأصاب وجهها ، فخرجت من الدار غضبى ، ومضت إلى باب شرف الدولة ، وصاحت : نصيحة ، وأخبرتهم بموضع شكر الخادم ، فهجموا عليه وأخذوه ، وحمل الى شرف الدولة ، فاستوهبه نحرير الخادم ، وأخذه إلى داره ، وأحسن اليه ، وخرج إلى الحجاز للحجّ ، ثم عدل إلى مصر ، واستقرّ عند صاحبها ، لزيادة التفصيل راجع ذيل تجارب الأمم ١٤٥ ـ ١٤٧ وابن الأثير ٥٧/٩ وكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي ج ٤ ص ٩٧ رقم القصة ٤٥/٤ .

وفي السنة ٣٨٢ قبض صمصام الدولة البويهي على وزيره أبي القاسم العلاء بن الحسن ، وعلى كتّابه ، وحواشيه ، وعلى ابنته زوجة العلوي الرازي ، وطولبوا أشدّ مطالبة ، وعوقبوا أشدّ معاقبة ، حتى تلفت آبنته ، وجماعة من أصحابه تحت الضرب (ذيل تجارب الأمم ٢٤٧) .

أقول : ابو القاسم العلاء بن الحسن ، من كبار الموظفين في دولة بني بويه ، واستوزره شرف الدولة في السنة ٣٧٤ ، فلم يعن العناية المطلوبة بارضاء الحاشية ، فأفسدوا رأي شرف الدولة فيه ، فاعتقله وأخاه ، ثم أطلقهما بعد أشهر . وفي السنة ٣٧٥ وافى مع شرف الدولة الأهواز ، ثم امتدّ إلى البصرة حيث وطّد أمورها لشرف الدولة ، ثم عاد إلى شيراز ، ولما اعتقل شرف الدولة أخاه صمصام الدولة ، حبسه في إحدى القلاع تحت إمرة العلاء ، ولما مرض شرف الدولة ، أنفذ من يسمل عين صمصام الدولة ، فلما بلغ الرسول القلعة ، كان شرف الدولة قد مات ، فتوقّف الموكّل بالقلعة عن

تمكين الرسول من تنفيذ الأمر ، إلى أن أمره العلاء بن الحسن بإنفاذ الأمر ، فكان صمصام الدولة يقول : ما سملني إلاّ العلاء ، لأنّه أنفذ فيّ أمر ملك قد مات ، ولما مات شرف الدولة تحيّر العلاء ، فكاتب صمصام الدولة ، وكاتب أبا علي بن شرف الدولة ، على أن يبذل الطاعة لمن يصل أوّلاً ، ووصل أبو علي ، ووقعت فتنة بين جنده الأتراك والديلم ، فانصرف عن شيراز ، ووافى صمصام الدولة ، ولكنّ القائد فولاذ غلب على أمره ، فانحاز العلاء إلى الريّ ، وأخذ كلّ من العلاء وفولاذ يدسّ لصاحبه ، حتى تغّلب العلاء ، وفرّ فولاذ ، فتبسط العلاء في الأمور ، وغلب على أمر صمصام الدولة ووالدته ، فبالغ في إرضاء الحاشية ، ولكنّ فساد أمور الدولة أدّى إلى نقص الأموال ، فلم يتمكّن من إرضاء جميع أفراد الحاشية ، فأئتمروا به ، وأغروا به صمصام الدولة ، فقبض عليه ، وعلى كتّابه ، وحواشيه ، وعلى أهله ، وآبنته زوجة العلوّي الرازي ، وطولبوا أشدّ مطالبة ، وعوقبوا أشدّ معاقبة ، حتى تلفت ابنته وجماعة من أصحابه تحت الضرب ، وبقي العلاء معتقلاً في بعض المطامير لا يعرف له خبر ، إلى قبض صمصام الدولة على من حلّ محلّه ، فعاد إليه ، وأمر به فأخرج من سجنه ، وقد ضعف بصره ، وصار إلى دار السيّدة أمّ صمصام الدولة ، فعولج ، ثم خلع عليه ، وردّ إلى الوزارة ، ولكنّ نيّته لم تخلص لصمصام الدولة ، بعد ما لحق به وبابنته وأهله ، فإنّه أهلك الدولة بإقطاعات وزيادات وتمزيق للأموال وتسليم للأعمال ، ومات العلاء في السنة ٣٨٧ بالأهواز ، للتفصيل راجع ذيل تجارب الأمم ١٠١ ، ١٢٣ ، ١٥٠ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٧٣ ، ١٩٠ ، ٢٠٠ ، ٢٤٦ و٢٤٧ ، ٢٤٩ .

وفي السنة ٣٨٦ أمر الوزير عيسى بن نسطورس (ت ٣٨٧) بضرب امرأة ثكلى ، فضربت حتى سقطت على الارض ، وسبب ذلك ، إنّ بعض سفن الأسطول بمصر ، احترقت ، فاتّهم العامة الروم النصارى باحراقها ، وثاروا بهم ، فقتلوا منهم مائة وسبعة رجال ، ونهبوا أموالهم ، فأعلن الوزير

عيسى بن نسطورس أنّه يجب ردّ ما نهب ، وتوعّد من تقاعس عن ذلك بالعقوبة الشديدة ، ثم جمع من إتّهم بالإشتراك في النهب ، ونثر عليهم رقاعاً ، في بعضها الضرب ، وفي بعضها القتل ، وأمضي في كلّ واحد منهم ، العقوبة المدوّنة في الرقعة ، ولما أخذ الوزير في السنة ٣٨٧ ليقتل حسب ما أمر به الحاكم الفاطمي ، قال : إنّ الله لا يظلم أحداً ، والله إنّي لأذكر ، وقد ألقيت في السنة ٣٨٦ أوراقاً على بعض المتّهمين بالنهب ، وكان في بعضها القتل ، وفي بعضها الضرب ، فأخذ شابٌّ ممن كان فيهم رقعة كان فيها القتل ، فأمرت بقتله ، فصاحت أمّه ولطمت وجهها ، وحلفت إنّها وابنها ما كانا ليلة النهب في شيء من أعمال مصر ، وإنّما وردا إلى مصر بعد النهب بثلاثة أيّام ، وناشدتني الله تعالى أن أجعله ممن يضرب بالسوط ، وأن يعفى من القتل ، فلم ألتفت إليها ، وأمرت بضرب عنقه ، فقالت أمّه : إن كنت لا بدّ قاتله ، فآجعله آخر من يقتل ، لأتمتّع به ساعة ، فأمرتُ به ، فجعل أوّل من ضرب عنقه ، فلطّخت بدمه وجهها ، وسبقتني إلى القصر ، وهي منبوشة الشعر ، ذاهلة العقل ، فلما وافيتُ ، قالت لي : قتلته ، كذلك يقتلك الله ، فأمرت بها فضربت حتى سقطت إلى الأرض، ثم ترون الآن ماترون، راجع خبر مقتله في هذا الكتاب في الباب الحادي عشر (القتل) في الفصل الأول (القتل بالسيف) ، في القسم الأول (القتل فتكاً) . (خطط المقريزي ٢/١٩٦) .

وفي السنة ٤١٥ قبض على الشيخ العميد محسن بن بدوس ، وهو في ديوانه بالقاهرة فاعتقل ، وأخرج بالعشي إلى مجاز القصر الكبير ، فضربت عنقه ، وهو يصيح ويستغيث ويقول : والله ، ما خنت ، ولا سرقت ، ولا غششت (اخبار مصر للمسجي ٥٩) ثم اشتدت المعاقبة على جواريه ، وطولبن بأمواله ، وضربن ضرباً شديداً (اخبار مصر للمسجي ٧٠) .

وفي السنة ٧٨١ ظهرت في القاهرة أعجوبة ، خلاصتها أنّ حائطاً تكلّم

في دار أحد الشهود واسمه أحمد الفيشي ، فقال له : اتّق الله وعاشر زوجتك بالمعروف ، واشتهرت القصة عند أهالي القاهرة ، فقصدوا الدار ، وكان الحائط يكلّمهم ، فآفتتن به الناس ، وكادوا أن يعبدوه، فأحضر المحتسب المرأة وزوجها ، وهدّد المرأة بالضرب ، فآعترفت له أنّ الكلام من صنعها ، وأنّها اضطّرت لذلك ، لأنّ زوجها كان يسيء معاملتها ، وكان معها شخص من الفقراء اسمه عمر بن الركن ، فرسم الاتابكي برقوق ، بضرب الرجلين بالمقارع، وضرب المرأة بالعصيّ نحو ستمائة ضربة ، وأمر بهم فسمّروا الثلاثة على جمال ، وشهروا بالقاهرة فبكى الناس على المرأة ، لأنّها أركبت على جمل ، ويداها مسمّرة على الخشب ، وهي بأزارها ونقابها ، ولم يعهد قط أنّ امرأة سمّرت على جمل . (بدائع الزهور ٢٨/٢٤٧) .

وكان الملك المنصور حاجي (ت ٨٠٠) من الظالمين القساة ، وكان إذا ضرب إحدى جواريه ، يتجاوز ضربه لها الخمسمائة عصا ، وكان السلطان برقوق إذا سمع صياح الجارية ، بعث يتشفّع لها ، فيضطر المنصور أن يتركها ، ولجأ أخيراً إلى حيلة ، وهي أنّه إذا باشر بضرب إحدى الجواري ، أمر فرقة الموسيقى عنده ، فعزفت ، فلا يسمع صياح الجارية ، وعلم الملك الظاهر بذلك ، فصار كلما سمع عزف الموسيقى ، أرسل يتشفّع في الجارية المضروبة . (النجوم الزاهرة ١١/ ٣٨٠و٣٨١) .

وفي السنة ٨٣٦ توفّي الأمير منكلي بغا الصالحي ، وكان قد ولي حسبة القاهرة ، في أيام المؤيّد ، فشدّد على النساء ، والظاهر إنّه كان يعذّب النساء بالضرب حتى قيل : (الضوء اللامع ١٠/١٧٣) .

لا تمسك طرفي منكلي خلفي
علقتو مائتين قبل ما يعفي

وفي السنة ١٠١٣ لما حصل الإختلاف بين نصوح باشا ، والي حلب ، وبين حسين باشا جانبولاد الذي عيّن خلفاً له ، أخذ نصوح باشا بنتاً لحسين

باشا ، وضربها، فلما حصل الصلح بينهما ، ألزموا نصوح باشا ، بأن يبدأ بزيارة حسين باشا ، باعتباره المعتدي لأنّه ضرب إبنة حسين باشا ، فذهب إليه وصالحه (اعلام النبلاء ٣/٢٢٨ و٢٢٩) .

وممن عوقب بالضرب والحبس ، من النساء ، الأميرة الهندية جهان بيكم ، إبنة الأميرة سكندر بيكم أميرة بهوبال في الهند ، فإنّ الاميرة جهان بيكم قابلت في بيت أحد أقاربها أميراً من أمراء البيت المالك في دهلي ، أراد الإقتران بها ، وبلغ ذلك أمّها الأميرة سكندر بيكم ، فأمرت بابنتها ، فضربت ضرباً مبرّحاً وحبستها في غرفتها أشهراً (أعلام النساء ٢/٢٠١) .

أقول : إنّ الأميرة جهان بيكم ، خلفت والدتها سكندر بيكم في حكم إمارة بهوبال ، على أثر وفاة الوالدة في السنة ١٢٨٥ هـ ١٨٦٨ م ، وكانت أمّها سكندر بيكم قد حجّت ، ودونت ما جرى لها في حجّها ، في كتاب ألّفته بالانكليزية سمّته : الحج إلى مكّة Piligrimage to Macca ، ولم يطبع الكتاب في حياتها ، وإنّما طبعته ابنتها بعد وفاتها ، وقدّمت للكتاب مقدّمة أهدت الكتاب بموجبها إلى الملكة فكتوريا ، ملكة بريطانيه ، وعندي ، في مكتبتي ببغداد نسخة من هذا الكتاب ، وهو كتاب ممتع جدّاً .

وفي السنة ١٢٣٥ سافر إبراهيم باشا بن محمد علي باشا ، إلى القليوبية والمنوفية والغربية ، يطالب ببقايا الخراج ، فإذا فرّ المطالبون ، قبض إبراهيم باشا على من وجده من النسوة ، وضربهنّ ، وحبسهنّ (الجبرتي ٣/٦١١) .

وفي السنة ١٢٤٧ لما عزل داود باشا ، وأسر ، وحلّ محلّه ببغداد ، الوزير علي رضا باشا اللاز ، والياً على العراق ، انتصب لظلم الناس إثنان ، الملاّ علي الخصيّ ، ومحمد الليلاني ، وكانا من أشدّ الناس قسوة ، وقد عذّبا حتى النساء ، ومن جملة من عذّباه ، زوجة رضوان اغا ، ممن قتل من أنصار داود باشا ، إذ ضربوها بالفلقة ، وكووا بدنها بالسيخ المحمي (تاريخ العراق للعزاوي ٧/١٣) .

الفصل الثالث عشر

تعذيب المرأة بالحبس

كان معاوية بن أبي سفيان ، أوّل من مارس في الاسلام ، تعذيب النساء البريئات بالحبس ، إنتقاماً من أزواجهنّ ، وقد أسلفنا إنّه لما صالح الحسن ، اشترط على نفسه أن لا يؤاخذ أحداً من أصحاب علّي ، بما كان منه قبل المصالحة ، فلما تمكّن ، تتبّع من كان من أنصار علّي ، ففّر منه عمرو بن الحمق الخزاعي ، فاعتقل امرأته ، وحبسها في سجنه بدمشق (بلاغات انساء ٦٤ والديارات ١٧٩ و١٨٠) .

ولما حبس عبد الله بن الزبير ، محمد بن الحنفية ، في سجن عارم ، بعث المختار الثقفي جنداً من العراق ، فكسروا باب السجن ، وأطلقوه ، فلما آستولى ابن الزبير على العراق ، أمر أخاه المصعب ، أن يعتقل نسوة أولئك الجنود ، وأن ينفيهنّ عن بلدهنّ (الاغاني ١٥ / ١٥٠) .

ولما بلغ المختار ، أمير الكوفة ، أنّ عبيد الله بن الحرّ الجعفي ، قد أغار على الأنبار ، بعث إلى داره فهدمها ، وإلى آمرأته أمّ سلمة بنت عبدة بن الحليق الجعفية ، فحبسها في السجن ، فجاء ابن الحرّ في مائة وثلاثين من أتباعه ، فدخل الكوفة ، وأخرج آمرأته من السجن ، وأطلق كلّ من كان فيه (انساب الأشراف ٥/٢٩٣ و٢٩٤) .

وفي السنة ١٢٦ في عهد هشام بن عبد الملك ، حصلت حرائق بالشام ، فاتّهم أميرها ، آل خالد القسري ، فأمره هشام أن يعتقل آل خالد ،

ومواليهم ، حتى النساء ، فقدم بأولاد خالد بالجوامع (جمع جامعة ، وهو القيد الذي يجمع اليدين إلى العنق) ،ومن كان معهم من مواليهم ، وحبس أمّ جرير بنت خالد ، والرائقة ، وجميع النساء والصبيان ، ثم ظهر إنّ الحرائق من صنع آخرين ، فأخلي سبيل آل خالد . (الطبري ٧/٢٥٥ و٢٥٦) .

ولما خالف الحارث بن سيرج ، أمراء خراسان ، اعتقلوا أهل بيته وحبسوهم ، فلما عاد إلى مرو في السنة ١٢٧ ، أطلق له نصر من كان معتقلاً من أهله ، ومنهم ولده محمد ، وبنتيه الألوف ، وأمّ بكر (الطبري ٣٠٩/٧) .

وفي السنة ١٨٧ قتل الرشيد جعفر البرمكي ، وحوّل الفضل أخوه ليلاً فحبس في ناحية من منازل الرشيد ، أمّا أبوهما يحيى فحبس في منزله ، ثم حبس الفضل ويحي ومحمد في دير القائم ، وجعل عليهم حفظة من قبل مسرور الخادم وهرثمة بن أعين ، وصيّر معهم زبيدة بنت منير أمّ الفضل ، ودنانير جارية يحيى (الطبري ٨/٢٩٦ و٢٩٧) .

وفي السنة ٢٠٣ علم ابراهيم بن المهدي ، وكان قد بويع ببغداد ، بأنّ قائده عيسى بن محمد بن أبي خالد يفاوض قائد جيش المأمون في الإنحياز إليه ، فقبض عليه وضربه وحبسه ، وبعث إلى منزله فأخذ أمّ ولده وصبياناً له صغاراً فحبسهم (الطبري ٨/٥٦٩ و٥٧١) .

وكانت عريب المأمونيّة ، تتعشق محمد بن حامد ، وكانت تلقاه في الوقت بعد الوقت ، فلما وقف المأمون على خبرها مع محمد بن حامد ، أمر بالباسها جبّة صوف ، وختم زيقها ، وحبسها في كنيف مظلم شهراً لا ترى الضوء ، يدخل إليها خبز وملح وماء من تحت الباب في كل يوم ، ثم ذكرها ، فرقّ لها ، وأمر باخراجها ، وظلّت على محبة محمد بن حامد ، فزوّجه المأمون بها (الاغاني ٢١/ ٦٨ ـ ٦٩) .

وفي السنة **٢٣٥** أطلقت من حبس سامراء ، خالة لابن البعيث ، فلما أطلقت ، وخرجت من السجن ، ماتت فرحاً من يومها (الطبري ٩/١٧١) .

أقول : كان البعيث بن حلبس ، صعلوكاً من صعاليك الوجناء بن الرواد ، صاحب قلعة شاهين ، من كورة أذربيجان ، ولما نشأ ولده محمد تغلّب على قلعة شاهي ، وهي حصينة في وسط بحيرة أورمية ، وعلى قلعة يكدر ، وهي خارج البحيرة، والقلعتان من نواحي أذربيجان ، وكان محمد بن البعيث مسالماً لبابك في أوّل حركته ، ثم آنحاز إلى جانب الجيش العبّاسي ، فلما ظفر الجيش العباسي ببابك وتمزّقت جموعه ، حمل ابن البعيث إلى سامراء ، فحبس بها ، في حبس اسحاق بن ابراهيم المصعبي ، ثم أطلق بعد أن قدّم ثلاثين كفيلاً ، وأقام بسامراء ، ثم هرب إلى مرند ، وجمع أتباعاً يزيدون عن الألف ، وحصّن مرند ، فبعث إليه المتوكل جيوشاً ، ففلّها جميعها ، فسّير إليه بغا التركي على رأس أربعة الاف ، وطال الحصار على ابن البعيث ، فآستسلم جلّ أصحابه ، ونزلوا بالأمان ، واقتحم الجيش مدينته ، وأسره ، وحصل في يد السلطان من حرمه ثلاث عشرة امرأة ، وقدم بغا بآبن البعيث وبقية الاسرى الى سامراء ، وأمر المتوكّل بقتل ابن البعيث ، ثم استبقاه وحبسه ، وصيّر في عنقه مائة رطل ، فلم يزل مكبوباً على وجهه ، حتى مات بعد شهر ، فتكلّم بغا في ختن ابن البعيث ، واسمه أبو الأغرّ ، فأطلق ، وأطلقت خالة لابن البعيث ، فلما خرجت من السجن ، ماتت فرحاً من يومها (الطبري ٩/١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٧١) .

وفي السنة **٢٥٢** أوقع مفلح بعبد العزيز بن أبي دلف ، خارج همذان ، ودخل مفلح الكرج ، فأخذ جماعة من آل أبي دلف أسراء ، وأخذ نساء من نسائهم يقال أنّه كان فيهم أمّ عبد العزيز ، فأوثقهم . (الطبري ٩/٣٧٣) .

وفي السنة **٢٥٥** لما ظهر صاحب الزنج علي بن محمد الورزنيني بالبصرة ، في أوّل أمره ، ودعا لنفسه ، طلبه الجند ، ففرّ منهم ، فأخذ جماعة

من أصحـابه فحبسـوا ، وكان ممن حبس ، ابن صـاحب الزنـج ، وزوجتـه أمّ ولده ، ومعها ابنة له ، وجارية له حامل ، وظلّوا محبوسين ، حتى ظهـرت فتنة البلاليّة والسعـدية ، ففتحـوا السجون وأطلقـوا من فيها ، فتخلّص أفـراد عائلة صـاحب الـزنـج وأصحـابـه فيمن تخـلّصـوا ، فعـاد إلى البصـرة (الـطبـري ٤١٢/٩) .

في السنـة ٢٥٥ لمـا ظهـر صـاحب الـزنـج ، وجـد سميـريـة ، فـأخـذ الملاّحين ، فأخبروه بأنّ عقيل الأبلّي ، حملهم على أتباعه قسراً ، بـأن حبس نساءهم حتى اضطروا لأتّباعـه ، وأنه فعل ذلك بجميع من تبعه من المـلاّحين (الطبري ٤٢٣/٩) .

وفي إحـدى المعـارك بين الجيش العبـاسي وصـاحب الـزنـج ، دخـل الجيش العباسي قصر صاحب الزنج ، وأخذوا حرمه وأولاده الذكور والاناث ، وأحرقوا داره ، وحمل أولاده ونساؤه ألى الموفقية في التوكيل (أي الاعتقـال) (شرح نهج البلاغة ٢٠٦/٨) .

وفي السنة ٣٠٠ قبض على دستنبويه أمّ ولد المعتضـد ،ولم يكن في دار الخليفة أجلّ منها ولا أكرم نفساً ولا انصف في معاملة ، تعطي التجار الأربـاح الواسعة ، وكان لها عند المقتدر محلّ عظيم ، وكانت تنكّد على أمّ المقتدر ، وتـدلّ بمحلها ومنـزلتهـا التي كـانت عنـد المعتضـد ، ففسـد أمـرهـا عنـد أمّ المقتدر ، وتمّ القبض عليها . (العيون والحدائق ج ٤ ص ١ ص ٢٤٩) .

وفي السنة ٣٠٦ لما قبض المقتـدر على الوزير ابن الفرات وعلى أولاده وكتّابه ، قبض على دولة أمّ ولد ابن الفرات وعلى الحسن ابنها منه واعتقلوا . (الوزراء للصابي ٣٩) .

وممـا عيب على أبي العبـاس الخصيبي أنّـه حـبس بنـت جعـفر بن الفـرات ، أرملة المحسّن ، وعيّن على الحبس شابـاً اسمه افلح ، فتـزوّج بها في حبسه . (تجارب الأمم ١٥٥/١) .

وفي السنة ٣١٩ نفر مؤنس من الوزير الحسين بن القاسم بن عبيدالله وزير المقتدر ، وخرج وجنده إلى باب الشماسيّة (الصليخ)، وبعث بخادمه بشرى برسالة إلى المقتدر ، فلما حصل في دار السلطان، قال له الوزير : هات الرقعة التي معك ، فقال له : ليس معي رقعة ، وإنّما معي رسالة ، قال : فاذكرها ، قال : قد أمرت ألّا أذكرها إلّا للخليفة ، فوجّه المقتدر إلى بشرى ، يأمره أن يؤدّي الرسالة الى الوزير ، فقال بشرى : حتى أمضي إلى صاحبي وأستأذنه في ذلك وأعود ، فشتمه الوزير ، وشتم صاحبه ، وأمر به ، فضرب بالمقارع ، وحبسه ، ووجّه إلى داره ، وقبض على امرأته ، وصادرها ، وحمل ما في الدار . (تجارب الأمم ١/٢٢٢) .

ولما قبض القاهر على مؤنس وبقيّة القواد ، وقتلهم ، سأل عمّن يصلح للوزارة فدلّ على أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبيدالله، فاستوزره مدّة قصيرة ثم قبض عليه وعلى أولاده وعلى حرمه وعلى أخيه ، فمات في حبسه . (ابن الأثير ٨/٢٦٢).

وفي السنة ٣٢١ قبض القاهر على مؤنس ، ويلبق ، وولده علي ، وابن مقلة وآخرين ، ووكلّ بحرمهم ، وأمر بنهب دورهم . (ابن الأثير ٨/٢٥٦).

وكان المتّقي لله قد أصعد إلى بني حمدان في الموصل ، ثم عاد إلى بغداد ، في السنة ٣٣٣ فتلقّاه توزون ، وأنزله في خيمته ، وقبض على أمّه ، وحاشيته ، ثم سملت عينه بحضرة « علم » قهرمانة خلفه المستكفي . (تجارب الأمم ٢/٧٢) .

وفي السنة ٣٣٦ كان محمد بن عبد الرزاق عاملاً على طوس وأعمالها ، فخالف على الأمير نوح الساماني ، صاحب خراسان وما وراء النهر ، فأمر نوح قائده منصور بن قراتكين ، بأن يسير إلى محمد بن عبد الرزاق ، وأن يطرده عما بيده من الأعمال ، فسار إلى نيسابور ، ثم إلى اسقوا ، وطرد

محمداً منها ، ثم قصد طوس وكان بها رافع بن عبد الزراق ، ففرّ رافع منها ، واحتمى بقلعة درك ، فحصره منصور ، فهرب منها ، ولما احتلّ منصور قلعة درك ، وجد بها عيال محمد بن عبد الرزاق ووالدته ،فانفذهم الى بخارى ، فاعتقلوا بها (ابن الأثير ٨/ ٤٧٠- و٤٧١).

وفي السنة ٣٥٢ لما توفّي الوزير المهلبي ، وزير معزّ الدولة البويهي ، قام أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي ، وأبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس، باعتقال السيدة تجنّي ، زوجة الوزير المهلّبي ، وطالباها ببيان ما خلّفه زوجها من أموال ومدّخرات ، من أجل مصادرته ، فتلوّت في إخبارهما ، فأمرا بضرب ولدها أبي الغنائم ابن الوزير المهلّبي ، بين يديها ، فبكى من عرفها مما يتمّ عليها ، وقالت : إنَّ مولاي المهلّبي فعل بي هذا، حتى استدعى آلات العقوبة لزوجة أبي علي الطبري ، لما قبض عليها بعد وفاته ، ثم اذعنت ، واستدعت أبا العلاء بن أبرونا ، الطبيب النصراني ، وكان كاتب سرّ المهلبي ، وكان قد ضرب وعذّب ، وطالبوه بأن يدلّهم على مخلّفات المهلّبي ، فلم يقرّ بشيء ، فأحضر أبو العلاء ، محمولاً في سبنيّة (شبليّة) بين أربع فراشين ، لا يستطيع الحركة ، لما ناله من شدّة الضرب ، فجعلت السيدة تسأله ، وهو يجيبها ، ويخبرها بمكان المخبّآت ، فقال له من حضر : ويحك ، ألست من الآدميين، تقتل هذا القتل ، ويفضي حالك الى التلف ، وأنت لا تقرّ ؟ فقال : يا سبحان الله ، أكون ابن أبرونا الطبيب الفصّاد على الطريق بدانق ونصف ، يأخذني الوزير أبو محمد ، ويصطنعني ، ويجعلني كاتب سرّه ، ثم أطلع الناس على ذخيرة ذخرها لولده ؟ ما كنت لأفعل هذا ولو هلكت ، راجع القصّة في نشوار المحاضرة للتنوخي ، تحقيق المؤلف ج ٤ ص ١٢٣- ١٢٤ رقم القصة ٥٨ .

أقول : أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي ، الذي اعتقل السيدة

تجنّي ، هـو صنيعة الـوزير المهلّبي ، وزوج ابنتـه زينة وأمهـا السيدة تجنّي ، فأفّ وتفّ .

وفي السنة ٣٦٠ عزل عزّ الدولة بختيار البويهي ، وزيره أبا الفرج محمد بن العبـاس بن فسانجس ، وقبض على حـرمه وأسبـابه ، راجـع التفصيل في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ج ٢ ص ٢١٩ رقم القصة ١١٣ .

وفي السنـة ٤٣١ أتّهم بـاديس صـاحب غرنـاطة ، أبـا الفتوح ثـابت بن محمـد الجرجـاني بالتـآمر ضـدّه ، ففرّ منـه ، فقبض بـاديس على زوجـة أبي الفتوح ، وعلى ولديـه الطفلين ، وحبسهم عنـد صاحب عـذابه ، فـاضطر أبـو الفتوح إلى العودة مستسلماً إلى باديس ، ثم قتله (الأحاطة) .

وفي السنة ٤٤٠ توفّي الملك أبو كاليجار ، وخلفه ولده الملك الرحيم ، واستـولى أخوه أبـو منصور على شيـراز ، فسيّـر اليـه الملك الـرحيم جيشـاً ، فاستولى على شيراز ، واعْتُقِلَ الأمير أبو منصور ووالدته . (ابن الأثير ٩/٥٤٧-٥٤٨) .

وفي السنـة ٤٥١ انحدر البسـاسيري إلى واسط ، ومعـه في أسره والـدة الخليفة ووالدة الأمير أبي القاسم عدّة الدين ، ووصال قهرمـانة الخليفـة ، فلما قتـل البسـاسيـري ، أنفـذ السلطان من أحضـرهنّ من واسط . (المنتـظم ٨/٢١١) .

وفي السنة ٤٥٩ حجّت الحرّة الصيلحية ، أسماء بنت شهاب اليمانيـة ، مـع زوجهـا علي بن محمـد الصليحي ، ملك اليمن ، فقتـل زوجهـا في أمّ الدهيم ، وأسرها سعيد الأحول ، قاتل زوجها ، فأركبها في هودجها ، وجعـل أمـام الهودج رأس زوجهـا ، ورأس أخ لزوجهـا قتل معـه ، وأقامت في الأسـر

ثمانية أشهر ، ورأس زوجها ، ورأس أخيه ، معلّقان أمام طاقة دارها ، ثم علم آبنها بخبرها ، فأقبل في جيش ،وظفر بقتلة أبيه ،وأنقذ أمه من الأعتقال (الاعلام ١/٢٩٩) .

وفي السنة ٤٩٣ وقعت معركة بين كمشتكين بن الدانشمند ، صاحب ملطية وسيواس ، وبين بيمند الأفرنجي ، من مقدّمي الإفرنج ، وهو صاحب أنطاكية ، فانهزم بيمند ، وأسر ، وفي السنة ٤٩٥ أطلق الدانشمند سراح بيمند ، وأخذ منه مائة ألف دينار ، وشرط عليه إطلاق سراح ابنة باغي سيان الذي كان صاحب انطاكية ، وكانت في أسره (ابن الأثير ١٠/٣٤٥) .

وفي السنة ٤٩٣ وقعت حرب بين الإخوة بركياروق من جهة ، وسنجر ومحمد من جهة اخرى ، وهم أولاد السلطان ملكشاه السلجوقي ، فأسر أصحاب بركياروق أمّ أخويه سنجر ومحمد ، فأكرمها ، وقال لها : إنّما ارتبطتك ليطلق أخي من عنده من الأساري ، فانفذ سنجر من كان عنده من الأساري ، فأطلقها . (المنتظم ٩/١١٣) .

وفي السنة ٤٩٦ توفّيت بنت الخليفة القائم (توفي القائم سنة ٤٦٧) وهي التي كان قد تزوّجها السلطان طغرلبك ، وكان الخليفة المستظهر (٤٧٠ ـ ٤٨٧ ـ ٥١٢) قد ألزمها بيتها ،لأنّه أبلغ عنها أنّها تسعى في إزالة دولته . (ابن الأثير ١٠/٣٦٦) .

وفي السنة ٥٥٥ توفّي المقتفي ، وخلفه ولده المستنجد ، فأمر بأخيه أبي علي ، فحبس ، وحبست معه أمّه ، أتّهمهما بأنّهما حاولا اغتياله ، لما أشرف أبوه على الوفاة . (ابن الأثير ١١/٢٥٧) .

وفي السنة ٥٥٧ قبض على ابن الشمحل، وحبس عند أستاذ الدار ، ونقل ما في داره ، وقبض على زوجته بنت صاحب المخزن ابن طلحة . (المنتظم ١٠/٢٠٣) .

ولمـا ثار الأميـر هـلاجـون ، بمدينـة لاهور ، على السلطان محمـد بن تغلق ، سلطان الهند ، وحاربه الوزيـر خواجـه جهان، ودخـل مدينـة لاهور ، أخـذ من نساء المخـالفين نحو ثلثمـائة امـرأة ، وسجنهنّ في حصن كـالـيور. (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/١٠٢).

وفي السنة ٧٩٥ هاجم تيمـورلنك بغـداد ، ففرّ منهـا السلطان أحمد بن أويس وحريمه وحاشيته ،فـأرسل تيمـور وراءهم من يتبعهم ، ففاتهم السلطان أحمـد ، ووقع أسيـراً في يد تيمـور الأمير عـلاء الدولـة ابن السلطان أحمـد ، ونسـاء السلطان أحمد ، فـاعتقلهم تيمـور ، ونقلهم إلى سمـرقنـد (التـاريـخ الغياثي ١٨٧ـ ١٨٨).

وفي السنة ٨٩٣ جهّز السلطان يعـقـوب بن السلطان حسن الطويـل جيشاً لمحـاربـة الشيـخ حيـدر الصـفـوي ، فقتله ، وحبس أولاده علي وإبـراهيم وإسمـاعيـل ، وأمّهم حليمـة بيكم في شيـراز . (تـاريـخ العـراق للعـزاوي ٣/٢٧٠ـ ٢٧١).

وكان الشيخ حيدر ابن عمة السلطان يعقـوب ، لأنّ أمّ حيدر هي شقيقـة السلطان حسن الطويل (تاريخ العراق للعزاوي ٣/٢٧٢).

وغضبت الأميـرة سكندربيكم ، أميـرة بهـوبـال، بـالهنـد (ت ١٢٨٥هـ ١٨٦٨ م) على ابنتها الأميرة جهان بيكم ، لأنّها قابلت في بيت أحد أقـاربها ، أميراً من أمراء البيت المالك في دهلي ، جاء ليخطبهـا ، فحبستها في غـرفتها عدّة أشهر ، بعد أن ضربتها ضرباً مبرّحاً . (أعلام النساء ٢/٢٠١).

وفي السنـة ١٣٢٧ اعتقـل السلطان عبـد الحفيظ، صـاحب المغـرب ، الفقيه أبا عبد الله محمد بن عبـد الكبير الكتـاني ، وحبسه وحبس معـه جميع أفراد عائلته حتى النساء ، وكان سبب ذلك أنّ الفقيه لما بايعه اشتـرط عليه أن يتقيّد بالشورى ، فحقدها السلطان عليه ، فعزم الفقيه على مبارحة المغـرب ،

ورحل بأهله جميعهم ، فأعاده السلطان بالأمان ، ثم غدر به فحبسه ، وحبس معه جميع أفراد عائلته حتى النساء ، ثم جلده، وحمل الى فاس الجديدة فمات فيها (الأعلام ٨٣/٧).

وأدركت البغداديّين ، وهم إذا تحدثوا عن امرأة أودعت السجن ، قالوا عنها: أخذوها لبيت كرّاوي ، وكان كرّاوي هذا مقيماً في الجانب الغربي من بغداد ، أي الكرخ ، وكانت الحكومة العثمانية في ذلك الحين ، تودع النساء المعتقلات في بيته ، وتؤدّي له عن كلّ رأس ، عدداً من القروش ، من أجل حفظ السجينة واطعامها . (طرائف ٩٤٦).

الفصـل الرابـع عشـر

اشهار النسـاء

كان الإشهار أحـد الوان العـذاب التي تفرض على النسـاء الماجنـات ، ويكاد يكون مقصوراً عليهنّ .

ولعلّ أوّل امرأة أشهرت في الإسلام ، على ما ذكروا ، كانت أمّ أشعب الطماع ، إذ شهد عليها بالزنـا ، فحلقت ، وأشهرت على جمـل ، وأمرت أن تنادي على نفسها ، فكانت تنادي : من رآني فلا يزنين ، فصاحت بها امرأة : يا فاعلة، نهانا الله عزّ وجلّ عن هـذا ، فعصيناه ، فهـل نطيعـك أنت ، وأنت مجلودة ، محلوقة ، يطاف بك على جمل ؟ (الأغاني ١٩/١٣٥-١٣٧).

في السنـة ٤٦٧ تقدّم ببغـداد ، فخر الـدولة، إلى المحتسب بـالحـريم (حريم دار الخلافة)، بنفي المفسدات ، وبيـع دورهنّ، فشهر جمـاعة منهنّ على الحمير ، مناديات على أنفسهنّ، وأبعدهنّ إلى الجانب الغربي (المنتظم ٨/٢٩٤).

وفي السنـة ٥٣١ أشهـر في أسـواق بغـداد أربـع نسـوة ، على بقـر السقـائين ، مسـوّدات الـوجـوه ، لأنّهنّ شـربن المسكـر في الشطّ مـع رجـال (المنتظم ١٠/٦٩).

وفي السنـة ٥٥٩ شهرت امـرأة ، تزوّجت بـزوجين ، ومعها أحـدهما . (المنتظم ١٠/٢٠٨).

وفي السنـة ٧٨١ رسم الأتابكي بـرقوق بـالقاه رة ، فـاشهـرت امـرأة ، أوهمت الناس بوجود أعجوبـة في بيتها ، خـلاصتها أن كـلاماً يصـدر من وراء أحـد حيطانـه ، فـأركبت على جمـل ، ويـداهـا مسمّـرة على الخشب ، وهي بأزارها ونقابها ، ولم يعهد قط أنّ امرأة سمّـرت على جمل . (بـدائع الـزهور ١/ ٢/ ٢٤٧).

وفي السنـة ٧٨٢ ظهر على امـرأة بالقـاهرة ، أنّهـا تروجت بـرجلين في وقت واحـد ، فشهرت على جمـل ، وطيف بهـا في القـاهـرة ، وعلى رأسهـا طـرطور احمـر ، ونودي عليهـا : هذا جـزاء من تتزوّج رجلين في الإسـلام . (بدائع الزهور ١/ ٢/ ٢٥٤).

وأخذت امرأة اخـرى، في زنا ، وطيف بهـا مشهرة على جمـل ، ورآها بعض المجّان ، فقال لهـا : كيف خلّفت الحاج ؟ قـالت : بخير ، وقـد كانت أمّك معنا ، فخرجت في النفر الأوّل . (الملح والنوادر للحصري ٩٣).

وفي السنة ٩٢٣ بعد مبارحة السلطان سليم القاهرة ، أشهروا أربع نسوة على حمير ، ووجوههنّ ملطخة بالسواد، قيل انّهن كن يجمعن عندهنّ جماعة من التـراكمة في رمضـان « ويعرّصن » عليهم مـع النساء الأجـانب . (بـدائـع الزهور ٥/ ٢١١).

الفصل الخامس عشر

انتحار المرأة

الانتحار عند العرب ، من الأمور النادرة ، وهو ما بين النساء أندر .

وأوّل ما ورد إلينا من أخبار انتحار المرأة ، ما تناقله الرواة عن انتحار الزّباء ، ملكة تدمر والجزيرة ، وقد وليت تدمر بعد مقتل أبيها ، فهزمت الرومان ، وقتلت جذيمة الأبرش ، فآحتال ابن أخته عمرو بن عديّ ، حتى آقتحم عليها قصرها ، وهّم بقتلها ، فامتصّت سمّاً ، فماتت ، وقالت الكلمة التي ذهبت مثلاً : بيدي ، لا بيد عمرو (الاعلام ٣/ ٧١) .

وفي السنة ٨٩ فتح محمد بن القاسم الثقفي السند ، وقتل ملكها داهر ، وكان في إحدى مدن السند امرأة لداهر ، فلما حصرها محمد ، خافت أن تؤخذ ، فأحرقت نفسها ، وجواريها ، وجميع مالها (ابن الاثير ٤/ ٥٣٨) .

ونثبت في هذا البحث ، بإعجاب واحترام ، مصير فتاتين عربيتين عاشتا عيشة كريمة ، وماتتا ميتة نبيلة ، هما جميلة إبنة ناصر الدولة الحمداني ، وزينة ابنة الوزير أبي محمد المهلبي .

في السنة ٣٧١ انتحرت جميلة بنت ناصر الدولة الحمداني ، بأن ألقت نفسها من جسر بغداد إلى دجلة ، فغرّقت نفسها ، وكانت مثلاً من أمثلة الكرم والترفع وإسباغ المعروف ، وكانت شريكة أخيها أبي تغلب في الأمر والنهي ،

وحجّت في السنة ٢٦٦ فصارت حجّتها تاريخاً ، لأنّها أقامت فيها من المروءة ، وفرّقت من الأموال ، وأظهرت من المحاسن ، ونشرت من المكارم ، ما لا يوصف ، وذكر أنّها وصلت إلى الحجاز ، ومعها أربعمائة عمّاريّة لا يدري في أيّتها كانت ،وأعدّت معها خمسمائة راحلة للمنقطعين من رجّالة الحاجّ ، وآستصحبت البقول مزروعة في مراكن الخزف ، فضلاً عمّ سواها ، وسقت جميع أهل الموسم السويق بالسكّر الطبرزد والثلج ، ونثرت على الكعبة لما شاهدتها عشرة آلاف دينار ، وأعتقت ثلثمائة عبد ، ومائتي جارية ، وخلعت على الناس خمسين ألف ثوب ، وأغنت المجاورين بالصلات الجزيلة ، وكان عضد الدولة ، قد خطبها ، فترفّعت عليه ، وأبت أت تتزوجه ، وضرب الدهر ضرباته ، واستولى عضد الدولة على بلادها في الموصل ، فأفضت بها الحال إلى كلّ قلّة وذلّة ، وتكشّفت عن فقر مدقع ، فلما وقعت في يد عضد الدولة ، تشفّى منها ، وبالغ في إيذائها ، وطالبها بأموال ، وألزمها بأن تختلف إلى دار القحاب لتتكسّب فيها ما تؤدّيه في مال مصادرتها ، فلما أبلغت بذلك ، انتهزت غفلة الموكّلين بها ، وهم يعبرون بها الجسر ، وألقت نفسها في دجلة ، رحمها الله . (لطائف المعارف ٨٣) .

وكانت زينة المهلّبية ، قد انتقلت من عزّ إلى عزّ ، من عزّ أبيها أبي محمد المهلّبي ، وزير صاحب العراق ، إلى عزّ زوجها أبي الفضل العباس بن الحسين ، الذي وزر لصاحب العراق بعد أبيها المهلّبي ، وكانت قد بلغ بها الحال ، أن اتّخذت الجواري الأتراك حجّاباً لها في زيّ الرجال ، على ما جرى به رسم السلطان ، وكان لها كتّاب من النساء ، مثل سلمى النوبختية ، وعائشة بنت نصر القشوري الذي كان حاجب المقتدر، وغيرهما من القهارمة ، ومن يتصرّف في الأعمال تصرّف الرجال ، وكان لها كرم وجود بالأموال ، فلما قبض على زوجها أبي الفضل ، في وزارته الثانية لبختيار البويهي بن معزّ الدولة ، ووزّر ابن بقيّة ، اختفت زينة ، وسائر أسبابها ،

فجعلت عليها العيون في كلّ مكان ، وحمل زوجها الوزير إلى الكوفة ، فأقام يسيراً ومات ، ولم يزل بختيار يطلب زينة وأسبابها ، وكان سبب اختفائها منه إنّه راسلها لما قبض على زوجها ، يطلب منها أن تترك زوجها ، وأن تتزوجّ به ، فردّت عليه أقبح ردّ ، وأنكرت ذلك ، فكان ذلك سبباً لاختفائها ، وكان لها من الذخائر والودائع في أيدي جماعة ، مما كان يغني كثيراً من الناس ، فلما بلغ بها الأمر هذا المبلغ ، طمع كلّ واحد بما في يده ، وغدروا بها ، وبعد اليأس من العثور عليها ، طهر بظاهر الخلد ، بقرب محلّة تعرف بالتستريّين ، فرد محمل مغطّى ، فيه امرأة في أخلاق ، وعند رأسها رقعة مكتوب عليها : زينة بنت الحسن بن محمد المهلّبي الوزير ، فوافى القاضي أبو تمام الحسن بن محمد الهاشمي المعروف بالزينبي ،وكانت أختاها تحت ولديه أبي الحسن وأبي القاسم ، فحملها إلى داره ، وتولّى من أمرها ما يجب لمثلها ، ودفنها في مقابر قريش (الكاظمية) (الملح والنوادر ٢٧٩) .

وفي السنة ٤٧٩ حصر السلطان ملكشاه السلجوقي ، قلعة جعبر، وكان قد تحصّن بها سابق بن جعبر ، ففتحها ، وقتل عامّة أهلها ، وقبض على سابق وأراد قتله ، فوقعت عليه زوجته ، وقالت : لا أفارقه ، أو تقتلوني معه ، فألقوه من أعلى السور ، فتكسّر ، وقطع بالسيف الى نصفين ، فألقت زوجته نفسها وراءه ، فسلمت ، فقال لها السلطان : ما حملك على هذا ؟ فقالت : إنّا قوم لم يتحدث عنا بالخنا ، فخفت أن يخلو بي الترك في القلعة ، فيقول الناس ما شاءوا ، فاستحسن ذلك منها . (المنتظم ٢٨/٩) .

وفي السنة ٤٨٦ كان ابراهيم بن قريش بن بدران ، يملك الموصل ، فحاربه تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان ، فظفر تتش ، وأسر ابراهيم وجماعة من أمراء العرب ، فقتلوا صبراً ، وقتل كثير من نساء العرب أنفسهنّ ، خوفاً من الفضيحة (ابن الاثير ٢٢١/١٠) .

وفي السنة ٥٠٠ حصر السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي ، قلعة شاه دز ، بالقرب من أصبهان ، وكان صاحبها أحمد بن عبد الملك بن عطاش ، رأس الباطنية ، ثم فتحها ، وأخذ ابن عطاش أسيراً ، فشهره ، وسلخ جلده ، وحشاه تبناً ، وقتل ولده ، أمّا زوجته فإنّها ألقت نفسها من رأس القلعة ، فماتت منتحرة (ابن الأثير ١٠/٤٣٠ - ٤٣٤) .

ولما توفّي السلطان خليل ، الذي خلف جده تيمورلنك ، بالري ، عمدت زوجته شاد ملك ، إلى خنجر فنحرت به قفاها ، فماتت ، ودفنا في قبرو احد . (تاريخ العراق للعزاوي ٢/٢٨٣)

وروى لنا الفارس أسامة بن مرشد الكناني (٤٨٨ - ٥٨٤) ، قصّة انتحار فتاة كرديّة اسمها رفول ، قال : كان في جند الجسر ، رجل كرديّ ، يقال له أبو الجيش ، له بنت اسمها رفول ، سباها الإفرنج ، وهو قد توسوس عليها ، يقول لكلّ من لقيه : سبيت رفول ، فخرجنا من الغد ، نسير على النهر ، فرأينا في جانب الماء سواداً ، فقلنا لبعض الغلمان : اسبح ، أبصر ما هذا السواد ، فمضى إليه ، فإذا ذلك السواد رفول ، عليها ثوب أزرق ، وقد رمت نفسها من على فرس الافرنجي الذي أخذها فغرقت ، وعلق ثوبها في شجرة صفصاف ، فسكنت لوعة أبيها أبي الجيش . (الاعتبار ١٤٩ و١٥٠) .

وفي السنة ٦١٨ لما تصادم جيش التتار ، مع جيش خوارزم شاه ، على نهر السند ، انكسر خوارزم شاه جلال الدين ، وولّى منهزماً ، وأسر له ولد طفل ، ابن سبع أو ثمان سنين ، فقتل بين يدي جنكيز خان صبراً ، وأبصر جلال الدين ، أمّه ، وأمّ ولده ، وجماعة من حرمه ، على شاطيء نهر السند ، فصرخن فيه : بالله عليك ، آقتلنا ، أو خلّصنا من الأسر ، فأمر بهنّ فغرّقن في النهر ، وهو ينظر ، وهذه من عجائب البلايا ، ونوادر المصائب والرزايا (المختصر في تاريخ البشر ٣/١٥٠) .

وفي السنة ٦٨٤ انتحرت امرأة في بغداد غرقاً ، بأن ألقت نفسها من الجسر إلى دجلة ، وسبب ذلك إنّ الأسعار غلت في بغداد فبلغ الكرّمن الحنطة ١٨٠ ديناراً وكر الشعير ١٠٠ دينار وبيع الخبز ٣ أرطال بدرهم ، وباع القوم الضعفاء أولادهم ، وألقت امرأة نفسها إلى دجلة وكانت على الجسر تطلب ، فلم يعطها أحد ، فآثرت إتلاف نفسها (الحوادث الجامعة ٤٤٦) .

ومما يدخل في بحثنا هذا ، ما كانت تصنعه النساء الهنديات ، من الانتحار باحراق أنفسهنّ بالنار ، إما مع أزواجهنّ ، وإما إذا ترمّلن ، وقد قصّ علينا ابن بطوطة في رحلته ٢/ ٩ و٩٧ قصة هنديّات انتحرن مع أزواجهنّ ، وفي رحلته ٢/ ٢٠ ـ ٢٢ قصة هنديات ترمّلن فانتحرن باحراق أنفسهنّ بالنار .

فالقصّة الأولى : إنّ أميراً مسلماً ، من اقرباء السلطان محمد بن تغلق سلطان الهند ، فرّ منه ، والتجأ إلى ملك هندوسي ، فطلبه السلطان منه فأبى أن يسلمه ، فحاربه ، فآنكسر الهندوسي ، فحرص قبل كلّ شيء أن يوصل الأمير الذي التجأ إليه إلى مأمنه ، ثم انتحر هو ورجال حاشيته ، ونساؤهم ، بأن أجّج ناراً ، وكانت المرأة منهنّ تغتسل ، وتدّهن بالصندل ، وتقبل الأرض بين يدي الملك ، ثم ترمي بنفسها في النار ، حتى هلكن جميعاً . وأما الملك ورجاله ، فإنّهم اغتسلوا ، ولبسوا سلاحهم وآشتبكوا مع جيش السلطان في معركة ضارية استقتلوا فيها ، فقتلوا جميعاً .

والقصّة الثانية ، تتعلّق بالأرملة ، تحرق نفسها بعد وفاة زوجها ، وهم إذا كانوا ببلد سلطان الهند المسلم ، استأذنوه في إحراقها ، فيأذن لهم ، فيحرقونها ، ويقول ابن بطوطة ، إنّ المرأة ، لا تكره على إحراق نفسها ، بعد موت زوجها ، ولكنّها إذا قامت بذلك أحرز أهلها شرفاً بذلك ، ونسبوا إلى الوفاء ، ومن لم تحرق نفسها لبست خشن الثياب ، وأقامت عند أهلها بائسة ، ممتهنة ، لأنّها تتّهم بعدم الوفاء .

وروى قصّة ثلاث نسوة ، تعاهـدن على أن يحرقن أنفسهنّ ، لمـا توفّي أزواجهن ، فأقمن قبل ذلك ثلاثة أيّام ، في غنـاء ، وطرب ، وأكـل وشرب ، كـأنهن يودعن الـدنيا ، وتـأتي النساء إليهن من كـل جهة ، وفي صبيحـة اليوم الرابع ، أركبوا كلّ واحدة منهنّ فرساً ، وهي متـزينة ، متعـطرة ، وفي يمناهـا جـوزة نـار جيـل تلعب بهـا ، وفي يســـراهـا مـرآة تنـظر فيهـا إلى وجههـا ، والبراهمة ، يجفـون بها ، وأقـاربها معهـا ، وبين يديهـا الأطبال ، والأبـواق ، والأنقار ، وكلّ إنسان من الكفّار يقـول لها : أبلغي السـلام أبي ، أو أخي ، أو أمّي ، أو صاحبي ، وهي تقول : نعم ، وتضحك لهم .

قال : وركبتُ مع أصحابي ، لأرى كيفيّة صنعهنّ في الإحتراق ، فسرنـا معهنّ نحـو ثلاثـة أميال ، وانتهينـا إلى موضـع مظلم كثيـر المياه والاشجـار ، متكاثف الظلال ، وبين أشجاره أربع قباب ، في كلّ قبّـة صنم من الحجارة ، وبين القباب صهريج ماء قد تكاثفت عليه الظلال ، وتـزاحمت الاشجار ، فـلا تتخلّلها الشمس ، ولما وصلن إلى القبـاب ، نزلن الى الصهـريج ، وآنغمسن فيـه ، وجرّدن ممّـا عليهن من ثياب وحلي ، فتصـدّقن به ، وجيء لكـلّ منهن بثـوب قطن خشن ، غيـر مخيط ، فربط بعضـه على وسـطهـا ، وبعضـه على رأسهـا وكتفيها ، والنيـران قد أضـرمت على قـرب من ذلـك الصهـريـج ، في موضع منخفض ، وصبٍ عليها زيت الجلجلان ، فزادها أشتعالاً ، وهناك نحو خمسة عشر رجلاً بأيديهم حزم من الحطب الرقيق ، ومعهم نحو عشرة بأيديهم خشب كبار ، وأهل الأطبال ، والأبواق ، وقـوف ينتظرون مجيء المـرأة ، وقد حجبت النـار بملحفة يمسكهـا الرجـال بأيـديهم ، لئلا يـدهشها النـظر إليها ، فـرأيت إحداهنّ ، لمـا وصلت إلى تلك الملحفة نـزعتهـا من أيـدي الـرجـال بعنف ، وقالت لهم ، وهي تضحك : أبـالنـار تخـوّفونني ؟ أنـا أعلم أنّها نـار مـحـرقة ، ثم جمعت يـديها على رأسهـا خدمـة للنار ، وألقت بنفسهـا فيها ، وعند ذلك ضـربت الأطبال والأنقـار والأبواق ، ورمى الـرجال مـا بأيـديهم من

الحطب عليها، وجعل الآخرون ، تلك الخشبات من فوقها لئلا تتحرّك ، وارتفعت الأصوات ، وكثر الضجيج .

وكان جزونت سنك ، من اكبر الشخصيات الحاكمة ، في عهد السلطان أورنك زيب ، سلطان الهند (١٠٦٨ ـ ١١١٩) ، وكان يقيم بكابل ، ومات بقرب حصن أتوك ، فصمّمت زوجته أن تحرق نفسها يوم وفاته عملاً بعوائد الهندوس ، فمنعت من ذلك ، لأنّها كانت حاملاً بسبعة أشهر ، وتقدّمت زوجته الأخرى ، وسبع من جواريه ، وأحرقن أنفسهنّ ، ولما ولدت زوجته الأولى غلاماً ، لم ترد أن تبقي بعد زوجها ، رغماً عن وجود رضيع لديها ، فأحرقت نفسها . (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ١٤٨) .

ولهذه السيدة التي أصّرت على إحراق نفسها ، موقف عجيب من مواقف البطولة ، فإنّ زوجها جزونت سنك ، كان قائد جيش دارا ، أخي السلطان أورنك زيب، ونشبت بين الجيشين معركة، فانكسر جيش دارا، وآنفل جمعه ولما عاد القائد جزونت سنك إلى داره ، رفضت زوجته قبوله ، ورفضت أن تصدّق أنّه بذل كلّ ما في وسعه ، وقالت له : أنّ الراجبوتي ، وخصوصاً من كان من عائلة مثل عائلتك ، يجب أن ينتصر ، أو يموت ، ورتّبت جنازة ، ودارت بها في شوارع المدينة، معتبرة أنّ زوجها قد مات ، وبعد مرور مدّة طويلة ، رضيت أن تغفر له زلّته . (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ١٠٨) .

ولما تسلطن ، في الهند ، السلطان جلال الدين أبو الفتح محمد أكبر شاه ، (حكمه٩٦٣ـ ١٠١٤) كان من جملة إصلاحاته أن منع إحراق الأرملة إذا توفّي زوجها الهندوسي (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ٦٥) .

وفي السنة ١٣٩٠ (١٩٧٠ م) نشرت الجرائد خبر انتحار أمّ ، انتحرت

بإلقاء نفسها من الطابق الأعلى ، في أحد مستشفيات روما ، بايطاليا ، وسبب ذلك أنّها كانت قد أحضرت ولدها الشاب الذي فقد بصره ، إلى المستشفى ، لإجراء عملية ترقيع القرنيّة ، لإعادة بصره إليه ، فأخبرها الأطباء ، أنّ إجراء العملية غير متيسّر ، إذ لا توجد في المستشفى قرنيّة جاهزة ، فطلبت منهم أن يقتطعوا قرنّية إحدى عينيها لترقيع عين ولدها، فآمتنعوا ، واعتذروا لها بأنّه لا يجوز لهم إتلاف بصر إنسان ، لا صلاح بصر آخر غيره ، وأنّ على ولدها الشاب أن ينتظر ، حتى تتيسّر للمستشفى قرنية من شخص متوفّى ، فما كان من الأمّ ، إلاّ أن صعدت إلى الطابق الأعلى في المستشفى ، وألقت بنفسها إلى الأرض ، فماتت منتحرة ، لكي يتيسّر لولدها الحصول على قرنيّة عينها ، فضربت بعملها هذا مثلاً من أرقى الأمثلة في التضحية والفداء .

وتذكّرني هذه الواقعة ، والشيء بالشيء يذكر، بواقعة معاكسة لها ، وقعت ببغداد في الأربعينات ، خلاصتها أنّ شخصاً معدوداً من بين المثقفين ، أقدم أحد أولاده ، على الإنتحار بفصد عروق يديه ، ونقل الى المستشفى ، وهو لما به ، واحتاج الشاب إلى نقل دم ، فطلب الطبيب مدير المستشفى من أبيه أن يتبرع له بشيء من دمه ، فامتنع ، وأصر على الامتناع ، فآشتدّ غيظ الطبيب منه ، وأسعفه ، بأن نقل إليه كميّة من دمه ، أي دم الطبيب ، ونجا الشاب .

فهرس الكتاب